بدائع الزهور

(في)

(وقائع الدهور)

(تأليف)

العالم الفاضل والهمام الكامل الشيخ محمد بن احمد
ابن اياس الحنفي رحمه الله تعالى ونفعنا به والمسلمين
(آمين)

(تنبيه) نحب أن يفهم القارئ أن هذا الكتاب تاريخي وقصصي محض فلم يضعه صاحبه ليعتقد ما فيه لأن العقيدة لاتبنى الا على الحقائق الصحيحة وانما الغرض لصاحبه من وضعه هو تفكهة القراء بالاطلاع عليه فقط فليعلم

(طبع بمطبعة)
(مصطفى البابي الحلبي وأولاده)
(بمصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم الاول الازلى الذى لا يتحول ولا تغيره الدهور والاعصار ولا يفنيه حدثان الليل والنهار هو الذى أنشأ الوجود من العدم وقدر ما كان قبل أن يكون فى اللوح والقلم وخلق آدم وجعل من نسله العرب والعجم واصطفى منهم نبينا محمدا وكمل به ديوان الانبياء وختم ونسخ بشريعته جميع الشرائع وأوجب طاعته على الخلائق من عاص وطائع وجعل دول الاسلام مؤيدة بالخلفاء الراشدين فهم ظل الله تعالى فى أرضه لكل طائع انتظم فى سلك المهتدين (أحمده) حمدا يقتضى المزيد من النعم وأشهد أن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه ذو الفضل والكرم وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله الذى كان نبيا وآدم بين الماء والطين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما الى يوم الدين ﴿وبعد﴾ فقد ألفت هذا التاريخ والسير فاخترت أحسن الاخبار من نفائس الدرر ليكون نزهة لذوى العقول فالمستخبر أن يسمع وللمؤلف أن يقول فان فيه من الفوائد الغرائب ومن المنقول العجائب وقد أوردت فى هذا الكتاب من الوقائع الجيدة واختصرت من الاشياء المسائل المفيدة وابتدأت فيه بذكر السموات والارضين وما كان قبل وجود الوجود واظهار العالم الموجود من مبدا خلق آدم عليه السلام وما جاء من نسله من الانبياء الكرام الى نبينا محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ﴿وسميته بدائع الزهور فى وقائع الدهور﴾ والمستعان الله تعالى فى المبدا والختام ومن هنا نشرع فى الكلام (قال) أبو زيد البلخى مخارج العلوم أربعة علم رافع وعلم ساطع وعلم نافع وعلم واضع فاما الرافع فهو العلم الشريف من الاحاديث والفقه وأما العلم الساطع فهو علم الادبيات والاخبار الرقيقة وأما النافع فهو علم الطب ومعرفة الحساب وأما العلم الواضع فهو علم الكهنة من السحر وما أشبهه فاختر ما تنتفع به دنيا وأخرى

وقيل

ما حوى العلم جميعا أحد * لا ولو مارسه ألف سنه
انما العلم كبحر زاخر * فاتخذ من كل شئ أحسنه

﴿ذكر ما كان فى بدء المخلوقات﴾

(روى) الامام أحمد فى مسنده عن عامر العقيلى رضى الله عنه أنه قال قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض قال كان فى عماء فوقه هواء وتحته هواء ثم خلق عرشه على الماء قال بعض العلماء الغمام هو السحاب * واختلف العلماء فيما خلقه الله قبل العرش (روى) الترمذى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول شئ خلقه الله تعالى

القلم من نور وقيل من لؤلؤة بيضاء طوله مابين السماء والارض ثم خلق اللوح بعده وهو من درة بيضاء صفائحها من الياقوت الاحمر وطوله مابين السماء والارض وعرضه من المشرق الى المغرب (وعن) أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله لوحا أحد وجهيه من ياقوتة حمراء والوجه الآخر من زمردة خضراء وأقلامه من نور وقال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى القلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش ثم نظر اليه نظر الهيبة فانشق وقطر المداد وقال ابن عباس ان القلم مشقوق ينبع منه المداد الى يوم القيامة ثم قال الله للقلم اكتب فقال القلم يارب وما أكتب قال اكتب علمى فى خلقى بما هو كائن الى يوم القيامة (وأخرج) سعيد بن منصور ان أول ما كتب القلم أنا التواب أتوب على من تاب (وأخرج) ابن أبى حاتم ان أول ما كتب القلم ان رحمتى سبقت غضبى والاقوال فى ذلك كثيرة والاصح ماقاله ابن عباس رضى الله عنهما أن القلم جرى فى تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة وماقدر من خير وشر وسعادة وشقاوة وهو قوله تعالى وكل شئ أحصيناه فى امام مبين أى فى اللوح المحفوظ (وقال) عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله تعالى مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف عام وهذا الحديث يدل على تقديم القلم على العرش وأنه أول المخلوقات ثم خلق اللوح بعده (قال) ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى لوحا من درة بيضاء ينظر فيه كل يوم وليلة ثلثمائة وستين نظرة ففى كل نظرة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعزل ويولى ويفعل مايشاء ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وهو قوله تعالى وماتحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ومايعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير ﴿ذكر خلق العرش﴾ أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره ان الله تعالى خلق العرش من نوره والكرسى ملتصق بالعرش وحول العرش أربعة أنهار نهر من نور يتلألأ ونهر من نار تلظى ونهر من ثلج أبيض ونهر من ماء والملائكة قيام فى تلك الانهار يسبحون (وعن) ابن أبى حاتم قال خلق الله العرش من زمردة خضراء وخلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء مابين القائمة الى القائمة مسيرة ثمانين ألف عام واتساعهما مثل ذلك وهو كهيئة السرير والقوائم تحملها ثمانية من الملائكة وهو كالقبة على الملائكة والعالم * وعن أبى حاتم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العرش كان على الماء فلما خلق الله السموات جعله فوق السموات السبع وجعل السحاب كالغربال للمطر ولولا ذلك لغرقت الارض * ويقال ارتفاع السحاب عن الارض اثنا عشر ميلا (قال) عكرمة ان الله تعالى ينزل المطر من السماء القطرة كالبعير ولولا أن السحاب والرياح تفرقها لفسد كل ماتقع عليه من النبات والبهائم وقد قال الله تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرا الآية ﴿ذكر أخبار المطر﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى وكل بالمطر ملائكة فلا تنزل

قطرة الا ومعها ملك يضعها حيث شاء الله تعالى اما فى البر واما فى البحر فاذا كان على الارض أنبت الله به الزرع والاعشاب وهو قوله تعالى وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ وان كان فى البحر يخلق الله تعالى منه اللؤلؤ الصغار والكبار قال ارسطاطاليس ان المطر يقع فى البحر المحيط بالدنيا وذلك وقت هبوب الريح الشمالى فاذا هاج البحر بالامواج نزل من السماء مطر عظيم فيصعد من ذلك البحر صدف على وجه الماء و يفتح فاه و يلتقم القطرة من المطر كما يلتقم الفرج النطفة فلا يزال الصدف يعمد الى مواضع فى البحر لينعقد المطر فيصير درا فاذا انعقد تغوص الصدفة لى قعر البحر و يجمعونها فى أوعية موضوعة فى صدورهم فيعمد اليها الغواصون واذا تركت الدرة فى الصدفة وطال مكثها فى البحر فسدت وتغير لونها كالثمرة اذا تركت على الشجرة ولم تقطع فى أوانها (وحكى) أن اعرابيا قدم الى البصرة ومعه درة نفيسة فأتى بها الى عطار هناك وسأله أن يشتريها منه فاشتراها منه بابخس الاثمان ثم ان العطار سأل الاعرابى من أين وصلت اليك هذه لدرة فقال مررت يوما من الايام بساحل البحر من أرض الصين فرأيت ثعلبا ميتا وعلى فمه صدفة فى جوفها بياض يلمع و وجدت هذه الخرزة الى جانبه فاخذتها ومضيت والذى يظهر لى من هذه الواقعة أن صدف البحر الذى فيه اللؤلؤ يخرج من الماء لينتشق الهواء كما هى عادة الصدف فلما مر ذلك الثعلب بساحل البحر رأى لحمة حمراء فى جوف الصدفة وهى فاتحة فاها فوثب عليها الثعلب ليقتلها فادخل فاه فى الصدفة فانطبقت عليه ومن شأنها اذا انطبقت على شئ لا تنفتح أبدا حتى تنشق بالحديد فلما انطبقت على فم الثعلب أخذها فصار يضرب بها فى الارض يمينا وشمالا الى أن مات فخرجت هذه الدرة من جوف الصدفة فربها ذلك الاعرابى فاخذها فلم يعلم قيمتها فكانت من رزق ذلك العطار فباعها بألف دينار وكانت قدر بيضة الحمامة (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما ان ماء المطر من بحر بين السماء والارض وهو كثير المياه وفيه السمك والضفادع وقد نزل فى بعض السنين فى أماكن من الارض مع المطر ضفادع وسمك صغار ومصداق ذلك ما حكى أن ملكا من الملوك أطلق بازياله فى القضاء خلف طائر فصعد البازى الى أعلى الجو فغاب عن الاعين ثم رجع وفى رجله سمكة فلما رآها الملك أراد أن يأكلها فاحضر الحكماء واستشارهم فى أكل تلك السمكة فاشاروا عليه فى أكلها فقام من بين الحاضرين شاب صغير وكان له اشتغال بالعلم فى وسط المجلس وقال أيها الملك ان لحم هذه السمكة مسموم ولا يجوز أكله فقال له الملك ومن أين لك هذا العلم قال ان الله تعالى خلق بحرا بين السماء والارض وقد ورد فيه من الاخبار بأن به أسماكا مسمومة وأنت لما أطلقت البازى خلف الطائر وفاته اختطف هذه السمكة من ذلك البحر وان هذا البحر لا يصل اليه الا البازات الشهب فان أراد الملك صدق قولى فليحضر شخصا وجب عليه القتل وليطعمها له فينظر

صدق قولي فأتى الملك بشخص وجب عليه القتل فاطعمها له فلما أكلها اضطرب ومات في الحال فلما رأى الملك ذلك أنعم على الشاب بألف دينار وصار الملك لا يتصرف في شيء من الامور الا برأي ذلك الشاب

﴿ ذكر أخبار الثلج والبرد ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى خلق في السماء جبالا من ثلج و برد كما أن في الارض جبالا من حجر وهو قوله تعالى و ينزل من السماء من جبال فيها من برد الآية وفي بعض الاخبار ان الله تعالى خلق ملائكة نصف أبدانهم من ثلج ونصفها من نار فاذا أراد أن ينزل الثلج على مكان أمر تلك الملائكة أن ترفرف باجنحتها على الثلج فما يسقط الى الارض ثلج الا برفرفة أجنحة الملائكة (قال) ابن الجوزي في بعض مصنفاته ان في القرن الخامس من الهجرة وقع من السماء بردة وهي قطعة عظيمة في بعض جهات الغرب فاهتزت لها الارض وقتلت ما لا يحصى عددهم من البهائم والناس وكان أمرا مهولا

﴿ ذكر أخبار ما بين السماء والارض ﴾

(قال) كعب الاحبار رضي الله عنه ان بين السماء والارض سحابا لطيفا وفوقه طيور بيض رؤسها كرؤس الخيل ولها ذوائب كذوائب النساء ولها أجنحة طوال وليس لها في السماء ملجأ ولا في الارض مأوى وانها تبيض وتفرخ على السحاب في الهواء وتقر على السحاب كما تقر الطيور على الماء * و يقرب من ذلك أن الطير المسمى بالحجل يعشش في الهواء وانه يلقح في الهواء كما تلقح النخلة من النخل وانه يأتي الى أعشاش الطير فيأخذ من بيضها و يحضنه فاذا تحرك الفرخ في البيضة وصار له قوة على الطيران طار حتى يلحق بأمه التي باضته في الاصل ولا يقيم في الهواء و يقال ان العقاب لا يسافدها أنثاه وان الذي يسافدها من غير جنسه من الطيور نقل ذلك صاحب السكردان وقيل ان الحجل يكون في أسافل الريح والطير المسمى باليعسوب يكون في أعالي الريح فيلقح منه وقيل في المعنى

ما أنت الا كالعقاب فأمه * معلومة وله أب مجهول

(ومن) العجائب أن في بلاد الهند مدينة تسمى دكين و بها جبل يرى كله فيه نار من غير موقد و يقال ان بذلك الجبل طائرا يسمى السمندل وهو على قدر الرخمة وانه يعشش في ذلك الجبل الذي ترى فيه النار و يفرخ فيه ولا يحترق من تلك النار و يقال ان ريشه يعمل منه مناشف فاذا اتسخت ترمى في النار فتنقى من وسخها ولا تحترق و يعمل من ريشه فتائل للسراج فاذا فرغ الزيت تنطفئ منه الفتيلة ولا تأكلها النار ولو أقامت الى الابد و يقال ان دهن هذا الطير اذا طلي به الانسان بدنه ودخل النار لا تضره فاذا أراد الانسان ابطال عمل ذلك الدهن يطلي فوقه بالخل فانه يفسد الدهن ومن العجائب ان طائرا يسمى السمرمر وهو قدر الزرزور ومن شأنه أن يهلك الجراد قيل انه يأوي الى عين ماء في أقصى بلاد العجم فاذا نزل في بلادهم الجراد أرسلوا فارسين الى تلك العين فيحضران لهم من ماء

تلك العين فيعلقونه بين السماء والارض فاذا أتى الماء الى الارض التي فيها الجراد يتبعه الطائر المعروف بالسمرمر فيقتل الجراد و يفنيه عن آخره و يقال مادام ذلك الماء فى الارض لايدخل اليها الجراد * ومن شأن هذا الماء أنه اذا كان فى اناء ووضع على الارض بطل السر الذى به وأما قولهم فى ارسال فارسين الى تلك العين التى يأوى اليها السمرمر فارسال الفارسين خشية أن يموت أحدهما فيحضر الماء الآخر ويقال ان عين الماء هى التى تسمى السمرمر واليها ينسب ذلك الطير * ومما يؤيد هذا الخبر ان فى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة أحضر بعض الأعاجم الى الملك الظاهر جقمق قمقم نحاس مختوما وزعم أن فيه ماء السمرمر فانعم عليه السلطان بألف دينار فى مقابلة تعبه فعلق الملك الظاهر ذلك القمقم فى سقف القصر الكبير والسمرمر معلق به مدة طويلة فن يومئذ امتنع الجراد عن مصر * وفى بعض الاخبار مارواه ابن عباس رضى الله عنهما أن بين السماء والارض بحرا من نار وليس لها دخان فيقال ان الجان خلقوا من ذلك البحر (ومن الفوائد اللطيفة) مانقله الثعلبى فى كتاب العرائس ان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى أحدكم اناءه (وروى) ان اسم الغراب أعور وانما سمى بذلك لانه يغمض احدى عينيه من قوة بصره و يقتصر على الاخرى وقد قيل فى المعنى

وقد ظلموه حين سموه سيدا * كما ظلم الناس الغراب بأعورا

﴿ذكر أخبار الرياح﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى أربع رياح وهى الجنوب والشمال والصبا والدبور و يقال ان الرياح ثمانية أربعة منها فى الجهات الاربع وأربعة منها تسمى بالنكباء لميلها عن الجهات الاربع فريح الجنوب تجمع السحاب وقيل منها خلق الله الخيل وقيل انها سيدة الرياح وأما ريح الشمال فانها من جهة الشمال وهبوبها من ناحية القطب وهى باردة يابسة ويقال لها ريح الجنوب وأما ريح الصبا وتسمى أيضا ريح القبول وهى من ناحية الشرق واذا هبت على الابدان العليلة أنعشتها وتنفس عن المكروب كربته ويكون هبوبها عند السحر وأما ريح الدبور وتسمى أيضا العاصف والصرصر والعقيم وهى التى تهدم البناء وتقلع الاشجار قال أهل اللغة الريح العقيم لاماء معها وسميت عقيما لانها لاتلقح ولا تنتج كالمرأة التى لاتلد فانها تسمى عقيما * وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور * وقد جعل الله تعالى اقران الدبور بالريح العقيم واقران الجنوب بالريح الشمال وجعل ريح الشمال والصبا متعاقبين وجعل لكل ريح من هؤلاء أوقاتا معلومة لاتتجاوزها فاذا أراد الله تعالى أن يعذب قوما بالريح أفرد الريح العقيم من الدبور وسلطها على من يشاء من عباده

﴿ذكر مبدا خلق الارض﴾ (قال) الله تعالى هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش قوله تعالى فى ستة أيام اختلف جماعة من العلماء فى مقدار هذه الايام هل هى من أيام

الدنيا أم من أيام الآخرة قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك وآخرون من العلماء هي من أيام الدنيا وقال كعب الاحبار وابن جرير انها من أيام الآخرة التي كل يوم منها مقدار ألف سنة مما تعدون والاصح ماقاله ابن عباس ومجاهد والضحاك (قال) ابن عباس لما أراد الله تعالى أن يخلق الارض أمر الرياح جميعا أن تثور فثارت حتى هيجت المياه وأثارت الامواج فصار يضرب بعضها ببعض فلم تزل الرياح تضرب بالماء حتى أزبد وتراكم الزبد فصار منه حشفة بيضاء فصارت ربوة كهيئة التل العظيم فجعل الماء يقل والزبد ينمو بقدرة الله تعالى حتى بلغ وأحدق الماء من حوله فصارت الارض كالكرة البارزة في الماء قال وهب بن منبه لما خلق الله تعالى الارض كانت طبقة واحدة ففتقها فصيرها سبعا كما فعل بالسماء وجعل بين الطبقة والطبقة مسيرة خمسمائة عام وهو قوله تعالى ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي قال وهب بن منبه لما فتق الله تعالى الارض وجعلها سبعا كان اسم الطبقة الاولى أديما والثانية بسيطا والثالثة ثقيلا والرابعة بطيحا والخامسة حينا والسادسة ماسكة والسابعة الثرى وفي بعض الروايات تختلف أسماؤها * قال الثعلبي ان الارض الثانية تخرج منها الريح وسكانها أمم يقال لها الطمس وطعامهم من لحومهم وشرابهم من دمائهم والطبقة الثالثة سكانها أمم وجوههم كوجوه بني آدم وأفواههم كافواه الكلاب وأيديهم كايدي بني آدم وأرجلهم كارجل البقر وآذانهم كآذان البقر وعلى أبدانهم شعر كصوف الغنم وهو لهم ثياب ويقال ان ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والطبقة الرابعة سكانها أمم يقال لهم الحلهام وليس لهم أعين ولا أقدام بل لهم أجنحة مثل أجنحة القطا والطبقة الخامسة بها أمم يقال لهم الخشن وهم كامثال البغال ولهم أذناب كل ذنب نحو ثلثمائة ذراع وفي هذه الارض حيات كامثال النخل الطوال ولهم أنياب مثل الجبال والطبقة السادسة بها أمم يقال لهم الخثوم وهم سود الابدان ولهم مخالب كمخالب السباع ويقال ان الله تعالى يسلطهم على يأجوج ومأجوج حين يخرجون على الناس فتهلكهم والطبقة السابعة فيها مسكن ابليس اللعين وجنوده من المردة والشياطين وقال بعض علماء الهيئة ان الارض مبسوطة وقال آخرون انها كالكرة وهي واقفة في الافلاك والافلاك دائرة عليها من جميع جهاتها كالصفار من البيضة وهي موضوعة في جوف الفلك وبعدها في الفلك من جميع الجوانب على التساوي وسبب وقوفها في الوسط سرعة دوران الفلك ودفعه اياها من كل جهة الى الوسط كما لو وضعت ترابا في قارورة وأدرتها بقوة فان التراب يقوم في الوسط وأما من قال ان الارض مبسوطة فقال ان البحر المحيط الذي هو أربعة وعشرون ألف فرسخ محيط بها كما يحيط الخاتم بالاصبع قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان حول الدنيا ظلمة ثم وراء تلك الظلمة جبل قاف ويروى ان الله تعالى لما خلق الارض صارت واقفة في الهواء فحركها الريح فاضطربت وماجت فشكت ذلك الى ربها وقالت يارب قد

ضعفت قوتى واستخفنى الريح وحركنى فاوحى الله تعالى اليها انى مؤيدك بالاطواد وهى الجبال فاستقرت بعد ذلك الاضطراب * وقال وهب بن منبه ان الجبال خلقت من أمواج البحر قال الله تعالى والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها الآية وهذا يدل على أن الله تعالى خلق السموات قبل الارض بمدة طويلة قال الثعلبى لما خلق الله تعالى الارض بعث اليها ملكا من تحت العرش فدخل من تحت الارضين السبع وأخرج احدى يديه من المشرق والاخرى من المغرب وقبض على أطراف الارض فلم يكن لقدميه قرار فاهبط الله تعالى ثورا من الجنة اسمه نون له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة من القرن الى القرن خمسمائة عام فاستقر قدم ذلك الملك على ذلك الثور فلم يكن لاقدام ذلك الثور قرار فانزل الله تعالى ياقوتة خضراء من يواقيت الجنة غلظها خمسمائة عام فاستقرت قوائم الثور على تلك الياقوتة الخضراء ثم خلق الله تعالى صخرة كغلظ السماء والارض وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة الآية واسم الصخرة صيخور وروى أن فى هذه الصخرة تسعة آلاف ثقب فى كل ثقب منها بحر لا يعلم عظمه الا الله فاستقرت تلك الياقوتة الخضراء عليها ولما لم يكن للصخرة قرار أهبط الله تعالى اليها حوتا عظيما من البحر السابع الذى تحت العرش ويقال اسم الحوت بهموت وقيل بلهوت فاستقرت تلك الصخرة على ظهر الحوت وقيل لا يقدر أحد أن ينظر الى ذلك الحوت من بريق عينيه ولو وضعت بحار الدنيا كلها فى احدى منخريه لكانت كالخردلة فى أرض فلاة فاستقر الحوت على الماء وصار واقفا مكانه لا يتحرك فقال اللهم لك الحمد بك قويت وبحولك استطعت ولولا ذلك لما كان لى قوة على حمل ما استحملتنى اياه فاذن لى يارب بالسجود شكرا لك على ذلك فاذن الله تعالى له بان يسجد فادخل رأسه فى الماء حتى غاب ثم أخرجه من الماء فهو يسجد فى كل يوم الى يوم القيامة ثم جعل الله تعالى تحت الماء الهواء وتحت الهواء الظلمة ومن هناك ينقطع علم الخلائق ويروى فى بعض الاخبار ان الله تعالى وكل بذلك الحوت ملائكة يأتونه بغذائه فى كل يوم على قدر شبعه فيأتونه من البحر المسجور بالف حوت كل حوت طوله مسيرة يوم وليلة (أما) الثور فوكل الله تعالى ملائكة بغذائه فى كل يوم بالف شجرة من بساتين القدرة طول كل شجرة مسيرة يوم وليلة فسبحان القادر على كل شئ (ويروى) فى بعض الاخبار ان ابليس اللعين لا زال يغوص الى الارض السابعة حتى وصل الى الحوت المسمى بهموت فتقدم اليه وقال له يا بهموت ان الثور يقول لك انه هو حامل الصخرة التى عليها الارضون وانك لا حمل لك مع حمله ولو كلفت أنت بحمل ذلك لم تطق وأنت الذى حملته وحملتها ولو كلفت الثور بحمل ذلك لم يطق فاعجب الحوت فى نفسه وبقوته فظن ابليس اللعين انه قد أغوى الحوت وانه سيفسد ما عليه فاضطرب الحوت من تحت قوائم الثور فسلط الله تعالى على

الحوت دابة لطيفة قدر فراشة واسمها الآمة فاوقفها بين عيني الحوت فصارت تنقره على دماغه حتى وصلت الى عظم دماغه فذل ووقف مكانه ولم يتحرك واشتغل بما ناله من الالم من تلك الدابة ثم ان ابليس اللعين مضى الى الثور وأغواه كما أغوى الحوت فسلط الله على الثور دابة لطيفة وأجلسها عند منخره فذل ووقف كما وقف الحوت ولم يتم لابليس اللعين مادبره من الحيلة للفساد أورد ذلك الثعلبي (قال) ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الارض يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الاشجار يوم الاثنين وخلق الكروم يوم الثلاثاء وخلق الظلمة والنور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام يوم الجمعة وقد اختلف جماعة من العلماء في اليوم الذي ابتدأ الله تعالى فيه بالمخلوقات وهو على ثلاثة أقوال فقال ابن اسحق هو يوم السبت وقال كعب الاحبار هو يوم الاحد وقال أهل الانجيل هو يوم الاثنين وقال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى في يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة الى ثلاث ساعات مضين من يوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر يوم الجمعة وأهبط من الجنة عند غروب الشمس من يوم الجمعة وقال وهب بن منبه انما سمي يوم الجمعة لان طينة آدم عليه السلام جمعت فيه فلذلك سمي الجمعة (قال) حذيفة اليماني روى في بعض الاخبار ان الدنيا مسيرة خمسمائة عام منها ثلثمائة عام بحار وجبال ومائة عام عمار ومائة عام خراب وقال بعض علماء الهيئة ان الجهات ستة الشرق وهو حيث تطلع الشمس أي تشرق والقمر والنجوم والغرب وهو حيث يغربن فيه والشمال وهو حيث مدار الجدي وقد أفرط هناك البرد والجنوب وهو حيث مدار سهيل وهو ما يلي كرة السماء والتحت وهو ما يلي كرة الارض والفوق وهو ما يلي الافلاك قال بعض الحكماء فجهة الشمال واقعة تحت مدار الجدي وقد أفرط هناك البرد فيصير ستة أشهر ليلا دائما مستمرا وهذه مدة الشتاء لا يرى هناك النهار وتجمد في هذه الجهة المياه لقوة البرد فلا ينبت فيها شئ من النبات ولا يقيم فيها حيوان وأما جهة الجنوب فحيث مدار سهيل فيصير هناك ستة أشهر نهارا دائما مستمرا بغير ليل وهذه مدة الصيف فيفرط هناك الحر والسموم فلا ينبت فيها نبات ولا يقيم فيها حيوان لشدة الحر هناك فلا تسكن تلك الجهات ﴿ ذكر أخبار أجزاء الارض ﴾ قال الحكيم هرمس الدنيا سبعة أجزاء جزء منها للترك وجزء منها للعرب وجزء منها للفرس وجزء منها للسودان وثلاثة أجزاء منها ليأجوج ومأجوج وقال ان الاقاليم أيضا سبعة وهو اقليم الصين واقليم الحجاز واقليم الهند واقليم الروم واقليم يأجوج ومأجوج واقليم العرب وقال أطراف الدنيا أربعة والنواحي خمسة وأربعون والمدائن والحصون أحد وعشرون ألفا وستمائة مدينة في الاقليم الاول ثلاثة آلاف ومائة مدينة وفي الاقليم الثاني ألف وسبعمائة وثلاث عشرة مدينة وفي الاقليم الثالث ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسعة وسبعون

مدينة وفى الاقليم الرابع ألف وتسعمائة وأربعون مدينة وفى الاقليم الخامس ثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون مدينة وفى الاقليم السادس ثلاثة آلاف وخمسمائة مدينة وفى الاقليم السابع ثلاثة آلاف وتسعمائة مدينة ولم يذكر هرمس غير المذكور هنا وذلك غير القرى والرساتيق وذكر ان مساحة الدنيا خمسة آلاف ألف فرسخ وخمسمائة ألف فرسخ وثلاثة وستون ألف فرسخ والفرسخ ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف ذراع بالذراع القديم وهو ستة وثلاثون أصبعا بخلاف الذراع الهاشمى ويقال ان العالم السفلى مقسوم أيضا على سبعة أجزاء وفيه أيضا أقاليم كما فى أعلى الارض انتهى ذلك ﴿ذكر خلق البحار﴾ قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزى ان الذى عرف من البحار فى الدنيا تسعة وعشرون بحرا غير ما ظهر من الانهار والعيون ﴿فائدة لطيفة﴾ فى الفرق بين البحر والنهر (قال) الجوهرى فى الفرق انما سمى البحر بحرا لاستبحاره وانبساطه وسعته لانه شق فى الارض شقا وفى كلام العرب الشق هو البحر فكانوا يقولون للناقة اذا شقوا أذنها بحيرة وقال الزجاج وكل نهر ذى ماء كثير كبحر لكن اذا جرى يقال له نهر كدجلة والفرات والنيل وما أشبه ذلك ويكون الماء اذا اتسع ولم يجر بحرا واذا جرى فهو نهر ويقال للبحر الصغير بحيرة قال ابن الجوزى ان الذى عرف من البحار فى الدنيا تسعة وعشرون بحرا ففى جزيرة الشرق منها ثمانية بحور وفى جزيرة الشمال أحد عشر بحرا وفى جزيرة الجنوب اثنان وفيهما من الجزائر المعروفة احدى وسبعون جزيرة وفى جزيرة الشرق ثمان جزائر وفى جزيرة العرب ست عشرة جزيرة وفى جزيرة الشمال احدى وثلاثون جزيرة وفى جزيرة الجنوب ست عشرة جزيرة (وأما) البحار الكبار المشهورة فسبعة وهى المحيطة بالدنيا ويقال ان مسافته أربعة وعشرون ألف فرسخ وجميع البحار تأخذ منه قال بعض العلماء انما سمى البحر المحيط محيطا لاحاطته بالدنيا ولذا كان الحكيم ارسطاطاليس يسميه الاكليل لانه حول الارض بمنزلة الاكليل على الرأس وبهذا البحر من العجائب ما لا يسمع بمثلها ويخرج من هذا البحر ستة بحار كبار أعظمها اثنان وهما اللذان ذكرهما الله تعالى فى القرآن فى قوله عز وجل مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان أحدهما يخرج من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب فالشرقى يقال له الصينى والهندى والفارسى واليمنى والحبشى والغربى يقال له البحر الرومى * وأما ذكر عجائب البحر المحيط فقال ابن الجوزى ان فيه جزائر فيها غنم لا يحصى عددهم ولحومهم مرة لا تؤكل فينتج منها أهل الجزائر ويصنعون منها الانطاع وبهذه الجزائر شجر يطرح شيأ مثل التين ومن شأنه انه اذا أكله المسموم يبرأ من وقته وفى هذه الجزائر حيات عظيمة تبتلع الجاموس وفى هذا البحر أسماك كل سمكة مسيرة ثلاثة أيام ويرى فى عينها كالبرق الخاطف وفيه سرطانات عظيمة قدر الجبل وفيه حجر يسمى البهت اذا

أمسكه أحد من ذوي الحوائج ودخل على سلطان أوحاكم انعقد لسانه عنه وقضيت حاجته منه وفي هذا البحر عجائب كثيرة وهو بحر مظلم كدر المياه منتن الروائح صعب المسالك لما فيه من الدواب الكواسر وهيجان أمواجه لا يعلم له آخر ولا يقف أحد على صحة أخباره سوى ما عرف من بعض سواحله وما قرب من جزائره اه والبحر الثاني هو البحر الصيني ومخرجه من الشرق وهو كدر اللون ومخرجه من البحر المحيط (ومن عجائبه) ان به مغاوص اللؤلؤ وبه معدن المرجان فيقال انه ينبت في قاع البحر كما تنبت الاشجار في الارض وتتشعب منه عروق في الماء وهي لينة مثل عروق الشجر فاذا قلعت تجف في الهواء وتتحجر بها وتحملونها فتصير جامدة وقيل ان الغائصين عليه يعمدون الى شباك من القنب الغليظ ويثقلونها بالحجارة حتى انها تدور بها من أصول الشجرة ثم يجذبونها حتى تنقلع فيخرجونها الى البر ويتركونها حتى تجف ثم يفصلونها قطعا قطعا كبارا وصغارا على قدر ما أرادوا (وأما) أخبار اللؤلؤ فقيل ان الذين يغوصون على اللؤلؤ يعمدون الى أخشاب من شجر المقلي ويدلونها بحبال من الليف في أماكن معروفة بمواضع اللؤلؤ ويجعلون في تلك الاخشاب حجارة سودا كبارا نحو ستين رطلا وسبب ذلك أن في تلك الاماكن من الحيوانات أشياء كثيرة تبتلع الغائصين فتنفر من الحجارة السود * وقيل ان الغائصين اذا رأوا شيأ من الحيوانات الكواسر ينبحون عليها كنبح الكلاب فتنفر منهم فعند ذلك يصيدون الصدف ثم ان الغائص يلتقط الصدفة ويضعها في الوعاء الذي في صدره فاذا أخرجها الى البر استخرجوا من بطونها اللؤلؤ فمنه صغار ومنه كبار ﴿ومن الحكايات الغريبة﴾ أن بعض التجار سافر الى مغاوص اللؤلؤ فانفق جميع ما يملكه للغواصين ولم يطلع له شيء من اللؤلؤ فلم يبق معه شيء فساعدته التجار وأعطوه شيأ للغطاسين حتى غطسوا له مرة أخرى فلما غطسوا وغابوا في البحر ساعة ثم طلعوا له ببنت من بنات البحر لها ذوائب مثل شعر النساء وهي حسنة الصورة فاخذها ذلك التاجر ومضى بها الى منزله فقعدت عنده ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم فقال لها ذلك التاجر بالاشارة تسيرين الى البحر فاشارت اليه برأسها نعم فاخذها ووضعها في مركب ودخل بها الى المكان الذي أخرجوها منه فلما رأت الموضع الذي أخذت منه ألقت نفسها الى البحر فلما صارت في قاع البحر سمع من ذلك المكان ضجيج عظيم فلما أراد أن يرجع بالمركب أمهل ساعة فلم يشعر الا بصدف يرمى في المركب من البحر فلا زالوا يرمون له من البحر حتى أوسقوا المركب من صدف اللؤلؤ فرجع وهو أغنى التجار (وأما) ما كان من أخبار بحر الهند وهو البحر الثالث ومخرجه من البحر المحيط أيضا فيمتد من المغرب الى المشرق ويخرج منه أربعة خلجان خليج يمتد خلف أرض الهند ويمشي من حواليها ألفا وسبعمائة ميل وخليج يمتد الى ايلة ويقال ان بهذا الخليج الفا وثلاثمائة وسبعين جزيرة عامرة

بالسكان وامتداده ثمانية آلاف ميل وقيل أكثر من ذلك وعرضه ألفان وسبعمائة ميل وبه من العجائب مالا يحصى * قيل ان من بعض جزائره جزيرة سكانها مثل الوحوش ووجوههم مثل وجوه البغال وجسدهم مثل جسد بنى آدم وبه توجد الدابة التى منها العنبر الخام وقد روى فى بعض الاخبار أنّ دابة العنبر كانت من أعظم دواب البحر وكان طولها نحو مائة ذراع فصارت تفسد الزرع وتأكل كل الاشجار فساقها جبرائيل عليه السلام الى البحر المحيط فصارت من دوابه فتطلع الى الجزائر وترعى من الاشجار والاعشاب الطيبة فتقذف من بطنها هذا العنبر الخام فيجدونه فى بعض جزائر هذا البحر وقيل انها تقذف من بطنها فى كل يوم مرة قدر خمسمائة رطل ويوجد فى هذه الجزائر دابة الزباد وهى مثل الهرة والزباد من عرق ابطها ويوجد فى هذه الجزائر العود القمارى وهو من خشب أشجار تلك الجزائر وليس له هناك رائحة طيبة ويوجد فى هذه الجزائر أحجار براقة ولها لمعان يتلألأ نوراو تسمى هذه الاحجار ضحكة الباهت ومن شأن هذه الاحجار انها اذا نظر اليها انسان ضحك فى الحال واستمر يضحك الى أن يموت وفى هذه الجزائر سباع لها قرون طوال ولا يقدر أحد من الناس أن يقابلها فيثبون عليه وفيها أفيال عظيمة الخلقة فنها مالونه أبيض ومنها مالونه أسود وفيها النمور والفهود وأشياء كثيرة من الوحوش الكواسر انتهى ما أردناه من ذكر البحار السبعة وذلك على سبيل الاختصار والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ذكر أخبار الانهار والبحيرات﴾ فاما البحيرات المشهورة فهى بحيرة السودان ببلاد المغرب وبحيرة الفيوم وبحيرة نسترة وهى بين الاسكندرية ورشيد وبحيرة دمياط وتنيس وبحيرة زعر التى ماؤها منتن ويخرج منها نهر الاردن وهو نهر الشريعة وبحيرة طبرية المنسوبة الى بلد هناك وهى خراب على شاطئها الغربى وفيها حمام ماؤه حار بصنع الله تعالى (قال) الثعلبى فى قصص الانبياء ان هذا الحمام بناه سليمان بن داود عليهما السلام وكان من عجائب الدنيا حتى قيل ان من جملة عجائب الدنيا ثلاثة منارة الاسكندرية وحمام طبرية وجامع بنى أمية وكان ماء هذا الحمام يخرج من اثنتى عشرة عينا * فكان ماء كل عين منها مخصوصا بمرض من الامراض فاذا اغتسل منه صاحب ذلك المرض عوفى باذن الله تعالى وكان ماؤها شديد الحرارة صافى اللون ولم يزل هذا الحمام عامرا على ماذكرناه حتى خربه بختنصر لما استولى على البلاد كما سيأتى وبحيرة بانياس الكبيرة التى تخرج منها عدة أنهار وبحيرة البقاع بالقرب من بعلبك ودمشق وبحيرة القدس الشريف وبحيرة حمص وانطاكية وبحيرة دست أرزن بالقرب من شيراز وبحيرة خوارزم وماؤها مالح وبحيرة أرجيس وهو شرقى اخلاط وماؤها مالح أيضا وهى بحيرة كبيرة دورها مسيرة أربعة أيام وهذه البحيرة يصاد منها السمك المعروف الذى يخرج منه البطارخ الذى يحمل منه الى سائر البلاد (قال) أبو يعقوب الصياد كنت أصطاد يوما فى بحيرة أرجيس فاصطدت منها

سمكة فرأيت على جنبها الأيمن مكتوبا بقلم القدرة لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رأيت ذلك قذفتها فى الماء احتراما لما رأيته عليها من الكتابة

﴿ ذكر أخبار الانهار ﴾ المشهور منها الدجلة ونهر سيحان ونهر جيحان والفرات والنيل * فاما الدجلة فيقال ان الذى حفرها وأجرى اليها الماء من الفرات هو دانيال عليه السلام قال بعض الحكماء ان الشرب من ماء الدجلة يضعف شهوة الرجال ويزيد شهوة النساء ويقطع نسل الخيل حتى ان جماعة من العرب كانوا لا يسقون منها خيلهم وأما جريانها فانها تجرى من بلاد آمد الى ديار بكر وهى أعين من بلاد خالد ومقدار جريانها على وجه الارض ثلثمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك * ومن عجائب الدجلة المد والجزر وهو دائم فيها مع الريح كل يوم صيفا وشتاء وأما الفرات فبدؤها من بلاد قاليقلا من ثغور أرض نحو أرمينية من جبال هناك تدعى أتودخس على نحو يوم من قاليقلا ومقدار جريانه على وجه الارض خمسمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك وأما لآن فجريانه من شمالى الاردن من بلاد الروم من جهة الشرق ولا يزال يجرى على وجه الارض حتى يخرج الى فضاء العراق ثم يصب فى بطائح كبار فيجرى منها أنهار كثيرة معروفة فى تلك الجهات قال ابن الوردى

ان للشام فراتا * لم تصل مصر اليها
كم بمصر من وجوه * فضل النيل عليها

وأما نهر سيحان وجيحان فهما غير سيحون وجيحون قال النووى فى شرح مسلم فى قوله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة قال كعب الاحبار ان النيل هو نهر العسل فى الجنة والفرات هو نهر الخمر فى الجنة وسيحان هو نهر الماء فى الجنة وجيحان هو نهر اللبن فى الجنة وقيل ان عناصر هذه الانهار الاربعة تجرى من تحت سدرة المنتهى وقيل من تحت صخرة بيت المقدس والله أعلم بذلك ﴿ فائدة ﴾ وهى أن الدابة اذا أصابها المغل يكتب على قوائمها الاربعة على كل قائمة اسم نهر وهو سيحان وجيحان والنيل والفرات فانها تبرأ من ساعتها سريعا وقد جرب ذلك وصح وأما نهر مهران بارض الهند فقيل انه فرقة من النيل وقد استدلوا على ذلك بان فيه التماسيح والضفادع

﴿ ذكر البحار ﴾ أما بحر الترك وهو المعروف ببحر الخزر وهو بحر كبير عرضه ثمانية عشر ألف ميل وطوله ستة آلاف ميل وقد صار فيه مائة وسبعون جزيرة منها اللاذقية وبيروت واقريطش ويمر على بلاد الغرب قاطبة منها افريقية وبرقة والاسكندرية وأرض فلسطين من سواحل الشام ثم ينعطف من هناك الى انطاكية فيمر على بلاد كثيرة منها القسطنطينية وغيرها الى بلاد المغرب

ثم ينتهى الى البحر المحيط الذى خرج منه وقال ابن عبد الحكم فى تاريخ مصر ان الذى خرق هذا الثقب وأجرى ماءه هو الاسكندر ذو القرنين فسلطه على أهل تلك البلاد لما عصوه ولم يدخلوا تحت أمره وقال بعض علماء التفسير ان هذا المكان هو مجمع البحرين الذى تلاقى فيه موسى والخضر عليهما السلام كما ذكر فى القرآن العظيم (أقول) وقد كانت ملوك الافرنج تسمع باخبار هذا الثقب قديما وانه يمكن ان ينفذ الى بحر الهند منه وكانوا يوصون أولادهم بان لا يغفلوا عن الثقب حتى يتسع سم الثقب فكانوا يتوارثون التوصية و يوسعون فى الثقب فصارت تدخل المراكب الكبار فى ذلك الثقب فى أوائل القرن العاشر فصارت طائفة من الافرنج يقال لهم البرتقال يدخلون من هذا الثقب فى المراكب الكبار ويصلون الى بحر الهند نحوا من ثلاثين مركبا مشحونة بالمقاتلين بانواع السلاح والمدافع فصاروا يحرجون على التجار المسافرين فى بحر الهند يملكون منهم عدة قرى من بلاد الهند فارسل الملك الاشرف الغورى وزيره بتجريدة فى مراكب وصحبته الامير حسين فكسرهم العسكر المصرى وكسبوا منهم مراكب مشحونة بالمال والقماش والسلاح وغرق منهم مراكب بعد ما كسروا المدافع قال وقتل ابن البرتقال فى هذه الواقعة ثم بعد ذلك كرت الافرنج بعد مدة يسيرة على مراكب المسلمين على حين غفلة وكانت متفرقة فكسرتهم الافرنج ونهبت جميع ما كان مع المسلمين * وأما بحر طبرستان وهو البحر السادس وطوله من المشرق الى المغرب ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وامتداده من البحر المحيط وفيه عشرون جزيرة منها ما هو مسكون ومنها ما هو خراب ومن عجائب هذا البحر أن فيه جزيرة فيها شجرة تثمر مثل اللوز وله قشر فاذا كسر خرجت منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله وهى كتابة واضحة جيدة وبها شجرة لها أوراق كبار على قدر ورق القلقاس مكتوب على كل ورقة بخط أخضر أشد من خضرة الورق لا اله الا الله محمد رسول الله * وقيل ان عبدة الاوثان من قديم الزمان قطعوا هذه الشجرة فنبتت من ليلتها فعمدوا الى رصاص فذوبوه وقلبوه فى جذر ما قطع من تلك الشجرة فلم تنبت * وقيل ان فى بعض جزائره شجرة تطرح نوعا مثل التفاح نصفها حلو فى غاية الحلاوة ونصفها حامض فى غاية الحموضة وذلك التفاح أبيض اللون مكتوب عليه على هيئة الجلالة بخط أحمر جيد الكتابة وفى بعض جزائره وحش يشبه خلقة بنى آدم وهو ملفوف القامة وظهره عظمة واحدة وأهل تلك الجزيرة يرمون عليه بالنشاب ليصيدوه فلا يؤثر فيه النشاب و يولى عنهم و يشتمهم بالفارسية واذا جرى فلا تلحقه الخيل الغائرة وفى بعض جزائره أناس لهم ثلاثة أعين فالثالثة بين حواجبهم اه وأما البحر الزفتى فهو البحر السابع ولونه أسود ومادته من البحر المحيط وهو كريه الرائحة وخيم الهواء و يقال ان النيل ينحدر من أعلى جبل القمر و يمر فى هذا البحر فيصير فوقه كالخيط

الابيض على الثوب الاسود فتبارك الله أحسن الخالقين سبحان الذى أتقن كل شئ وهذا البحر قليل المسالك صعوبته لا يرى فيه شمس ولا قمر دائما فاذا طلعت الشمس فى الدنيا يظهر فيه بعض شفق أحمر من ضوء الشمس وبه جزائر يطلع فيها قصب فارسى يدخل فى جوف القصبة الجمل بحمله وفى هذا البحر أسماك كبار تبلع المراكب لعظم خلقتها * وقد روى فى بعض الاخبار عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان تحت العرش بحرا فيه أسماك لها أجنحة تطير بها الى الارض فتحرق الشمس أجنحتها فتقع على الغمام فيلقيها الغمام الى هذا البحر فتتربى فيه وقال بعض العلماء لما علم الله تعالى ان الوحوش الكواسر ضررها أكثر من نفعها أقل من نسلها فكانت اللبؤة لاتحمل الا فى كل سبع سنين مرة واحدة واذا حملت أقامت عشر سنين حتى تضع ونقل بعض الحكماء ان الفيل اذا اغتلم وطلب النكاح لا يعلو الفيلة بل يحك جنبه بجنبها حتى يجد اللذة فيمنى ثم يرخى ذكره فينزل المنى فى زلومته فيضعه فى فرج الفيلة فتارة تحمل وتارة لاتحمل ومن هناك قل نسل الافيال والله أعلم بحقيقة الحال ويوجد فى هذه الجزائر شجر حصى اللبان وشجر الآبنوس وفيها أحجار اذا انقعت فى الزيت يضىء مثل الفتيلة ولا يطفأ دلك * وأما البحر الغربى وهو البحر الرابع فامتداده من البحر المحيط أيضا وهذا البحر لا يعرف منه الا ما ظهر من جهة الغرب وينتهى الى بلاد الحبشة والى خلف بلاد رومية وهو صعب المسالك لا يعرف له منتهى وفى بعض جزائره أشخاص متوحشة تسمى الغيلان وهى تقرب من شكل بنى آدم ولا تظهر الا بالليل وتهلك كل من تراه واذا جرى الواحد منهم فلا تلحقه الخيل لغاية ولا يؤثر فيه وقع السهام ويتناثر من فمه مثل شرار النار واذا طلع عليه النهار يختفى فى مغاير هناك الى أن يدخل الليل وفى بعض جزائره يقطين عظيم الخلقة قيل انه يعمل من نصف اليقطينة مركب صغير يعدون فيها الى البر وفى هذه الجزيرة حيات عظيمة الخلقة لها ذوائب شعر وهى تسبح فى البحر وتسد ما بين البرين فاذا أشرقت الشمس وثبت عليها لكى تبلعها وكذلك اذا غربت وفى هذا البحر أمم على صور مختلفة ما بين شكل بنى آدم من رجال ونساء فمنهم من رأسه أقرع وله ذقن بيضاء يسمونه شيخ البحر وفيه مثل شكل الكلب والخنزير والقط والفرس والحمار والبقر والغنم وغير ذلك كما فى البر من الحيوانات وتزيد على البر من الاجناس قال بعض الحكماء ان حيوان البحر اذا أقام فى البر هلك وحيوان البر اذا أقام فى البحر هلك وسبب ذلك ان الله تعالى خلق حيوان البحر لا رئة له لان بها يقع النفس فلا اقامة له فى البر قال كعب الاحبار خلق الله ثمانين ألف أمة وجعل نصفها فى البحر ونصفها فى البر وهم على صور مختلفة وفى هذا البحر جزائر ينبت فيها قضبان لها لون كلون الذهب فاذا طلعت عليه الشمس صار له لمعان فلا يستطيع أحد أن ينظر اليه وأما البحر الرومى وهو البحر الخامس ومادته من البحر المحيط أيضا ويمتد من أعلى أفريقية

والشام ويتصل بطرسوس وهو خمسة آلاف ميل وعرضه سبعمائة وستون ميلا وفيه جزائر عامرة يسكنها أمم من بنى الأصفر وغيرهم وفيه كثير من العجائب قيل ان فى بعض جزائره تطلع دابة فى كل سنة من البحر تشبه البقرة وفيها روح تقيم ساعة فى البر ثم تموت فتصير قطعة زفت فيبيعها أهل تلك الجزيرة للافرنج فيطلون بها تلك المراكب ونقل الباشورى فى بعض مصنفاته ان ملكا من ملوك اليونان قصد أن يحفر خليجا من البحر الغربى الى البحر الشرقى ويرفع البرزخ من بينهما وكانت جزيرة الاندلس وبلاد البرابرة ينبت فيها شجر الجميز وكانت تلك الارض وخمة يسكنها أقوام من اليونان وكان بتلك الارض الطائر المعروف بالققنس وهو طائر حسن الصوت اذا سمعه انسان غلب عليه شدة الطرب فيموت السامع من وقته وكان هذا الطائر اذا حان موته حسن صوته قبل أن يموت بسبعة أيام فلا يمكن أحدا أن يسمع صوته الا يموت * ويقال ان عامل الموسيقيا كان من الفلاسفة فاراد أن يسمع صوت الققنس وهو فى شدة صياحه فخشى على نفسه أن يموت من الطرب فسد أذنيه سدا محكما ثم قرب اليه وجعل يفتح أذنيه شيأ فشيأ ثم استكمل فتح الاذنين فى ثلاثة أيام الى أن وصل الى سماعه رتبة بعد رتبة وقيل ان ذلك الطائر هو وأفراخه غرقوا لما هجم الماء على تلك الارض فلم يبق له وجود بعد ذلك ويقال ان الملك الذى أجرى ماء هذا الخليج حفر زقاقا طوله ثمانية عشر ميلا فى عرض اثنى عشر ميلا وبنى بجانبه عضادتين وعقد عليهما قنطرة فلما فتح البرزخ من البحر الغربى فتح منه قدرا يسيرا من ثقب فى جبل كان حاجزا بين تلك الارض والبحر فلما دخل الماء فى ذلك الثقب كان ماء البحر الغربى أعلى من تلك الارض فلما ساح الماء غطى تلك العضادتين والقنطرة وساق قدامه بلادا كثيرة * وأما نهر العرجاء ويسمى أيضا نهر أبى بطرس وهو شمال مدينة الرملة ومجراه نحو اثنى عشر ميلا ومنبعه من تحت جبل الخليل عليه السلام وينتهى حتى يصب فى البحر الرومى * وأما نهر الاردن وهو نهر الغور المسمى بالشريعة وينتهى الى بحيرة طبرية وقد عد الدجلة أيضا من جملة الانهار وانها تجرى من بلاد الروم الى أعلى آمد وحصن كيفا والموصل وتكريت وبغداد وواسط والبصرة وتنتهى الى بحر فارس * وأما نهر حماة وحمص المسمى بالعاصى فانه يجرى من جهة الجنوب الى الشمال وهو بخلاف غيره من الانهار فانه لا تسقى منه الارض الا بالنواعير ومنه فرقة تمضى الى بعلبك وينتهى فى مصبه الى البحر الرومى وقد قالت الشعراء فيه * فمن ذلك ما قيل فيه

ناعورة فى النهر أبصرتها * تشوق الدانى والقاصى
قد نبهتنا للهدى والتقى * لانها تبكى على العاصى
أضحت حماة للورى جنة * يدخلها الدانى مع القاصى

ولم يكن يسمع من قبل ذا ＊ بجنة في وسطها عاصي

قال بعض الحكماء وكان من تمام حكم الله تعالى أن جعل الانهار الحلوة جارية والبحار المالحة راكدة لان ركودها انمة ودفع مضرة وأيضا البحار المالحة يصب فيها جميع الانهار وماء السيول والعيون وهي لا تزيد بقدرة الله تعالى فلو زادت لاغرقت الارض وهذا من رحمة الله تعالى كما أخبر في القرآن العظيم مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان

﴿ ذكر أخبار النيل ﴾ قال الواقدي ان معاوية بن أبي سفيان قال يوما لكعب الاحبار هل تجد للنيل ذكرا في كتاب الله تعالى يعني في التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال والذي فرق البحر لموسى اني لاجد في التوراة أن الله يوحي اليه عند ابتدائه ويأمره أن يجري حيثما شاء الله تعالى ثم يوحي له عند انتهائه ويأمره أن يرجع راشدا حيث شاء الله تعالى يعني أن الله تعالى يوحي اليه عند زيادته ونقصانه

﴿فصل في بيان المكان الذي يخرج منه النيل وفي المكان الذي يذهب منه﴾ قال المسعودي في مروج الذهب نقل صاحب الاقاليم السبعة ان أصل النيل من جبل القمر من عشرة أعين فتجتمع كل خمسة أعين في بطيحة هناك ثم يجريان وذكر أن صفة جبل القمر انه منقوش وعلى رأسه شرار بشكبار وذكر أن جبل القمر خلف خط الاستواء الذي يستوي فيه الليل والنهار دائما وان القمر يطلع من عليه وقال المسعودي ان النيل يجري على وجه الارض ألف فرسخ في عمار وخراب حتى يأتي الى بلاد السودان من صعيد مصر والى هذا الموضع تصعد المراكب من الفسطاط وعلى أميال من أسوان جبال وأحجار يجري النيل في وسطها فلا سبيل الى جريان السفن فيه وهذا الموضع فارق بين مواضع سفن الحبشة وسفن المسلمين ويعرف هذا الموضع بالجنادل والصخور ثم ان النيل ينتهي الى بحر دمياط ورشيد والاسكندرية فيصب في البحر المالح من هناك انتهى كلام المسعودي ＊ وقال الكندي ان النيل يخرج من قبة من الزبرجد ويمر على أرض ينبت فيها قضبان الذهب فيفترق من هناك نهران أحدهما يجري الى أرض الهند ويسمى نهر مهران والآخر يجري نحو أرض الزنج وقال هرمس يخرج من هذه القبة أربعة أنهار هي سيحان وجيحان والفرات والنيل (ومما يحكى) أن ملك نقرواش الجبار ابن مصرايم توجه الى منبع النيل فحفره وأصلح مجراه وكان يسيح في الارض ويتفرق من غير حاجز فهندسه وساق منه عدة أنهار الى أماكن كثيرة لينتفع بها الناس وعمل هناك تماثيل من نحاس عدتها خمسة وثمانون تمثالا جامعة للماء حتى لا يخرج ماء النيل عنها وجعل لها منافذ مستديرة يخرج الماء من حلوق تلك التماثيل وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع أذرع معلومة فتخرج تلك الانهار ثم تصب في بطيحتين فيخرج منهما المياه الى بطيحة

كبيرة جامعة للمياه وجعل للتماثيل مقادير بين المياه ليكون فيها الصلاح لارض مصر دون الفساد وقدر ذلك على ستة عشر ذراعا وكان الذراع يومئذ اثنين وثلاثين أصبعا ثم جعل فضلات تلك المياه تخرج الى مسارب عن يمين التماثيل وعن شمالها ثم تصب الى رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء ولولا ذلك لغرق ماء النيل ما كان يمر عليه من البلدان قاطبة وقال لولا ان ماء النيل يمر فى البحر المالح و يكتسب من ملحه لشرب من مائه ماهو أحلى من العسل وأبيض من اللبن (وقال) بعض الحكماء لولا الليمون بمصر لوخم أهلها من حلاوة النيل ولماتوا ولكن حموضة ماء الليمون تمنع الصفراء وقال الكندى ان النيل يمر على ستين مملكة من ممالك الحبشة والزنج (وقال) ابن زولاق فى تاريخه ان بعض الملوك أمر أقواما بالسير الى حيث يجرى النيل فساروا حتى انتهوا الى جبل عال والماء ينزل من أعلاه وله دوى وهدير حتى لا يكاد أحد يسمع صوت من فى جانبه من أصحابه من دوى الماء ثم ان أحد القوم تسبب فى الصعود الى أعلى الجبل لينظر ماوراء ذلك فلما وصل الى أعلاه ضحك وصفق بيديه ثم مضى فى الجبل ولم يعد ولم يعلم أصحابه ماشأنه ثم ان رجلا آخر منهم صعد بعده ليرى ماوراء ذلك الجبل وما كان من أمر صاحبه ففعل مثل صاحبه وصفق ومضى فى الجبل ولم يعد ولم يعلم أصحابه ماشأنه فطلع ثالث وقال لاصحابه اربطونى من وسطى بحبل فاذا أنا وصلت الى ماوصل اليه أصحابى وفعلت كما فعلوا فاجذبونى بالحبل فلا أبرح من مكانى ففعلوا ذلك فلما صار فى أعلى الجبل صفق وأراد أن يمضى فى الجبل فجذبوا الحبل اليهم ونزل عندهم فلما وصل خرس لسانه ولم يرد جوابا وأقام ساعة ومات فرجع القوم ولم يعلموا غير ذلك من أخبار النيل ※ قال الامام الليث ابن سعد رضى الله عنه بلغنى أن رجلا يقال له حامد بن أبى سالم وهو من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام خرج هاربا من بعض الملوك الجبابرة فدخل الى مصر فلما رأى نيلها تعجب منه وحلف على نفسه أن لا يفارق ساحل النيل حتى يبلغ منتهاه ومن أين يخرج أو يموت قبل ذلك فسار على ساحل النيل نحوا من ثلاثين سنة حتى وصل الى جبل القمر فاذا هو برجل قائم يصلى تحت شجرة تفاح فلما رآه سلم عليه واستأنس به فقال ذلك الرجل الذى تحت الشجرة من أنت أيها الرجل فقال له حامد أنا من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم قال له حامد من أنت فقال أنا أبو العباس الخضر فما مجيئك الى هنا قال فى طلب معرفة النيل فقال له الخضر عليه السلام ستمر عليك حية ترى آخرها ولا ترى أولها فلا يهولنك أمرها وهى دابة معادية للشمس اذا طلعت الشمس هوت اليها لتلتقمها فاركب على ظهرها فانها تذهب بك الى جانب البحر الزفتى فسر فى بره فانك تقع فى أرض من ذهب وبها جبال وأشجار فلما مضى حامد فعل ماقاله الخضر فلما وصل الى أرض الذهب نظر الى قبة من الذهب ولها أربعة أبواب فنظر

الى النيل وهو ينحدر من جوف تلك القبة من كل باب نهر يجرى الى جهة من الارض وهى سيحان وجيحان والفرات والنيل فاراد حامد أن يمضى الى ماوراء تلك القبة فأتاه ملك وقال له قف ياحامد مكانك فقد انتهى اليك علم النيل وماوراء ذلك الا الجنة فقال حامد أريد أن أنظر الى الجنة فقال له الملك انك لن تستطيع دخولها اليوم فجلس حامد على شاطئ النيل وشرب منه فاذا هو أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج وقيل فى المعنى

ونيل مصر من الجنان * وماؤه يحيي الغصون

فبالعيون ان قابسوه * قل ماترى مثل العيون

ويقال ان حامدا رأى الفلك الذى يدور بالشمس والقمر والنجوم وهو شبه الرحا فقيل انه ركب الفلك ودار فى الدنيا كلها وقيل انه لم يركبه وقيل ان ذلك الملك أتى حامدا بعنقود من العنب من الجنة وهو على ثلاثة ألوان أخضر كالزبرجد وأحمر كالياقوت وأبيض كاللؤلؤ وقال له هذا من حصرم الجنة وليس من طيب عنبها ثم ان حامدا رجع من هناك الى شاطئ البحر الزفتى وركب على تلك الحية لما هوت الى الشمس عند الغروب لتلتقمها فقذفت به الى جانب البحر الزفتى الى المكان الذى ذهب منه فاتى الى الخضر عليه السلام وسلم عليه وحكى له بما جرى له وقيل ان حامدا لم يأكل من أكل الدنيا لانه أكل من ذلك العنب ومات بعد ذلك بمدة يسيرة

﴿فصل فى بيان زيادة النيل ونقصانه﴾ قال المسعودى ان زيادة النيل ونقصانه بالسيول وكثرة الامطار وقالت الروم زيادته من عيون فى شاطئه تفور من أوله الى آخره وهذا هو السبب فى تكديره عند الزيادة لان العيون اذا نبعت من الارض اختلطت بالطين عند نبعها فتكدره وقال الكندى انه فى أيام الزيادة يستمر فى بلاد الحبشة المطر ليلا ونهارا لا ينقطع فى هذه المدة ويتنفس النيل بالزيادة قال المهتدى فى تفسيره عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ان الله تعالى سخر للنيل كل نهر على وجه الارض من المشرق الى المغرب فاذا أراد الله تعالى أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر على وجه الارض أن يمده بالمياه فاذا انتهى جريانه الى حيث شاء الله تعالى يأمر كل نهر أن يرجع الى عنصره ومصداق هذا الخبر أن النيل مخالف لكل نهر على وجه الارض لانه يزيد اذا نقصت الانهار كلها واذا زادت نقص هو فصح أنه يمتد بمياهها والله أعلم * وقال بعض الحكماء ان النيل اذا زاد يصب فى البحر المالح فيجتمع بخاره ويرتفع فى الجو فتحمله الريح الى الغمام فيذهب به الى حيث شاء الله تعالى فينزل حيث يريد الله تعالى * والى هذا أشار الزمخشرى فى قوله تعالى والسماء ذات الرجع والمراد بالسماء الغمام والرجع المطر لان ماء المطر من البحر ثم يرجع اليه بعد أخذه منه ثم يعود به وفى قوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء قال البغوى اللواقح من الرياح التى تحمل

الندى ثم تمجه فى السحاب فاذا اجتمع صار مطرا فان السحاب تلقح كما تلقح البقر باللبن وقال المسعودى ليس فى الدنيا نهر يزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل وفى ذلك يقول

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى عند حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

وقال أيضا

انظر الى النيل السعيد وقد أتى * فى عسكر الموج المديد معبسا
حصر البلاد فسلمته أرضها * فكسى ثراها حين ولى سندسا

قال المسعودى ومن عادة النيل انه اذا كان عند ابتداء زيادته يخضر ماؤه فيقول أهل مصر توحم النيل ويرون أن الشرب منه مضر وسبب ذلك أن البطيحات المتقدم ذكرها اذا تناقص النيل عن الزيادة ينقطع عنه الامداد من المياه فيتغير ماؤه من لونه ويخضر فاذا زاد النيل ساق تلك المياه القديمة التى هى فى أعالى النيل التى كانت راكدة فيقول العوام قد توحم البحر وقيل فى المعنى

عجب لنيـــل ديار مصر لانه * عجب اذا فكرت فيه يعظم
يطأ الاراضى فهى تلقح دائما * من مائه وهو الذى يتوحم

(ومن عجائب النيل) أن فيه فرس البحر قال عبد الله بن أحمد الاسرائيلى ان فرس البحر فى غلظ الجاموس قصيرة القوائم ولها أخفاف وهى فى ألوان الخيل ولها معرفة وأذنان صغيران كأذنى الخيل ولها ذيل مثل ذيل الجاموس ولها صهيل كالخيل ولها أنياب كانياب السباع ولها حافر مشقوق كحافر البقر واذا ظفرت بالتمساح تأكله واذا طلعت الى البر يحصل منها الضرر الشامل لاهل النواحى فترعى الزروع فاذا حصل منها ضرر ولازمت تلك الجهات يطرح لها أهل القرى شيأ من الترمس فى الموضع الذى تطلع منه فتأكله وتعود الى الماء فاذا شربت ربا ذلك الترمس فى جوفها فتنتفخ فتموت وتعلو على وجه الماء وقيل ان المكان الذى تسكن فيه لا يقيم به التمساح وأكثر ما ترى فرس البحر فى دنقله واسوان من جهات الصعيد (قال) الكندى ان النيل أشرف أنهار الارض فانه سقى عدة أقاليم من ديار مصر وماؤه أفضل المياه وبذلك يشهد جماعة من الحكماء منهم ابن سينا وابن نفيس وذكروا أن ماءه يهضم كل المياه الرديئة ويقوى المعدة لانه يمر على أرض الذهب وقال بعضهم الشرب من ماء النيل ينسى الغريب الوطن وأعظم من هذا كله ما جاءت به أخبار الشريعة ان منبعه من الجنة من تحت سدرة المنتهى وقد ورد بذلك أخبار نبوية قال الشيخ زين الدين ابن الوردى

ديار مصر هى الدنيا وساكنها * هم الانام فقابلها بتفضيل
يا من يباهى ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والشرح للنيل

انتهى ما أوردناه من ذكر الانهار وذلك على سبيل الاختصار

﴿ذكر أخبار الجبال﴾ قال الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ان الذى عرف من الجبال فى سائر أقاليم الدنيا مائة وثمانية وتسعون جبلا فالمشهور منها ماسنذكره دون غيره من الجبال (أخرج) ابن أبى الدنيا فى كتاب الورع ان أول جبل وضع على وجه الارض جبل أبى قبيس الذى بمكة وقال الواقدى ان جبل قاف أبو الجبال كلها وقد جعل الله تعالى لكل جبل من جبال الدنيا عروقا متصلة به * روى فى بعض الاخبار أن الله تعالى وكل بجبل قاف ملكا عظيم الخلقة يقال له قاف فاذا أراد الله تعالى زلزلة فى الارض أو خسف ناحية أمر ذلك الملك الموكل بجبل قاف أن يحرك عرقا من عروقه فاذا حركه تزلزلت تلك الارض أو خسف بها * وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان جبل قاف محيط بالدنيا وهو جبل عظيم لا يعلم قدره الا الله تعالى وقد أقسم به فى القرآن العظيم فقال عز من قائل ق والقرآن المجيد قال كعب الاحبار رضى الله عنه ان خلف جبل قاف سبعين ألف أرض من فضة ومثلها من حديد ومثلها من مسك وهى مشرقة بالنور وسكانها ملائكة ولا يرى فيها قمر ولا شمس ولا حر ولا برد طول كل أرض عشرة آلاف سنة وخلف ذلك بحار من ظلمة وخلف ذلك حجاب من ريح وخلف ذلك حية عظيمة محيطة بجميع الدنيا تسبح الله تعالى الى يوم القيامة وروى فى بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خلق الله تعالى أرضا بيضاء مثل الفضة وهى قدر الدنيا ثلاثين مرة وبها أمم كثيرة لا يعصون الله طرفة عين قالت الصحابة يارسول الله أمن ولد آدم هم قال لا يعلمهم غير الله وليس لهم علم بآدم قالوا يارسول الله فاين ابليس منهم فقال ولا يعلمون بابليس ثم تلا قوله تعالى ويخلق مالا تعلمون قال وهب بن منبه ان بالقرب من جبل قاف أرضا رجراجية لا تستقر عليها الاقدام وبها صنم من نحاس وهو ماد يده الى ورائه كأنه يقول ليس ورائى مسلك ويقال ان ذا القرنين وصل الى تلك الارض فى سبعين ألفا من عسكره فماتوا جميعا * وأما جبل الجودى الذى رست عليه سفينة نوح عليه السلام فانه من جبال الموصل وقد روى فى بعض الاخبار أن الله تعالى أوحى الى الجبال أنى أرسى السفينة على جبل منكن فتشامخت الجبال كلها الا جبل الجودى فانه تواضع وخر ساجدا لله تعالى فارسى الله السفينة عليه ويقال ان حجارة الكعبة نقلت من جبل الجودى حتى يصير ثقله فى ميزان من يحج (وأما) جبل الراهون وهو الذى أهبط عليه آدم عليه السلام لما أخرج من الجنة ويرى أن فى هذا الجبل أثر أقدام آدم وهى مغموسة فى الحجر وطولها نحو عشرة أذرع ويرى على هذا الجبل نور ساطع يشبه البرق لا يزال ليلا ونهارا وهو محيط بارض الهند مشرف على وادى سرنديب وان أهل الناحية أقوام يقال لهم البرهت يقرون بالله تعالى ويجحدون الانبياء وهم عراة الاجسام ولهم شعور تغطى عوراتهم وطعامهم من أشجار تلك الناحية وشرابهم من عيون هناك * وبهذا الجبل

دابة تسمى الكركند وهي مشهورة به وبهذا الجبل معدن الياقوت الاحمر والاصفر والازرق وبه حجر الالماس وحجر السنبادج وغير ذلك من المعادن الفاخرة وبتلك الارض أنواع الطيب كالسنبل والقرنفل وغير ذلك من العطر الطيب * ويقال ان ذلك الياقوت حصى ذلك الجبل وينحدر منه بالسيول وفيه تعشش النسور فاذا لم ينحدر منه شيء بالسيول يذبح أهل تلك النواحي شيأ من الحيوانات ويسلخون جلده ثم يقطعون لحمه قطعا كبارا ويتركونها تحت ذيل الجبل فتأتي اليها النسور فترفع ذلك اللحم وتنزل به على الجبل عند أوكارها فاذا وضعته على الارض تعلق به حصى الياقوت ثم تأتي اليه نسور أخرى فتخطفه وتطير به الى أرض أخرى فتضعه فيلتقط حصى ثم تخطفه نسور أخرى فرعاهم طائرون به يقع منه حصى الى أسفل الجبل فيلتقط الحصى المراقبون له وهذا الجبل شاهق في الهواء صعب المسالك جدا وبارضه حيات عظيمة تبتلع الجمل والفرس والآدمي فاذا ثقل في بطنها عمدت الى أصل شجرة والتوت عليها فتقذف ما في بطنها * وقال ارسطاطاليس ان في بحر الهند جبلا اذا قربت السفن من هذا الجبل تناثرت مسامير الحديد التي فيها جميعا وتأتي فتلصق بهذا الجبل وهذا من سر حجارة المغناطيس فان الحديد يجذبه حجر المغناطيس انتهى باقوبا (وأما جبل القمر) فقد تقدم ذكره في أخبار النيل (وأما جبل الفتح) فبلاد التتر يسكنه أمم من قبائل التتر نحو سبعين أمة لكل أمة لسان وهو جبل عال وفيه مغاور وشعاب وأودية ومفاوز انتهى ذلك * ومن العجائب أن ببلاد سمرقند جبلا فيه أعجوبة وهي مغارة يدخلها الناس ويمشون تحت الارض مقدار ساعة فيجدون الفضاء وفي ذلك المكان بحيرة عذبة الماء وحول تلك البحيرة أناس قاطنون وفي ذلك المكان مسجد وكنيسة فاذا كان الداخل مسلما أتوا به الى المسجد وان كان نصرانيا أتوا به الى الكنيسة وفي ذلك المكان مغارة فيها جماعة موتى قد صاروا اجلادا على عظام وهم على هيئتهم لم يتغير من محاسنهم شيء وعليهم أقبية من القطن وكفوفهم مفتوحة كأنهم يصافحون بها من أتى اليهم وعلى رؤسهم عمائم وهم قيام وظهورهم الى حائط المغارة فيهم جماعة على وجوههم أثر الضرب بالسيوف وفي أجسادهم أثر الطعن بالرماح وفيهم الطويل والقصير والابيض والاسمر وهناك تابوت فيه امرأة وعلى صدرها صبي صغير وحلمة ثديها في فمه وهناك سرير وعليه اثنا عشر رجلا وهم نيام على ظهورهم وبينهم صبي مخضبة بالحناء يداه ورجلاه ولم يثبت لهؤلاء القوم خبر ولم يعلموا من أي طائفة هم فمن الناس من يقول انهم من شهداء المسلمين قتلوا في زمن عيسى بن مريم عليه السلام ومنهم من يقول انهم قتلوا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذكر أهل تلك الناحية أن في كل سنة يكسونهم الاثواب من القطن ويحلقون رؤسهم ويقمعون أظفارهم وهم عظام عليها جلود ولا أرواح فيها وأما جبل كورة رسم من أعمال الشرق ففيه أعجوبتان وهما أن فيه

غار اذا دخل فيه انسان وجد فى ذلك الغار حزمة من الحطب فيها قضبان عددها خمسة عشر قضيبا لا يعلم من أى الاخشاب هى فاذا أخذ تلك الحزمة انسان وخرج بها من الغار سقطت أخرى غيرها فى الحال فهى على ذلك لا تنقطع على مر الزمان ولو تكرر أخذها فى النهار مرارا سقط بدل هذا آخذ والاعجوبة الاخرى بمغارة أخرى فيها عظام ميت وهو واقف فى المغارة فيأتى اليه انسان فيضعه على الارض ممدودا ثم يلتفت فيراه واقفا كما كان أولا ثم يخرج به من المغارة ويبعد به عن ذلك المكان مسافة بعيدة ويضعه فى البرية ملقى على الارض ثم يسوق فرسه مشوارا واحدا ويجىء الى تلك المغارة فيجده قد سبقه الى تلك المغارة وهو واقف كما كان فيها أولا وأهل تلك الناحية يسمونه الشهيد اهـ ذلك (وأما جبال مكة) فمنها جبل حراء وجبل ثور الذى به الغار وجبل ثبير وجبل مفرح الذى بالمدينة وجبل حنين وجبل عرفات وجبل المنحنى وغير ذلك من الجبال ومن العجائب أن جبلا بمدينة آمد فيه صدع من أولج سيفه فيه ثم قبض عليه بجميع يديه يضطرب السيف ويرتعد صاحب السيف ولو كان صاحب السيف أشد الناس قوة * وأما جبل قافونا فبدؤه من كتف السد الذى على يأجوج ومأجوج وينتهى الى أرض الصين * وأما جبل المجرد فهو عند بحر الظلمات ومن عجائبه أن به ناسا أعينهم فى مناكبهم وأفواههم فى صدورهم وليس لهم أكل سوى السمك ويقال أن عندهم بذلك الجبل بذرا اذا بذروه عندهم ينبت حملا مثل الخرفان فاذا بلغ النبت وجدوا بذلك الحمل روحا فاذا صار له شهران خرجت الروح منه فاذا ذبحوه وأكلوه لم يجدوا فيه طعم اللحم وليس فيه دسم وصفة الخروف عندهم يكون على قدر القط وليس على جسده صوف * وأما جبل بكرسقانا فبدؤه من خلف بلاد التكرور وهذا الجبل تأوى اليه الوحوش الكواسر مثل السبع والكركند * وأما جبل اللكان فبأرض دمشق ومبدؤه من مكة أو المدينة وهذا الجبل يسمى هناك بجبل مفرح ثم يمتد من هناك حتى يتصل بدمشق ويسمى بدمشق جبل لبنان وجبل الثلج ويمتد هذا الى انطاكية والمصيص ويصل الى بحيرة طبرستان عند باب الايوان ويمتد منه طرف الى صفد والمتصل منه بدمشق والمطل عليها يسمى بجبل قيسون ثم يتصل الى بعلبك ويسمى هناك بجبل لبنان ثم يمتد الى طرابلس والى حصن الاكراد ويتصل الى حمص من غربيها ويسمى فى تلك الجهة بجبل اللكان ولا يزال هذا الجبل يمتد الى أن يتصل بجبال الروم ويقال ان هذا الجبل يأوى اليه القاقم وهو شىء يشبه الفيران يتربى فى الثلج فيصيدونه بالشرك (ونقل) صاحب المبدأ أن ببعض نواحى دمشق جبلا لطيفا ينبت فيه نبات يشبه الريحان اذا وقف عنده انسان ونظر اليه وأنشد هذين البيتين تمايل هذا النبات كتمايل من حصل له طرب بذكر حبيبه وهما هذان البيتان

ياسا كنا بالجبل البلقع * ويا ديار الظاعنين اسمعى

• ما هي دياري ولكنها * ديار من أهوى فنوحي مي

(قيل) ان الناس يقصدونه وقت القائلة في شدة الحر وليس في الجو هواء ويذكرون عنده هذين البيتين فيرون منه ذلك التمايل وان لم ينشده فهو ساكن لا يتحرك وهذا من العجائب (وأعجب من هذه الحكاية) ماذكره ابن وصيف شاه في أخبار مصر ان بنواحي الصعيد شجرة اذا وضع أحد يديه عليها وقال ياشجرة العباس جاءك الناس تجمع أوراقها وتشرع في الذبول واذا قال لها عفونا عنك ترجع الى ما كانت عليه من الحسن والنضارة وهذه الشجرة تشبه شجرة السنط مستديرة الاوراق بهية المنظر * وأما جبل طور سينا فقيل هو بالقرب من عقبة ايليا و يقال ان به قبر هارون أخي موسى عليهما السلام * وجبل من جهات الصعيد فيه عدة جبال كبار وصغار يوجد فيها مقاطع الرخام السماق واللازوردي والفستقي والابيض والكهرماني ويقال في البهنسا جبل فيه مغاير يوجد فيها الزمرذ الدبابي قال المسعودي ليس في الدنيا يوجد معدن الزمرذ الدبابي الا بمصر في نواحي البهنسا ولم يزل هذا المعدن يوجد هناك الى أوائل قرن المائة السابعة ثم انقطع وجوده من هناك (وأما الجنادل) فهما جبلان صغيران والنيل يشق بينهما فيسمع له هناك دوي عظيم وذلك المكان لا تسلكه المراكب الكبار وهو الفارق بين سفن الحبشه وسفن المسلمين ويعرف بالجنادل والصخور كما تقدم ذكره * وأما جبل الطير فهو بصعيد مصر في ضيعة يقال لها أشمون مطل على بحر النيل وفيه أعجوبة لم يسمع بمثلها في سائر البلدان وذلك أنه في آخر فصل الربيع في يوم معلوم من السنة تأتي اليه طيور كثيرة وهي باق سود الرقاب مطوقات بالبياض وفي أصواتها بحة واذا طارت ملأت الآفاق و يقال لها طيور البح فيصعدون مكانا في هذا الجبل فينفرد منها طائر فيضرب بمنقاره في ذلك المكان فان تعلق بمنقاره في ذلك الشعب وقبض عليه تفرقت عنه بقية الطيور وان لم يتعلق ذلك الطير تقدم غيره فيضرب بمنقاره فان تعلق والا تأخر ويتقدم غيره فلا يزال يتقدم واحد بعد واحد حتى يتعلق واحد فان تعلق نفرت الطيور كلها وذهبت الى حال سبيلها فلا يزال ذلك الطائر معلق بمنقاره حتى يموت و يضمحل فيقع على الارض وهذا دأب تلك الطيور في كل سنة وهذه الواقعة مشهورة في تلك البلاد (وحكى) أنه في بعض السنين تعلق طائر بمنقاره ثم سقط فلما رأته الطيور جعلت تضربه بمناقيرها وتسوقه الى أن جاء الى الشعب وضرب بمنقاره فتعلق كما كان حتى مات وهذه من العجائب * وقيل اذا كانت السنة مخصبة جيدة يتعلق اثنان واذا كانت متوسطة يتعلق واحد واذا كانت مجدبة لم يتعلق شيء * وأما جبل المقطم فان أوله بالمشرق من نواحي بلاد الصين و يمر من بلاد التتر حتى يأتي الى مدينة فرغانه والى جبال التيم و يتصل بجبال القلزم من جهة أخرى قال بعض العلماء انما سمي بالمقطم لان المقطم مأخوذ من القطم

وهو القطع لانه مقطوع من النبات والاشجار فلذلك سمي المقطم (وروى) عن الامام الليث بن سعد رضي الله عنه أنه قال لما قدم عمرو بن العاص الى مصر عند فتحها فلما افتتحها سار يوما الى سفح الجبل المقطم وكان صحبته المقوقس عزيز القبط صاحب مصر فقال له عمرو بن العاص ما بال جبلكم هذا أقرع ليس به أشجار ولا نبات فقال له المقوقس ان في كتبنا القديمة أنه كان أكثر الجبال نباتا وأشجارا فلما كانت الليلة التي ناجى موسى ربه فيها أوحى الله الى الجبال اني مكلم نبيا من الانبياء على واحد منكم فعند ذلك شمخت الجبال كلها الا جبل بيت المقدس فانه تصاغر فأوحى الله اليه لم فعلت ذلك فقال اعظاما واجلالا لك يارب فأمر الله تعالى الجبال أن تمده مما عليها من الاشجار فجاد له الجبل المقطم بجميع ما كان عليه من الاشجار والنبات وكان أكثر الجبال أشجارا ونبتا فأوحى الله اليه اني معوضك على فعلك وودك بغراس الجنة وهم المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم * ويروى أن كعب الاحبار رضي الله عنه قال لرجل من أصحابه يريد التوجه الى مصر فاذا جئت الى بيت المقدس فاصحب لي معك شيأ من تراب الجبل المقطم ففعل الرجل ذلك فلما دفع اليه تراب المقطم وضعه في جراب وجعله عنده وأوصاهم أنه اذا مات يفرش ذلك التراب في قبره للتبرك فلما مات وضعوا التراب في قبره (وأما) الجبل الاحمر فانه متصل بالجبل المقطم مطل على القاهرة من شرقيها ويعرف بالجبل اليحموم واليحموم عند العرب الاسود وقال الكندي ان بمصر ثلاثة جبال صغار تسمى الشرف أحدها الذي وضعت عليه القلعة وسميت قلعة الجبل وهو من جملة الجبل المقطم والثاني الذي وضع عليه جامع أحمد بن طولون ويسمى يشكر ويقال ان موسى ناجى ربه عليه * والجبل الثالث وهو المطل على بركة الحبش الذي وضع عليه الرصد فعرف به * وأما جبل الكبش فهو الذي عند الجسر الاعظم وكان قديما يشرف على بحر النيل وهو متصل بجبل يشكر وانما سمي بجبل الكبش لان الصحابة لما نزلت بارض مصر سار كبش وهو رجل من الصحابة الى ذلك الجبل ونزل فيه وحده فمن ذلك سمي جبل الكبش * وأما جبل لوقا وهو غربي مصر قليل الارتفاع وبعضه غير متصل ببعض والمسافة بينهما تضيق في مكان وتتسع في مكان وهذا الجبل أقرع مثل الجبل المقطم لا نبات به وماؤه مالح ويجفف ما يدفن فيه من بني آدم انتهى ما أوردناه من أخبار الجبال وذلك على سبيل الاختصار

(ذكر عجائب البلدان وما فيها من الحكم) قال القضاعي ان من البلدان العجيبة مدينة رومية * قيل ان دورها عشرون فرسخا وعليها ثمانية أسوار من الحجارة الصوان المانع وهي على جبل داخل البحر المالح وهو محيط بها ويقال ان الجن بنتها لسليمان بن داود عليهما السلام وحول هذه المدينة خندق من النحاس عمقه أربعون ذراعا وعرضه مثل ذلك وعليه ألواح من نحاس كهيئة الطوارق طول كل لوح خمسون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا في غلظ ذراعين وجعلوا من أول هذه المدينة الى

آخرها أعمدة من النحاس الاصفر وعلى تلك الاعمدة مجراة من النحاس قدر الخليج يجرى فيها الماء وبهذه المدينة أربعمائة منارة من الذهب الاحمر طول كل منارة مائة ذراع وهى حول الكنيسة الكبيرة وبها مكان مربع وعليه درابزين من الذهب ويقولون ان به ملكا من الملائكة مقيما فى ذلك المكان لا يبرح عنه أبدا وبها جثة بطرس وبواص من حوارى عيسى بن مريم عليه السلام وهما فى توابيت من ذهب معلقة بسلاسل من فضة فى هذه الكنيسة وقد كان حولها ألف ومائتا كنيسة يسكنها الرهبان فى صوامع بها ولهذه الكنيسة ثمانية وعشرون بابا وهى مصفحة بصفائح الذهب والفضة وفى دوائرها ألف شباك من النحاس الاصفر خارجا عن الأبواب الأبنوس وفيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام وهى من الزمرذ الاخضر وطولها ذراعان وعرضها ذراع وهى محمولة على اثنى عشر تمثالا من الذهب بأعين من الياقوت الاحمر وهى تتقد كالشمس (وأما) صفة هذه المدينة فاسواقها وشوارعها مبلطة بالرخام الابيض وبها حجارة مكتوب عليها بقلم العبرانى فاذا جعلوا تحتها قمحا طحنته بدوران سريع فيصير دقيقا فاذا فرغ القمح بطلت حركتها * وبها أيضا من العجائب فى ليلة الشعانين ينفتح فى الكنيسة الكبرى كوة فيخرج منها تراب أبيض ولا يزال يخرج الى الصباح فاذا طلع الفجر انقطع التراب ومن خاصية هذا التراب أنه ينفع للملسوع فيفرقونه للاجر فاذا بيع رطل نفعه وكان بها من العجائب صخرة من رخام أخضر عليها كتابة بالقلم القديم فمن أراد أن يعلم حال الغائب أو المسافر أو الباقى يجىء الى تلك الصخرة وينام عليها فيرى فى منامه جميع ما يكون من حال الغائب وغيره * وكان بها من العجائب حجر اذا وضع عليه الانسان يده تقايا كل ما فى جوفه فادامت موضوعة فهو يتقايا وان لم يرفع يده عنه كفايته والا خرجت أمعاؤه فيموت وكان بها من العجائب شجرة من نحاس أصفر وعليها هيئة طائر من نحاس فاذا كان أوان الزيتون صفر ذلك الطائر النحاس صفيرا عاليا فيأتى اليه كل زرزور فى الدنيا وفى كل رجل من رجليه زيتونة وفى منقاره زيتونة فيضعونه على سطح الكنيسة الكبرى فتجمع الرهبان من ذلك الزيتون شيأ كثيرا فيعصرونه ويخرجون زيته فيكفيهم من العام الى العام وقيداوا كلا * وقيل كانوا اذا ادخروا فيها الغلال دهرا طويلا لا تتغير لانها مبنية فى مكان معتدل جدا غير وخيم (وأما أخبار مدينة الاسكندرية) قال المسعودى هذه المدينة من أعظم مدائن الدنيا وقد بنيت بعد الطوفان على يد مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ثم خربت بعد ذلك فبنتها الملكة رقود ثم خربت بعد ذلك فبناها الاسكندر ذو القرنين فعرفت به قال ابن عبد الحكم فى أخبار مصر بناها الاسكندر بن فلقش المقدونى وكان من اليونان وقيل بناها شداد بن عاد والاقوال فى ذلك كثيرة وقال بعض المفسرين ان الاسكندرية هى ارم ذات العماد التى ذكرت فى القرآن العظيم وقيل انها بنيت فى

ثلاثمائة سنة وسكنت ثلاثمائة سنة وخربت ثلاثمائة سنة وقال ابن وصيف شاه بنيت الاسكندرية ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وهى اثنا عشر فرسخا فى مثل ذلك وأقام لبنائها ألف ألف صانع وعمل فيها سراديب بقناطر تتصل الى بحر النيل قال ابن عبد الحكم لما أرادوا أن يبنوا أساس الاسكندرية كان يخرج اليهم من البحر صور على صفة السباع والذئاب والكلاب والخنازير وغير ذلك فيهدمون تحت الليل ما تبنيه الرجال بالنهار فلما أعيا الملوك ذلك حضر اليهم بعض الحكماء وعمل أشباه تلك الصور التى تطلع من البحر فلما خرجت تلك الصور رأت مثل صورها مقابلها فهربت منها ولم تعد بعد ذلك قال ابن عبد الحكم أقامت الاسكندرية سبعين سنة لا يقدر أحد أن يدخلها الا وعلى عينيه شعرية أو خرقة زرقاء من شدة بياض حيطانها فانها كانت تخطف الابصار وكان لا يوقد بها سراج فى الليالى المقمرة وكانت عماراتها ممتدة من رمال رشيد الى برقة وتسير المراكب فى ظل الاشجار مستترة من حر الشمس ويقال ان أهلها أكثر الناس أعمارا لصحة هوائها وطيب أرضها ولم تزل الاسكندرية على ذلك حتى فتحها عمرو بن العاص (قال) المسعودى اختلف المؤرخون فيمن بنى المنارة فقيل انه الاسكندر بن قلمش الرومى وقيل الملكة رقود وقيل الذى بنى رومية بنى المنارة وقيل الاسكندر ذو القرنين قال ابن وصيف شاه كان الاسكندر بن قالمش من اليونانيين وكان رأسه قدر القبة العظيمة وكان طول أنفه ثلاثة أذرع فلما بنى هذه المنارة جعلها على كرسى من الزجاج وهو كهيئة الجبل وهو فى جوف البحر وكان طول هذه المنارة فى الزمن القديم ألف ذراع ثم خربت حتى بقى منها مائتان وثمانون ذراعا وقد بنى فى أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال يدور مع الشمس حيث دارت ومنها تمثال يشير بيديه الى البحر فاذا وصل عدو الى البلد وصار قريبا منها يسمع لذلك التمثال صوت عال فيعلم أهل المدينة أن العدو صار قريبا منهم فيستعدون لقتاله وكانت هذه المنارة مبنية بحجارة من الصوان وبينها شئ من الرصاص المذاب وقد جعلوا فى هذه المنارة ثلثمائة بيت بعضها فوق بعض وكانت الدابة تصعد الى تلك البيوت وهى محملة مما يحتاج اليه أهل تلك البيوت وكان لهذه البيوت طاقات تشرف على البحر الرومى وكان الغريب اذا دخلها يضل فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها (وقيل) ان جماعة دخلوها فضل فيها أحدهم فلم يقدر على الخروج من الضلال ومات جوعا وكان بها مرابطون لاجل الجهاد لا يبرحون عنها وكان لاهل تلك المدينة يوم مشهور يسمونه يوم العدس فيجتمعون فيه عند المنارة ويأتون بطعام العدس ويأكلون عندها ويجعلونه للتنزه وكان يوقد بهذه المنارة نار ليلا ليهتدى اليها المسافرون وفى حسنها وكمالها يقول القائل

لله در منار اسكندرية كم ✲ يسمو اليها على بعد من الحدق

من مشائخ الانف فى أوصافه شمم * كأنه باهت فى دارة الافق
للنشآت الجوارى عند رؤيته * كموقع النوم فى أجفان ذى أرق

قال ابن وصيف شاه فى أعلى هذه المنارة قبة من نحاس أصفر منصوب فوقها مرآة من معادن شتى وقيل كانت من الحديد الصينى وقيل كانت من زجاج مدبر بالحكمة وكان قدرها خمسة أشبار وقيل سبعة أشبار وهى على كرسى من نحاس مدبر بالحكمة وكانوا ينظرون فيها كل ساعة الى من يخرج من بلاد الروم من مسافة تعجز عنها الابصار فيستعدون لذلك فان كان العدو مدركهم يديرون تلك المرآة مقابل الشمس ويستقبلون بها سفن العدو فيقع شعاعها على السفن فتحترق عن آخرها فيهلك كل من فيها وان أراد أهل تلك المدينة أن يعلموا غيرهم من نواحيهم بعدوهم ينشروا فى أعلا المنارة أعلاما فيعلم أهل تلك النواحى بالعدو فيستعدون لقتاله أيضا قال ولم تزل المنارة على هذه الحالة حتى جاء عمرو بن العاص فأخرج له جماعة كتابا مكتوبا فيه ان أموال الاسكندر تحت هذه المنارة وحسنوا لعمرو بن العاص هدمها وأخذ الاموال من تحتها ثم يعيدها الى ما كانت عليه كذلك فطمع فى ذلك وقلع المرآة وهدم من المنارة ثلثها فلم يجد شيأ فعلم أن ذلك دسيسة لهدم المنارة ليبطل عمل المرآة والصنم وغيرهما من المنافع لهم والمضرة للعدو فطلب الذين أشاروا عليه بهدمها فوجدهم قد هربوا وتمت حيلتهم على عمرو بن العاص وكان أصل هذه الحيلة من الروم ثم انه قد بنى المنارة ثانيا ونصب عليها المرآة كما كانت فبطل عملها الذى كانت عليه من الرؤية والاحراق واستقرت المنارة قائمة فى الهواء بغير منفعة الى تسع وسبعين ومائة من الهجرة فوقعت زلزلة عظيمة فسقط رأس المنارة فلما استولى أحمد بن طولون على مصر بنى فى أعلى المنارة قبة من الخشب واستقرت على ذلك الى زمان الظاهر بيبرس البندقدارى فسقطت تلك القبة فبناها وجعل فى أعلى المنارة مسجدا وذلك فى سنة ثلاث وسبعين وستمائة واستقرت على ذلك الى اثنين وسبعمائة من دولة الناصر محمد بن قلاوون فوقعت فى أيامه زلزلة عظيمة فسقطت المنارة عن آخرها ونسخ أمرها من يومئذ ﴿ذكر أخبار عمود السوارى﴾ (قال) القضاعى ومن العجائب عمود السوارى الذى بثغر الاسكندرية وهو من الحجر الصوان وارتفاعه سبعون ذراعا ودوره خمسة أذرع ونصف وكان هذا العمود من جملة سبعة أعمدة وكان فوقها رواق يقال له بيت الحكمة فلما كان أيام سليمان بن داود عليهما السلام هدم ذلك البيت وجعله مسجد العبادة وكان حول ذلك الرواق أربعمائة عمود يسمونه الملعب يجتمعون تحت تلك العمد فى يوم معلوم من السنة ويرمون بينهم الكرة فلا تقع فى حجر أحد منهم والذى تقع فى حجره يكون ملكا فى مصر ولو بعد حين فحضر فى بعض أعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الكرة فى حجره فملك مصر بعد ذلك فى زمن الاسلام وكان يحضر فى ذلك الملعب ألف ألف انسان من الاقباط

وغيرهم من سائر الاجناس * قيل لما وقعت الكرة فى حجر عمرو بن العاص تعجب كل من كان حاضرا وقالوا من أين لهذا الاعرابى أن يصير ملك مصر بيده فلا زالت ارادة الله تعالى الى أن صار والى مصر والاسكندرية من أعمال مصر وقد قال القائل

يقولون المنارة والسوارى * وأهل للعوامد والبناء
ويفتخرون فى حق وجهل * بملتهم وحاصله هواء

(قال) المسعودى ان أهل الاسكندرية ينسبون الى الشح والبخل الزائد وتطول فيها الاعمار كذلك قرية مريوط ووادى فرغانة بالغرب وسبب ذلك قربهامن النيل وظهور ريح الصبا فيها ذلك مما يعالج أبدانهم ويرقق طبائعهم ويرفع هممهم وقيل فيهم

نزيل اسكندرية ليس يقرى * بغير الماء أونعت السوارى
وذكر البحر والامواج فيه * ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يطمع نزيلهم بخير * فما فيها لذاك الحرف قارى

(وقال) اسكندرية كربة * وجرنار نسعر * ان قيل ثغر أبيض * قلت ولكن أبخر *(ذكر أخبار صنم الاهرام)* قال القضاعى ومن عجائب مصر الصنم الذى عند الهرمين بالجيزة ويسمى بالهوية ويعرف بابى الهول عند أهل مصر فيقال انه طلسم لدفع الرمل لئلا يغلب على أهل الجيزة وقال هذا الصنم من الحجر الكذان لا يظهر منه سوى رأسه وبقيته مدفونة فى الرمل ويقال طوله سبعون ذراعا وفى وجهه دهان يلمع له رونق كأنه يضحك تبسما وكان فى مقابلته صنم مثله فى مصر عند قصر الشمع وهو من الصوان المانع ويقولون انه طلسم يمنع الماء عن بر مصر وكل من الصنمين مستقبل المشرق وبقى صنم قصر الشمع الى سنة احدى عشرة وسبعمائة ثم قطعه الملك الناصر محمد بن قلاوون وصنع منه أعتابا وقواعد لما بنى الجامع الجديد على بحر النيل ولم يبق لهذا الصنم أثر وبقى أبو الهول الى يومنا هذا وهو موجود عند الاهرام * ومن العجائب أن قرية من أعمال أسوان وهى شرقى النيل ولها سور وأبواب وهى قرية خراب وعلى أحد أبوابها جميزة كبيرة فاذا كان أيام الشتاء يرون فى كل يوم قبل طلوع الشمس أناسا غير جنس بنى آدم يدخلون تلك القرية ويخرجون منها فاذا دخل الناس الى تلك القرية لم يروا فيها أحدا من الذين كانوا يدخلون اليها ويخرجون منها وهذه الواقعة مشهورة عند أهل تلك الناحية (ومن العجائب) ان ببلاد الهند ضيعة يقال لها كتام وبها عمود من نحاس أصفر وعليه صفة طائر من نحاس فاذا كان يوم عاشوراء نشر ذلك الطائر جناحيه ومد منقاره فيفيض منه ماء يعم تلك القرية ويسقى زروعهم وبساتينهم ويملأ صهاريجهم وذلك يكفيهم من العام الى العام وهذا دأب ذلك الطائر فى كل سنة * ويقرب من ذلك انه كان ببلاد الاندلس فرس من

نحاس وعليها راكب من نحاس فاذا دخلت الاشهر الحرم هطل من تلك الفرس الماء العذب يرحتى يعم أرضهم و بساتينهم وآبارهم فاذا مضت الاشهر الحرم انقطع ذلك الماء وهو يكفيهم من العام الى العام * ومن أعجب العجائب أن حكيما من الحكماء فى بعض مدائن بابل صنع حوضا من رخام أبيض وعليه كتابة بالقلم القديم فتجتمع أهل تلك المدينة و يأتى كل منهم بشراب فيفرغه فى ذلك الحوض فتختلط الاشربة كلها فى بعضها البعض حتى تصير شيأ واحدا ثم يقف الساقى على ذلك الحوض و يسقى فلا يطلع لكل واحد فى قدحه الا من الشراب الذى أتى به وصبه فى الحوض * ومن العجائب أنه كان ببيت المقدس كلب من الخشب اذا مر به ساحر نبح عليه ذلك الكلب الخشب و يسلب منه عمل السحر و يقال ان بعض السحرة رمى ذلك الكلب بسهم ليقتله فعاد السهم على راميه فقتله ومن العجائب انه كان بمدينة أبهر طلسم للبعوض فلا يدخلها البعوض فكان اذا أخرج أحد يده من السور الى خارج المدينة وقع عليها البعوض واذا أدخلها ارتفع عنها البعوض ولا يدخل الى داخل السور * ومن العجائب أن فى بلاد الشرق ضيعة و بها دير يقال له دير الخنافس ففى يوم معلوم من السنة يمتلىء الدير والارض التى حوله بالخنافس وهى تشبه سوس الخشب فتمشى الناس عليها لكثرتها فاذا انقضى ذلك اليوم لم ير من تلك الخنافس شىء وقد احتال بعض الناس على هذه الخنافس وأدخل منها شيأ فى القنانى وختم عليها بشمع فلما انقضى ذلك اليوم لم يجد فى القنانى شيأ والشمع بحاله مختوم * ومن العجائب أن فى بلاد الهند مدينة تسمى دكين و بها أقوام يعبدون النار ففى يوم معلوم من السنة يأتى شخص أو أكثر من أهل تلك المدينة و يقرب نفسه الى النار فتوقد له النار بزيادة فاذا اسعرت النار طرح ذلك الشخص نفسه فيها فيكون له غليان عظيم و يخرج له دخان قتيم فاذا كان اليوم الثانى يظهر من تلك النار شخص على هيئة المحروق فيسلم على أصحابه فيسألونه عن حاله فيخبرهم أنه فى رياض الجنة و يرغبهم فى أن يلقوا أنفسهم فى النار ثم يختفى عنهم وذلك الشخص الذى يظهر لهم اعماه وشيطان من الجن موكل بتلك النار وقد جعله الله اضلال هذه الطائفة (ومن العجائب) أن ببلاد الصين مدينة يقال لها جلسق فيها رجال على صفة النسناس لا يتكلمون الا بالاشارة ولهم أيد طوال تصل الى أقدامهم عند الوقوف ولهم وثوب نحو عشر أذرع فى الهواء ولم يأو هذا الجنس الا فى البساتين و يسكن على الاشجار و ينفر من الناس و يتناكحون و يتناسلون فى البساتين ولهم احاليل طويل يصل الى أفخاذهم وهم عراة الاجسام وفيهم الابيض والاسود ونساؤهم على هيئتهم فى الشكل (ومن العجائب) أن بمدينة أذربيجان واديا به دود أحمر يظهر فى زمن الربيع يسمونه القرمز فيلتقطونه و يطبخونه و يصنعون به اللون الذى يسمونه الارجوان وكان ابتداء وجود هذا الدود فى أوائل قرن المائة الرابعة وذلك ان راعيا كان يرعى غنمه فدخل الى ذلك

الوادي ليرعى به الغنم فرأى كلب الراعي دودة فأكلها فبقي على خرطومه من دمها فأخذ الراعي صوفة ومسح بها ذلك الدم فانصبغت الصوفة بالحمرة فلما دخل المدينة شاع خبره بما وقع له في ذلك الوادي فأتوه وجمعوا من ذلك الدود وخلطوا معه شيأ من القرمز وطبخوه فجاء من أحسن الالوان و يصبغون منه الآن * ومن العجائب انه كان بمدينة حمص حجر أبيض وعليه صورة عقرب فاذا لدغ انسانا عقرب أخذ طينا وألصقه على تلك الصورة فاذا جف ووقع أخذه وأذابه بالماء وشرب منه الملسوع فيبرأ من ساعته وذلك طلسم العقارب * ومن العجائب أن ببلاد الصين كنيسة كبيرة ولها سبعة أبواب فيها قبة عالية وفي وسط تلك القبة جوهرة قدر بيضة الدجاج وهي معلقة تضيء منها تلك القبة وقد جاء جماعة كثيرون ليأخذوا تلك الجوهرة فكان اذا دنا أحد منها على مقدار عشرة أذرع خر ميتا وان احتال عليها بشيء من الآلات الطوال كالرمح أو غيره انعكست حيلته فليس اليها سبيل وقد قصدها ملوك كثيرة فلم تتم لهم حيلة على أخذها * ومن العجائب ان أهل قريتين قتلوا بالسيف عن آخرهم بسبب قطرة من عسل وسبب ذلك أن رجلا نحالا في قرية أخذ ظرفا من العسل ليبيعه في قرية أخرى فجاء الى زيات وفتح الظرف ليريه العسل فقطرت من العسل قطرة على الارض فانقض عليها زنبور فخطفته قطة فخطف القطة كلب وكانت القطة للزيات والكلب للعسال فلما رأى الزيات أن الكلب افترس القطة ضرب الزيات الكلب فقتله فلما رأى العسال كلبه قد قتل ضرب الزيات فقتله فلما رأى ولد الزيات أن أباه قد قتل ضرب العسال فقتله فلما سمع أهل القريتين بقتل الرجلين لبسوا عدة حربهم ولازالوا يقتتلون حتى فنوا تحت السيف عن آخرهم وكان سببه قطرة من عسل كما قيل * ومعظم النار من مستصغر الشرر ﴿لطيفة﴾ متنزهات الارض أربعة سغد سمرقند وشعب بوان ونهر الايلة وغوطة دمشق * أما سغد سمرقند فهو نهر تحف به شجرة مثمرة بالفواكه والازهار وهي مشتبكة بعضها ببعض ممتدة مقدار اثني عشر فرسخا في مثله * وأما شعب بوان فهو من نواحي نيسابور وهي مقدار فرسخين وفيها أنهار متدفقة وأشجار مثمرة طيبة * وأما نهر الايلة فهو من أعمال البصرة وهو على أربعة فراسخ منها ومن جوانبه الاشجار الطيبة الثمار * وأما غوطة دمشق فقدارها الاثنون ميلا وعرضه خمسة عشر ميلا وهي مشتبكة بالاشجار كأنها بستان واحد لا تكاد الشمس تقع على الارض فيها وثمارها طيبة لم تكن في غيرها قال الشاعر

سألتكما ان جئتما الشام بكرة * وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا

قفا واقرآ مني كتابا كتبته * بدمعي لكم فاقرا ولا تنسيا سطرا

والشقراء والخضراء اسما قريتين من قرى الشام (وقال القيراطي)

مافيه الاروضة أوجوسق * أوجدول أو بلبل أور برب
فكأن ذاك النهر فيه معصم * بيد النسيم منقش ومكتب
واذا تكسر ماؤه أبصرته * فى الحال بين رياضه يتشعب
وشدت على العيدان ورق اطربت * بغنائها من غاب عنه المطرب
فالورق تشدو والنسيم مشبب * والنهر يسقى والجداول تشرب
وضياعها ضاع النسيم بها فكم * أضحى له من بيننا متطلب
فلكم طربت على السماع بذكرها * وغدا بربوتها اللسان يسبب
أشتاق من وادى دمشق لغوطة * كل الجمال الى حماها ينسب

انتهى ماأوردناه من عجائب البلدان وذلك على سبيل الاختصار

﴿ذكر ما كان من مبدا خلق العالم من قبل وجود آدم عليه السلام﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أكمل الله تعالى خلق السموات والارض على الصفة المتقدم ذكرها وأرسى الجبال ونشر الرياح وخلق فيها الوحوش والطيور وصارت الثمار تجف وتقع على الارض ويتولد العشب فى الارض ويركب بعضه بعضا فعند ذلك شكت الارض الى ربها من هذا الامر فخلق الله تعالى من الارض أمما كثيرة وهم على صور مختلفة وأجناس مجنسة يقال لهم الجن وقد خلقهم الله تعالى من الريح ومن البرق ومن السحاب وهم ذو ونفس وحركة فانتشروا كالذر لكثرتهم فامتلأ منهم السهل والجبل وسائر أقطار الدنيا فاقاموا على وجه الارض ماشاء الله من الزمان وكان منهم الابيض والاسود والاحمر والاصفر والابلق والابقع والاصم والاعمى والحسن والقبيح والقوى والضعيف والانثى والذكر فتناكحوا وتناسلوا وسموا الجن لاجتنانهم أى اختفائهم فلما كثروا فى الارض وضاقت بهم الدنيا لكثرتهم زاد بأسهم فارسل الله عليهم ريحا عاصفة فهلكتهم ولم يبق منهم الا القليل فهم أول من ابتدع عمارة البيوت وقطع الصخور وصيد الطيور والوحوش فاستمروا على ذلك دهرا طويلا ثم بغى بعضهم على بعض فتقاتلوا ولم يكن قتالهم بسلاح وانما كان يفنى بعضهم بعضا بالمحاصرة فى البيوت حتى يهلكوا جوعا وعطشا فلما تزايد أمرهم بالفساد أخرج الله تعالى لهم أمما من البحر وهم أعظم أجسادا منهم وأعجب خلقة يقال لها البن فحاربوهم فهلكت الجن ولم يبق منهم أحد ومدة اقامتهم فى الدنيا خمسمائة عام وملك الارض بعدهم البن وتناكحوا وتناسلوا وكثروا حتى ملؤا الارض فكان أحدهم يغوص الى الارض السابعة ويقيم بها أياما فلم يحجب عنهم بقعة من الارض فهم أول من حفر الآبار وشق الانهار وأجرى المياه اليها من العيون والبحار وهم أول من صنع الدواليب وبنى القناطر على الانهار وتسلطوا على الاسماك فى البحر بالصيد وعلى الوحوش فى القفار فلم يبق فى

البر والبحر دابة الا وشكت منهم الى الله تعالى وتزايد أمرهم بالفساد فخلق الله تعالى الجان قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله الجان من مارج من نار وخلق الملائكة من نور ساطع وهم على صفات مختلفة فنهم من يشبه بنى آدم فى الخلق ومنهم طائفة يسكنون السموات وطائفة يسكنون الارض وطائفة موكلون بحفظ بنى آدم ومنهم حملة العرش ومنهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فاما جبريل فهو أمين الوحى الى الانبياء وأخرج ابن أبى حاتم عن عطاء بن السائب قال أوّل من يحاسب جبريل عليه السلام لانه كان أمين الله تعالى الى رسله وأول من قال سبحان ربى الاعلى وأما صفته فله ستمائة جناح بين كل جناحين مسيرة خمسمائة عام وله ريش من رأسه الى قدمه كلون الزعفران وكل ريشة كهيئة الشمس فى نورها * ويروى انه ينغمس فى بحر النور كل يوم ثلاثمائة وستين مرة فاذا خرج سقطت منه قطرات من النور فيخلق الله من تلك القطرات ملائكة على صورته يسبحون الله تعالى الى يوم القيامة ومعنى جبريل بالسريانية عبد الله ﴿وأما ميكائيل عليه السلام﴾ فانه موكل بارزاق بنى آدم والطير والوحش وبالامطار والسحاب والبحار والاشجار وكل النباتات وأما صفته فيروى ان له ريشا أخضر كلون الزمرذ فى كل ريشة ألف وجه وفى كل وجه ألف فم وفى كل فم ألف لسان يستغفرون للمذنبين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويخلق الله تعالى فى كل يوم سبعين ألف ملك على صفته موكلون بالارزاق على نحو ماهو موكل به كما مر * ويروى أنه لما عاين ميكائيل النار لم يضحك بعد ذلك ولم يتبسم من هول ماعاين من النار خوفا من الجبار ﴿وأما اسرافيل عليه السلام﴾ فانه صاحب نفخ الصور ويروى ان الله تعالى خلق اسرافيل قبل ميكائيل بخمسمائة عام ووكله بالصور * ويروى ان الصور كهيئة القرن وفيه مثل خليات النحل وهى التى تستقر فيها الارواح طوله مابين السماء والارض فاذا انقضت أيام الدنيا أمره الله تعالى أن ينفخ فى ذلك القرن فتخرج الارواح من تلك الخليات وهى تتوهج وينفخ فى الصور ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع الثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث (ويروى) ان اسرافيل له أجنحة لاتحصى وقد أعطاه الله قوة على سائر الملائكة وعظما ويروى ان جبريل مع عظمه طار باجنحته نحو ثلاثمائة عام مابين أنف اسرافيل وشفته فما بلغ مقدار ذلك ومع ذلك قيل ان أعظم الملائكة ملك يقال له الروح قال الله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا الآية (ويروى) أن هذا الملك الذى اسمه الروح يقوم يوم القيامة صفا وحده لعظمه وجميع الملائكة صفا فيكون الروح على قدر الملائكة لعظم خلقته ﴿وأما عزرائيل عليه السلام﴾ فانه موكل بقبض الارواح من بنى آدم وغيرهم وكذلك سائر الطيور والوحوش وكل ذى روح (ويروى) ان صفته كصفة اسرافيل وانه جالس على سرير فى السماء السادسة وله أربعة أجنحة ممتدة من المشرق الى المغرب ويروى ان فى سائر جسده عيونا

ناظرة الى كل ذى روح فاذا قبض روح أحد عميت منه العين الناظرة اليه فاذا مات المخلوقون جميعهم ذهبت تلك العيون كلها التى فى جسده ولم يبق الا عينه فيعلم انه لم يبق الا هو اهـ ما أوردناه على سبيل الاختصار ﴿وأما أخبار الجان﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الجان هم ذكور الجن وهم على أجناس مختلفة فمنهم أمم يقال لهم النهابر وأمم يقال لهم النهامر وهذه الامة كبنى آدم يأكلون ويشربون ويتناسلون ومنهم المؤمنون والكافرون شيخهم ابليس لعنه الله (ويروى) ان الله تعالى جعل سكان السماء الملائكة وجعل سكان الارض الجان فلما شكت الوحش والطير من أفعال الجن والبن خلق الله تعالى الجان كما تقدم ذكره فلما خلق الجان أسكنهم الارض فلما سكنوا تحاربوا مع البن فقوى الجان عليهم فاهلكوهم عن آخرهم ولم يكن لهم بقية فبقى الجان فى الارض فتنا كحوا وتناسلوا حتى ملؤا الارض ثم وقع بينهم التحاسد والبغى وكثر فيهم سفك الدماء وشوش بعضهم على بعض فشكت الارض الى ربها فعند ذلك بعث الله اليهم جنودا من الملائكة ومعهم ابليس وكان اسمه عزازيل وكان رئيس الملائكة فطرد الجان من الارض فتوجهوا الى شعب الجبال وسكنوا بها فملك ابليس الارض منهم فكان يعبد الله تعالى فى الارض وفى السماء فاعجب بنفسه وداخله الكبر فاطلع الله على ما فى قلبه فقال عز من قائل واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون وقول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء يعنى كمن تقدم ذكرهم من الجن والبن فانهم كانوا يفسدون فى الارض ويسفكون الدماء انتهى ذلك ﴿ذكر قصة آدم عليه السلام﴾ قال الثعلبى فى كتابه لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام أوحى الى الارض انى خالق من أديمك خلقا فمنهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار ثم بعث الله تعالى جبرائيل عليه السلام الى الارض ليأتيه بقبضة منها فلما أتاها جبريل أقسمت عليه وقالت انى أعوذ بعزة الله الذى أرسلك أن لا تأخذ منى شيأ يكون للنار فيه نصيب فلم يأخذ منها شيأ ورجع الى ربه وقال يارب قد استعاذت بك منى فكرهت أن آخذ منها شيأ فامر الله تعالى ميكائيل أن يمضى اليها يقبض منها قبضة من تراب فاقسمت عليه وقالت له مثل ما قالت لجبرائيل فبر قسمها ولم يأخذ منها شيأ فارسل الله اليها عزرائيل فلما هبط اليها وكزها بحربة كانت معه فاضطربت تديده اليها فاقسمت عليه وقالت له مثل ما قالت لاخويه فقال لها أمر الله خير من قسمك وقبض قبضة من زواياها الاربع من جميع أديمها من أسودها وأبيضها وأحمرها من سهلها وجبلها وأعاليها وأسافلها ثم أتى بتلك القبضة بين يدى الله تعالى فقال الله تعالى له لم تجبها وقد أقسمت بى عليك فقال يارب أمرك أوجب وخوفك أرهب فقال له اذا أنت ملك الموت وقابض الارواح ومنتزعها من الاشباح ولم يكن

قبل ذلك ملك الموت قال فلما اقبض منها ومضى بكت على ما نقص منها فاوحى الله اليها انى سوف أرد اليك ما أخذ منك وهو قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ثم ان الله تعالى أمر عزرائيل أن يضع تلك القبضة على باب الجنة فلما وضعها أمر الله رضوان خازن الجنان أن يعجنها بماء التسنيم ثم أمر الله تعالى جبرائيل بان يأتى بالقبضة البيضاء التى هى قلب الارض فخلق منها الانبياء ثم خلط الطين بالماء حتى صارت معجنة كبيرة (وقد قيل فى المعنى)

يامشتكى الهم دعه وانتظر فرجا * ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا أصبحت فى كدر * فانما أنت من ماء ومن طين

فلما عجنت تركت أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا ثم تركت أربعين سنة أخرى حتى صارت صلصالا كالفخار ثم جعل من تلك العجينة جسدا مصورا وألقاه على طريق الملائكة التى تصعد منها وتهبط وترك أربعين سنة ملقى على تلك الهيئة قال تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا قال ابن عباس الحين أربعون سنة (قال) الثعلبى ان الله تعالى لما عجن طينة آدم عليه السلام أمطر عليها سحائب الهموم والحزن أربعين سنة ثم أمطر عليها السرور والفرح سنة واحدة فلذلك صار الهم أكثر من الفرح والحزن أكثر من السرور (وأنشد فى المعنى)

أى شئ يكون أعجب من ذا * لو تفكرت فى صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا * والبلايا تكال بالصيعان

ثم ان الله تعالى أظهر آدم الى الوجود فكان طوله ستين ذراعا وجعل فيه ثلثمائة وستين عرقا ومائتين وأربعين عصبا واثنى عشر مفصلا وفى رأسه سبع منافذ وجعل له اليدين والرجلين وغير ذلك وأتم خلقه فتبارك الله أحسن الخالقين * وقال أبو موسى الاشعرى لما خلق الله فرج آدم قال هذا أمانتى عندك فلا تضعها الا فى حقها قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما خلق الله تعالى ثلاثة بيده الأول آدم والثانى شجرة طوبى والالواح المكتوبة فيها التوراة واليد عبارة عن القدرة انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون قال ولما كان آدم عليه السلام صلصالا كالخلية كان ابليس اللعين يمر عليه ويضرب بيده على بطن آدم فمن تلك الضربة صار مكانها السرة فكانت السرة علامة من ضرب ابليس وان سبب ضرب ابليس ليعلم أهو مجوف أم صامد فلما رآه مجوفا دخل الى باطنه فاطلع على جميع أعضائه ظاهرا وباطنا وعلى عروقه الا قلبه فانه لم يطلع عليه أحد غير الله تعالى ومنع ابليس عن القلب لانه بيت الرب ولهذا يقال ان الشيطان يجرى مجرى الدم قال فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فى آدم الروح أمرها بان تدخل اليه من رأسه ولذلك سمى الرأس يافوخا ويروى ان الروح امتنعت من الدخول الى آدم فقالت يارب كيف أدخل الى مكان مظلم فناداها الرب جل وعلا ثلاث

مرات وهي تأبى فدخلت في جسده كرها فاوحى الله اليها لو دخلت طائعة لخرجت طائعة ولكن سبق لك في علمي من الازل أن تدخلي كرها وتخرجي كرها فلما دخلت الروح الى دماغه استدارت فيه مائة عام ثم نزلت الى عينيه فابصر تا فنظر الى جسده وهو صلصال كالفخار ثم نزلت الى منخريه فشم الهواء فتنفس فعطس فنزلت الروح الى فه ولسانه فالهمه الله حمده فقال الحمد لله رب العالمين فقال الله له يرحمك ربك يا آدم وهذا لك ولذريتك ولذلك سن تشميت العاطس (وروى) لما حمد الله آدم قال الله تعالى لهذا خلقتك يا آدم ثم نزلت الروح الى صدره وأضلاعه وبطنه فصار آدم ينظر الى الروح وهي تنتقل وكلما انتقلت الى عضو يصير لحما وعظما وروحا ودما فلما بلغت الروح الى ركبته أخذ يعالج القيام فلم يقدر عليه فقال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما عمت الروح سائر جسده قام وتحرك وتمايل وقد تمت خلقته بادن من يحيي العظام وهي رميم (قال) الحافظ اسمعيل السدى قرأت في الانجيل أشياء كثيرة فيها أن عدد ساعات الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة يتنفس فيها ابن آدم ثلاثين ألف نفس في كل ساعة ألف ومائتان وخمسون نفسا واعتبار ذلك من الغرائب * قال العزيزى ان الروح دخلت في جسد آدم يوم الجمعة وقد مضى من النهار سبع ساعات وهي من ساعات الآخرة ثم ان الله تعالى ألبسه من الجنة حلة خضراء من السندس وألبسه تاجا من الذهب مرصعا بالجواهر وله أربعة أركان في كل ركن منه درة عظيمة يغلب ضوؤها على ضوء الشمس وختمه بخاتم الكرامة ومنطقه بمنطقة الرضوان وسروله بسروال من السندس الأخضر ثم ظهر في جبهته نور ساطع كشعاع الشمس وهو نور محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الله أمر الملائكة أن تحمله على أكتافها ويطوفوا به في السموات السبع فحملته الملائكة فطافوا به مقدار مائة عام حتى رأى ما فيها من العجائب ثم أمر الله تعالى أن ينصب له منبر من الذهب وعلمه الاسماء كلها وهي قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها الآية ثم ان آدم صعد المنبر وبيده قضيب من النور وذلك يوم الجمعة عند زوال الشمس فانتصب قائما وجمع الله له جميع الملائكة فقال آدم السلام عليكم يا ملائكة ربي ورحمة الله وبركاته فقالت الملائكة وعليك السلام يا صفوة الله ورحمته وبركاته فقال الله يا آدم هذه تحية لك ولاولادك الى يوم القيامة فلما خطب آدم قال الحمد لله فصارت سنة في الخطبة فاول من خطب على المنبر آدم في يوم الجمعة ثم ان الله تعالى عرض الاسماء كلها على الملائكة فقال أنبؤني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فقالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا فقال الله تعالى يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (قال وهب بن منبه) أوّل من أفشى السلام آدم وفي بعض الاخبار ما أفشى السلام قوم الا أمنوا من العذاب والنقمة ثم قالت الملائكة الهنا هل خلقت خلقا أفضل منا فقال الله

تعالى أنا الذى خلقته بيدى وقلت له كن فكان ثم ان الله تعالى أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فكان أول من سجد جبرائيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ثم ان الله تعالى أمر ابليس بالسجود لآدم فابى وامتنع من السجود فقال الله تعالى له مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى فقال ابليس أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وأنا الذى عبدتك دهرا طويلا قبل أن تخلقه فقال الله تعالى لقد علمت فى سابق علمى منك المعصية فلم تنفعك العبادة اخرج من رحمتى مذموما مدحورا لاملأن جهنم منك وممن تبعك فقال ابليس عند ذلك رب أنظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين فعند ذلك تغيرت خلقته وصار شيطانا رجيما وكان اسمه عزازيل وكان من كبار الملائكة ماترك بقعة من السماء والارض الاوله فيها ركعة وسجدة ولكن بعصيانه لم تنفعه عبادته وسمى ابليس لانه أبلس من رحمة الله أى أيس وقد هجاه أبو نواس بقوله

عجبت من ابليس من كبره * وخبث ماأضمر من نيته
تاه على آدم فى سجدة * وصار قوادا لذريته

﴿ سؤال لطيف ﴾ لم أهلك الله تعالى أعداء سائر الانبياء وأبقى ابليس وهو عدو آدم عليه السلام

﴿ فالجواب ﴾ ان الله تعالى أبقى ابليس امتحانا للخلق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أراد الله تعالى أن لا يعصى لما خلق ابليس وأيضا بقاؤه عقوبة للكافرين ورحمة للمؤمنين فيحبهم الله بمعصيتهم لابليس وأيضا ابليس سأل ربه الانتظار الى يوم البعث اهـ فلما نزل آدم عن المنبر جلس بين الملائكة فالقى الله عليه النوم لان فيه راحة للبدن فلما نام رأى حواء فى منامه قبل أن تخلق فمال اليها حين نظرها ثم أخرجها من ضلعه الايسر فخلقت منه حواء على هيئته وأحسن الله خلقها وأعطاها حسن ألف حورية فكانت أحسن النساء اللاتى هن بناتها الى يوم القيامة وكان لها سبعمائة ضفيرة من الشعر فكانت على طول آدم وألبسها الله من الجنة الحلى والحلل فكانت تشرق اشراقا أبهى من الشمس فانتبه آدم من منامه فوجدها بجانبه فاعجبته وألقى الشهوة فى آدم فهم بها فقيل له لا تفعل حتى تؤدى صداقها فقال وما صداقها قال قد نهيتك عن شجرة الحنطة فلا تأكل منها فهو صداقها وقيل ان الله تعالى قال أعطها صداقا قال وما صداقها قال الصلاة على نبيى وحبيبى محمد فقال آدم يارب وما يكون محمد قال انه من أولادك وهو آخر الانبياء ولولاه ماخلقت خلقا ثم ان الله تعالى مسح على ظهر آدم فاخرج منه ذريته كهيئة الذر ما بين أبيض وأسود من ذكر وأنثى وأفاض عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور كان مؤمنا ومن لم يصبه كان كافرا ومنهم طائفة لهم نور ساطع فقال يارب من هؤلاء قال الانبياء من ذريتك يا آدم ثم زوج الله تعالى آدم بحواء وكان ذلك يوم الجمعة بعد الزوال

وهذا اسن عقد التزويج في يوم الجمعة * وقيل كان آدم أحسن من حواء ولكن كانت حواء ألطف وألين ثم أوحى الله تعالى الى رضوان خازن الجنان أن يزخرف القصور ويزين الولدان والحور وخلق لآدم فرسا من المسك الاذفر يسمى الميمون كالبرق الخاطف فلما أحضر بين يدي آدم ركبه وأحضر لحواء ناقة من نوق الجنة وعليها هودج من اللؤلؤ فركبت فيه على الناقة فاخذ جبرائيل عليه السلام بلجام الفرس ومشى ميكائيل عن يمينه واسرافيل عن يساره وطافوا به في السموات كلها وهو يسلم على من يمر به من الملائكة فتقول ما أكرمك من خلق الله على الله تعالى هذا وحواء على الناقة تطوف معه الى أن أتوا بهما الى باب الجنة فوقفوا ببابها ساعة فاوحى الله تعالى الى آدم هذه جنتي ودار كرامتي ادخلا فيها وكلا منها حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وأشهد عليهما الملائكة ثم دخلا الى الجنة فطافت بهما الملائكة في الجنان وأراهما أماكن الانبياء جميعهم فلما وصلا الى جنة الفردوس نظرا سريرا من الجواهر وله سبعمائة قاعدة من الياقوت الاحمر وعليه فراش من السندس الاخضر فقالت الملائكة يا آدم انزل ههنا أنت وحواء فنزلا وجلسا على ذلك السرير ثم أتوهما بقطفين من عنب الجنة فكان كل قطف مسيرة يوم وليلة فاكلا وشربا وتعافى رياض الجنة فكان آدم اذا أراد المجامعة مع حواء دخل قبة من اللؤلؤ والزبرجد وأسبلت عليهما ستور من السندس والاستبرق فكانت حواء اذا مشت في القصور كان خلفهما من الحور ما لا يحصى (قال) ابن السني ان أول شئ أكله آدم من فواكه الجنة النبق وقال ابن عباس انما أكلا أولا العنب وآخر شئ أكلا منه الحنطة كما سيأتي الكلام عليه وكان يشرب من خمر الجنة وكان اذا شرب به يجد سرورا زائدا فمن شرب من خمر الدنيا لم يشرب من خمر الجنة (قال أبو نواس)

حمراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لومسها حجر مسته سراء

قال وزارع الحنطة يعتريه الكد والتعب دائما في زرعها وفي حصادها الى أن تصير دقيقا لانها أكلت أولا على العصيان (ويروى) أن المؤمنين أول ما يأكلون من الجنة العنب وقال النيسابوري أول ما يأكلون من كبد الحوت الذي هو حامل الارض حتى يعلم أهل الجنة بانقراض الدنيا اهـ وقال وكان آدم يطوف في الجنة فاذا جاء الى جهة شجرة الحنطة نفر عنها للعهد الذي بينه وبين الله تعالى بعدم الاكل منها وكانت شجرة الحنطة أعظم شجر الجنة ولها سنابل وفيها الحب كل حبة قدر رأس البعير وكانت أحلى من العسل وأبيض من اللبن ولما علم ابليس بدخول آدم وحواء الى الجنة وعلم أن آدم منع من أكل شجرة الحنطة أتى الى باب الجنة وأقام عنده نحوا من ثلثمائة سنة وهي ساعة من ساعات الآخرة فكان ابليس ينظر الى من يأتي الى جهة باب الجنة قال فجاء طائر مليح الملبوس يقال له الطاوس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس تقدم اليه وقال أيها الطائر المبارك من أين جئت فقال

من بساتين آدم فقال له ابليس ان لك عندى نصيحة وأريد أن تدخلنى معك فقال ولم لا تدخل بنفسك فقال انما أريد أن أدخل سرا فقال الطاوس لا سبيل الى ذلك ولكننى آتيك بمن يدخلك سرا فذهب الطاوس الى الحية ولم يكن فى الجنة أحسن منها خلقا فكان رأسها من الياقوت الاحمر وعيناها من الزبرجد الاخضر ولسانها من الكافور وقوائمها مثل قوائم البعير فقال لها الطاوس ان على باب الجنة ملكا من المكرمين ومعه نصيحة فاسرعت الحية اليه فقال هل لك أن تدخلينى الجنة سرا ولك منى نصيحة فقالت وكيف الحيلة على رضوان فقال لها افتحى فاك ففتحته فدخل فيه ابليس وقال لها ضعينى عند شجرة الحنطة فوضعته عندها فاخرج ابليس من مارا وزمرا تزميرا مطربا فلما سمع آدم وحواء صوت المزمار جا آ ليسمعا ذلك فلما وصلا الى شجرة الحنطة قال ابليس تقدم الى هذه الشجرة يا آدم فقال انى ممنوع فقال ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فان من أكل من هذه الشجرة لا يشيب ولا يهرم ثم أقسم بالله انها لا تضرهما وانه لمن الناصحين لهما فظن آدم أنه لا يتجاسر أحد على أن يحلف بالله كاذبا وظن أنه من الناصحين وقد قيل فى المعنى

فان من يستنصح الاعادى * يردونه بالغش والفساد

فمن حرص حواء على الخلود فى الجنة تقدمت وأكلت فلما نظر آدم اليها حين أكلت ووجدها سالمة تقدم وأكل بعدها فلما وصلت الحبة الى جوفه طار التاج عن رأسه وطارت الحلل أيضا ﴿سؤال﴾ لاى شئ لما أكلت حواء من الشجرة لم تسقط الكسوة عنها فى الحال وآدم حين أكل سقطت عنه فى الحال ﴿الجواب﴾ لو سقطت فى الحال عن حواء لرجع آدم ولم يأكل وأيضا الدية على العاقلة ولان الامر كان أولا لآدم وقال بعض العلماء ان آدم أكل وهو ناس قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى وقيل فى المعنى

لقد نسيتك والنسيان مغتفر * وان أول ناس أول الناس

فلما أكل آدم من الشجرة أوحى الله تعالى الى جبريل عليه السلام بان يقبض على ناصية آدم وحواء ويخرجهما من الجنة فاخرجهما جبرائيل من الجنة ونودى عليهما بالمعصية قال فكان آدم وحواء عريانين فطافا على أشجار الجنة ليستترا باوراقها فكانت الاشجار تنفر عنهما ورحمته شجرة التين فغطته فتستر بورقها وقيل غطته شجرة العود فلذلك أكرمها الله بالرائحة الطيبة وأكرم شجرة التين بالثمر الحلو الذى ليس له نوى وقيل غطته شجرة الحناء فلذلك صار أثرها طيبا مفرحا ولذلك سميت الحناء (قال) كعب الاحبار لما صار آدم عريانا أوحى الله تعالى اليه اخرج الى لانظرك فقال آدم يارب لا أستطيع ذلك من حيائى منك وخجلى وهذا المعنى قيل

بفرد خطيئة وبفرد ذنب * من الجنات أخرجت البرايا
فكيف وأنت تطمع فى دخول * اليها بالالوف من الخطايا

(قال) ثم ان جبرائيل آخذ بيد آدم وهو عريان مكشوف الرأس فهبط به الى الارض عند غروب الشمس من يوم الجمعة فاهبط على جبل من جبال الهند يقال له الراهون وتقدمت صفة هذا الجبل بين ذكر الجبال (وأما حواء) فقد ذهب عنها حسنها وجمالها وابتليت بالحيض وانقطع عنها ذكر النسب فيقال أولاد آدم ولا يقال أولاد حواء لانها غرت آدم مع ابليس حيث ابتدأت بالاكل وفى المعنى قيل

وكم من آكلة منعت أخاها * بلذة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يسعى لشئ * وفيه هلاكه لو كان يدرى

وأهبطت حواء عند ساحل البحر المالح بجدة * قال الله تعالى قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين * وأما ابليس اللعين فانه خرج عن طور الملائكة وصار شيطانا رجيما فلما أهبط من الجنة نزل بارض العراق نحو البصرة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أهبط ابليس الى الارض نكح نفسه بنفسه فباض أربع بيضات ففرق فى كل قطر من الاقطار بيضة فجميع من فى الارض من الشياطين من تلك البيضة وقال مجاهد انه نكح الحية التى دخل فى جوفها فى الجنة حين أهبطت الى الارض فباضت الاربع بيضات (وأما) الطاوس فانه ذهبت عنه الجواهر وبعض الحسن وأهبط أيضا الى الارض ونزل فى أرض بابل وقيل بارض أنطاكية (وأما الحية) فسخ شكلها وصار فيها السم وسببه ان ابليس اختبأ تحت أنيابها وأدخلته الى الجنة وخرس لسانها وصارت تمشى على بطنها زحفا ونزلت الى الارض باصبهان (قال) ابن عباس كانت اقامة آدم وحواء فى الجنة مدة نصف يوم من أيام الآخرة وهو مقدار خمسمائة عام من أعوام الدنيا فلما هبط آدم ألقى الله عليه النوم فنام فالقى الله النوم على جميع من فى الارض من الحيوانات الوحش والطير وكل شئ فيه روح ولم يكن قبل ذلك يعرف النوم فسمى ذلك اليوم يوم السبت فلما طلع النهار ورأى آدم الشمس وهى تدور مع الفلك تعجب من ذلك فلما تعالت فى الفلك أحرقت جسد آدم لانه كان عريانا مكشوف الرأس فاتاه جبريل فشكا اليه من ذلك فمسح على رأسه بيده فحط من ذلك الطول خمسة وثلاثين ذراعا قال قتادة كان آدم اذا عطش يشرب من السحاب ويروى أنه لما طلع الشعر على رأسه وطالت أظفاره أتاه جبرائيل فحلق رأسه وقص أظفاره ودفن ذلك فى الارض فانبت الله منه النخل ولهذا قيل أكرموا عماتكم النخل وقال ابن عباس مكث آدم فى الارض ثلثمائة سنة لم يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى وأقام يبكى نحو مائتى سنة فنبت العشب من دموعه وصارت الطيور والوحوش تشرب من دموعه * ثم ان آدم شكا الى جبرائيل العرى وحر الشمس فمضى جبرائيل الى حواء ومعه كبش من

الجنة فقص من صوفه ودفعه الى حواء وعلمها كيف تغزل الصوف فلما علمها وغزلته علمها كيف تنسجه فنسجت عباءة فاخذها جبرائيل ومضى بها الى آدم فستر بها جسده ولم يقل له هذه العباءة من عند حواء ثم انه شكا من الجوع لانه أقام أربعين سنة لم يأكل ولم يشرب فمضى جبرائيل وأتاه بثورين من الجنة أحدهما اسود والآخر أحمر وعلمه كيف يحرث فحرث ثم أتاه بكف من الحنطة وعلمه كيف يزرع فزرع (نكتة) بينما آدم يحرث فى الأرض اذ وقف أحد الثورين فضربه بعصا كانت بيده فانطق الله تعالى ذلك الثور فقال لم تضربنى فقال لاجل مخالفتك لى فقال له الثور لطف الله بك حيث لم يضربك حين خالفته فبكى آدم وقال الهى صار كل شئ يوبخنى حتى البهائم فأمر الله جبرائيل أن يمسح على لسان البهائم فاخرست وكانت البهائم تتكلم قبل هبوط آدم الى الأرض فلما زرع آدم نبت فى الحال وأسبل وأدرك القمح من يومه فعلمه جبرائيل كيف يحصد فحصد ودرس وذرى فى الهواء فقال آدم لجبرائيل آكل فقال اصبر ثم قطع له من الجبل حجرين فطحن بهما فلما صار دقيقا قال آدم آكل فقال اصبر ثم مضى وأتاه بشرارة نار من نار جهنم بعد ان غمسها فى الماء سبع مرات ولولا ذلك لأحرقت الأرض ومن عليها ثم ان جبرائيل علمه كيف يخبز فخبز ثم قال لجبرائيل آكل فقال اصبر حتى تغرب الشمس فيتم لك الصوم فكان آدم أول من صام على وجه الارض فلما غربت الشمس ووضع آدم الرغيف بين يديه ومد يده ليأخذ من الرغيف لقمة ففر الرغيف من بين يديه وسقط من أعلى الجبل فتبعه آدم وأخذه فقال له جبرائيل لو صبرت لاتاك الرغيف من غير أن تقوم اليه * ويروى ان آدم لما أكل من الرغيف ادخر منه النصف الى الليلة القابلة فقال له جبرائيل لولا انك فعلت ذلك لما كان أحد من أولادك يدخر فصار ذلك عادة لبنى آدم (وقيل) ان آدم لما أكل الخبز عطش فشرب عليه الماء فوجد فى نفسه تشكيا لم يكن يعهده فلما أتاه جبرائيل شكى له ذلك ففتق جبرائيل عن دبره فبال وتغوط من وقته قال ابن عباس رضى الله عنهما كان آدم اذا جاع نسى حواء واذا شبع تذكرها فقال يوما لجبرائيل يا جبرائيل هل حواء على قيد الحياة أم ماتت فقال بل فى قيد الحياة وانها أصلح حالا منك لانها على ساحل البحر تصطاد الاسماك وتأكل منها فقال آدم يا جبرائيل انى رأيتها فى منامى فى هذه الليلة فقال جبرائيل يا آدم ابشر فما أراك الله اياها الالقرب الاجتماع قال ابن عباس رضى الله عنهما لما انقضت أيام المحنة عن آدم عليه السلام وتاب فتاب الله عليه وهو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قال بعض العلماء ألهمه الله أن يقول ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل ان آدم قال يارب بحق محمد الا ما غفرت لى خطيئتى فاوحى الله تعالى اليه وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه بعد فقال آدم لما خلقتنى رفعت رأسى فرأيت مكتوبا على قوائم العرش لا اله الا الله محمد

رسول الله فعلمت أنك لم تقرن اسمك الا باسم من هو أحب الخلق عليك فقال صدقت يا آدم وقد غفرت لك خطيئتك اذ سألتني بحق محمد قال الثعلبي ثم ان الله تعالى أوحى الى آدم بان أرحل من أرض الهند الى مكة وطف حول مكان البيت واسألني المغفرة فأغفر لك خطيئتك * قيل ان الله تعالى أنزل ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة على قدر الكعبة وذلك مكان الحشفة البيضاء التي امتدت منها الارض كما تقدم وجعل من داخلها قناديل من ذهب تضيء بالنور ثم أرسل الله لآدم ملكا يقوده ويرشده الى طريق مكة وأنزل عليه عصا من شجر الآس طولها عشرون ذراعا وهي من أشجار الجنة فكان آدم يمشي فتطوى له الارض فصار كل مكان وضع عليه قدمه يصير قرية فلما دخل آدم مكة أوحى الله تعالى اليه أن يطوف بذلك البيت فطاف به سبعا مكشوف الرأس عريان الجسد وذلك سنة الحج فلما فعل ذلك آدم غفر الله له خطيئته وتاب عليه وصار الطواف يكفر الذنوب وقيل في المعنى شعر

خز يا لابليس فقد * نلنا الخلاص من يديه وان في طوافنا * دائرة السوء عليه

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان ابليس اللعين قال يارب ان شأن عبادك عجيب أحبوك وعصوك وأبغضوني وأطاعوني فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لأجعلن حبهم لي كفارة لطاعتك وبغضهم لك كفارة لمعصيتي اهـ قال ولما تاب آدم أمره الله تعالى أن يخرج الى عرفات فلما خرج الى عرفات وقف بها واذا بحواء أقبلت نحو آدم فاجتمعا على ذلك الجبل فمن يومئذ صار الوقوف على ذلك الجبل سنة الحاج وانما سمي عرفات لأن آدم وحواء تعارفا فيه ثم ان آدم أقام في مكة مدة يسيرة ثم ارتحل الى أرض الهند هو وحواء (وروى) ان المدة التي كانت بين آدم وحواء متفرقين خمسمائة عام وروى ان آدم لما خرج من الجنة تستر بورق الجنة فلما صار في الارض يبس الورق وتناثر على الارض فجميع ما في الهند من الروائح الطيبة سببها ذلك قيل أنزل الله على آدم ثمانية أزواج من الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين وأمره أن يشرب من ألبانها ويكتسي من أصوافها وكان آدم وحواء يبكيان على ما فات من نعيم الجنة فخرج من دموعهما الحمص والفول (ويروى) أن آدم عليه السلام شكا الى الله تعالى فقال يارب لا أعلم أوقات العبادة فانزل الله اليه ديكا من الجنة على قدر الثور العظيم وهو أبيض اللون فكان اذا سمع الديك تسبيح الملائكة في السماء يسبح في الارض فيعلم آدم من ذلك أوقات العبادة ثم ان آدم غرس الاشجار وحفر الآبار وعمر الدار ثم أنزل الله على آدم احدى وعشرين صحيفة فيها تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك وأنزل عليه حروف الهجاء وهي تسعة وعشرون حرفا فتعلمها آدم لاجل أن يقرأ الصحف ولا يقدر أحد أن يزيد فيها حرفا واحدا فان حكم الاله محكمة متقنة ﴿ومن النكت اللطيفة﴾ قيل ان صبيا صغير السن لقي أبا العلاء المعري فقال له ألست القائل وانى وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الأوائل

فقال أبو العلاء نعم قلت ذلك فقال الصبي ان الأوائل أتوا بحروف الهجاء تسعة وعشرين فأت أنت بحرف واحد زيادة عن ذلك يحتاج الناس اليه و ينطقون به فعند ذلك سكت أبو العلاء ولم يتكلم بشئ فلما انصرف الصبي سأل عنه أبو العلاء فقيل له هو ابن فلان فقال قريب يموت فلم تمض أيام حتى مات الصبي فقال أبو العلاء ذكاؤه قتله ثم رثاه بعض الناس بقوله

مولاى انى رأيت الدهر ذا عجب * لايستقيم لذى فضل على سنن

يقصى الذكى ويدنى كل ذى حمق * أوفاسد صالح للجبل والرسن

مازال طبعا يعادى كل ذى فطن * كأن حقا عليه بغضة الفطن

قال الثعلبي لما حملت حواء من آدم تحرك الجنين فى بطنها الوقته ففزعت حواء وكانت تقول من أين يخرج هذا المتحرك منى فلما ولدت وضعت اثنين ذكرا وأنثى فسمى الذكر هابيل والأنثى ليوثا فلما انقضى زمن الولادة وطهرت أراد آدم أن يواقعها فابت لما رأت من ألم الولادة فلازال بها حتى واقعها وقيل كانت تمانعه من محبتها لذلك ولكن تخاف من أمر الولادة كاذكر الحكماء ان فى الرجال شهوة واحدة وفى النساء تسعة ولكن غلب الحياء عليهن فلم يظهرن شيأ من ذلك توفيقا وفى الحديث يتمنعن وهن الراغبات قال وحملت حواء ثانيا فجاءت بذكر وأنثى فى بطن واحدة فسمياهما قابيل واقليما ويقال ان مجموع ماولدت حواء عشرون بطنا فى كل بطن اثنان ذكر وأنثى فكان لهما من الاولاد أربعون ولدا ذكورا واناثا وقيل ماتناولد ولم تلد فى بطن واحد غير شيث وكان فى جبهته نور المصطفى صلى الله عليه وسلم (ويروى) ان أولاد آدم لم يزالوا يتناسلون فى مدة حياته حتى بلغ عددهم نحوا من أربعين ألفا ذكورا واناثا وهو قوله تعالى الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء * ويروى ان آدم لما تكاثر نسله صاروا يتشاجرون فأنزل الله تعالى لآدم عصا من الجنة ليؤدب بها أولاده اذا عصوه ولهذا يقال العصا من الجنة (قال) الثعلبي لما كبر قابيل فوض اليه آدم أمر الزرع وفوض أمر الغنم الى هابيل فأوحى الله الى آدم بان يزوج اقليما بهابيل وان يزوج ليوثا بقابيل فأبى قابيل ان يتزوج بليوثا وقال لاأتزوج الا باقليما لانها ولدت معى فى بطن واحد وهى أحب الى من أخت هابيل وكان يومئذ نكاح الأخت جائزا لتكاثر النسل فعند ذلك قال آدم يابنى لا تعص الله فيما أمرنى به فقال لاأدع أخى أن يأخذ اقليما فقال آدم اذهب انت وأخوك فقربا الى الله تعالى قربانا وليكن من أطيب ماعندكما ثم يقف كل منكما و ينظر من يتقبل قربانه فهو أحق باقليما فرضيا بذلك وخرجا وتوجها الى مكة فصعدا على جبل من جبالها وقرب هابيل قربانا من خيار غنمه وقرب قابيل قمحا لم يدرك فى سنبله ثم وقف قابيل وهابيل ينتظران ما يكون من أمرهما فنزلت من السماء غمامة بيضاء فاشرفت على قربان قابيل ثم أعرضت عنه ومالت الى قربان

أخيه هابيل فاحتملته وصعدت به الى السماء وهو قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الآيتين فقال قابيل لأخيه ان تأخذها قتلتك ولا أدعك لاختي الحسناء وما أنا باخذ أختك القبيحة وبقي قابيل متحيرا كيف يقتل هابيل فأتاه ابليس اللعين على صورة بعض اخوانه فأخذ حجرين من الارض وضرب أحدهما بالآخر فانفلق الحجر نصفين وقابيل ينظر الى ذلك فقال لم لا أفعل بهابيل كذلك فنهض قابيل من وقته وأتى الى أخيه هابيل فوجده نائما تحت جبل من الجبال فعمد قابيل الى صخرة فاحتملها وألقاها على رأس أخيه فقتله ومات وهو أول من قتل ظلما من أولاد آدم وكان عمره عشرين سنة فلما قتله بقي متحيرا كيف يصنع به فجعله في جراب وحمله على ظهره وطاف به الأرض وكانت السباع والطيور تحوم حوله وتنتظر متى يتركه لتأكله حتى بعث الله له غرابين فقتل أحدهما الآخر فلما قتله حفر له الارض بمنقاره وبرجله ووضعه في الحفرة ورد عليه التراب فعند ذلك قال قابيل ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة أخي فاصبح من النادمين قال بعض المفسرين لم يندم قابيل على القتل ولكنه ندم على حمله حيث حمله قيل حمله سنة ولم يدر كيف يصنع به (قال) صاحب مرآة الزمان ان أرباب النجوم يذكرون ان كوكب الذنب لم يظهر في الدنيا الا عند قتل هابيل وعند القاء ابراهيم الخليل في النار وعند هلاك قوم عاد وعند غرق فرعون واستمر من يومئذ لا يظهر الا عند ظهور أمر من طاعون أو قتل ملك من الملوك وقد ظهر في أول الاسلام عند غزوة بدر الكبرى وظهر عند قتل الامام عثمان بن عفان رضي الله عنه وعند قتل علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه وهذا أمر قد جرب والله أعلم (قال) الثعلبي لما قتل هابيل تزلزلت الارض وهي أول زلزلة وقعت في الارض وكانت في اليوم تتزلزل سبع مرات الى سبعة أيام من قتل هابيل وفي ذلك كسفت الشمس وهو أول كسوف وقع في الدنيا قال الثعلبي لما قتل هابيل نبت الشوك في الاشجار وتغير طعم الفواكه وملح طعم الماء وكان آدم بارض الهند ولم يكن عنده علم بقتل ابنه هابيل وكان يحبه قال ابن عباس لما قتل قابيل أخاه هابيل كان في جبل قاسيون في مغارة الدم فشربت الارض الدم فاوحى الله الى قابيل أين أخوك فقال لا أدري فاوحى الله اليه ان صورة دم أخيك تنادي من الارض بانك قتلته فقال قابيل يارب وأين دمه فمن يومئذ حرم الله على الارض أن تشرب الدماء جميعا ولما رأى آدم ضيقا في صدره خرج في الارض ليرى ما حدث فيها فلما وصل الى جهة أولاده رأى ابنه هابيل قد قتل وأخذ قابيل الاغنام وتزوج باقليما فعند قدوم آدم هرب قابيل وساح في الارض خوفا من أبيه وفي ذلك يقول القائل

من فتنة النسوان كم يعصي الفتى * أمر الاله بطاعة الشيطان
واللص لولاهن لم يك بائعا * للروح منه بابخس الاثمان

قابيـــل لولاهن لم يقتـــل أخا * ولا رضى بالذل والعصــــيان
وبهن صار لآدم مع يوسـف * فيما حكاه الله فى القرآن
وكذاك هاروت ببابل منـكس * ومعلق بالرجـــل فى الجذعان
مجنون ليلى جن فى حب النساء * كل الاذى يأتى من النسوان
فترى البـــلا منهن يأتى والوفا * منهن لا يأتى مـــدى الازمان
كن ما استطعت من النساء بمعزل * ان النساء حبائل الشـيطان

(ومن النكت اللطيفة) ما حكى أن بعض الملوك كان مغرما بحب النساء وكان له وزير ينهاه عن ذلك ولا زال ينهاه حتى قصر عن نسائه وجواريه فلما رأت النساء من الملك التقصـير سألته عن ذلك وألححن عليـه فى الجواب فقال ان الوزير هو الذى ينهانى عنـكن فعنـد ذلك أبرزت النساء جارية حسناء لم يكن عند الوزير مثلها ولا رأى قط أجمل منها وسألن الملك أن يهبها للوزير وكن قد أمرنها بان تمانع الوزير ولم تتركه يفعل شيأ حتى تضع على ظهره سرجا وفى فمه لجاما وتركب على ظهره فى ليلة معينة وأعلمن الملك بذلك وسألنـه ان يهجم على الوزير فى تلك الليلة فاجابهن الملك الى ذلك كله وأعطى الوزير الجارية فاراد أن يواقعها فتمنعت ولم يجد الصبر عنها فقالت له ان كنت تفعل ما آمرك به مكنتك من نفسى فقال لا أخالفك فى شئ فقالت له ائتنى بسرج ولجام ففعل فلما حضر أسرجته وألجمته وركبت على ظهره فبينما هما على ذلك واذا بالملك قد هجم عليهما ورآهما على تلك الحالة فقال للوزير ألم تـكن تنهانى عن حب النساء وهذه حالتك معهن فقال له الوزير أعز الله الملك كنت أخاف عليك أن يقع لك معهن مثل هذا الحال حتى وقعت أنا فيه فضحك منه الملك وعفا عنه وانصرف (قال) فلما تحقق آدم قتل ولده بكى ولما تحققت حواء ذلك صرخت فصار ذلك سنة فى أولادها وقت المصيبة وأنشأ آدم يرثى ابنه فقال

تغـيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغـبر قبيح
تغــير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشـة الوجـه المليح
فـالى لا أنوح بسكب دمع * وأجفان مســهدة قروح
قتـل قابيـل هابيلا أخاه * فوا أسفا على الوجه الصبيح

وقيل هذا أول شعر قيل فى الارض وأجمع أهل التواريخ على صحة ذلك ما عدا الشيخ أبا الفرج بن الجوزى فانه ينـكر ذلك ويقول ان آدم لم ينطق بالشعر ومما يؤيده انه كان سريانيا وان صح فانها كلمات سريانية وعربت أبيات شعر اهـ قال الثعلبى لما علم آدم بقتل هابيل أقام سنة لا يضحك ولا يطأ حواء فاوحى الله تعالى اليه يا آدم الى كم هـذا البكاء والحزن انى معوضك عن هذا الولد بولد

يكون صديقا نبيا واجعل من نسله الانبياء الى يوم القيامة وعلامته أنه سيوضع وحده فى بطن واحد فاذا ولد فسمه شيثا ومعناه بالسريانية عبد الله فلما حملت به حواء لم تجد لحمله ثقلا وولدته من غير مشقة ولما ولدت حواء شيثا كان ما مضى من قتل قابيل مائة سنة ذكر الثعلبى انه لما ولد شيث وكبر اعتزل آدم الى عبادة ربه وقراءة الصحف وصار شيث يتولى أمر اخوته ويقضى بينهم بالحق فبينما آدم فى خلوته يعبد الله تعالى اذ أوحى الله اليه يا آدم أوص ولدك شيثا بما أوصيتك به فانى مذيقك الموت الذى كتبته عليك وعلى أولادك الى يوم القيامة ففزع آدم من هذا المقال وقال يارب ماهذا الموت الذى توعدنى به ثم ان آدم أحضر شيثا وأوصاه بشئ كثير حتى يعلمه بوقوع الطوفان وهلاك العالم وعلمه أوقات العبادة من الليل والنهار وأخرج له سمطا من حرير أبيض كان فيه صور الانبياء ومن يملك الدنيا الى يوم القيامة وكان هذا السمط أنزل على آدم من الجنة فعرضه على شيث وأمره ان يطويه ويضعه فى تابوت ويقفل عليه ثم ان آدم عمد الى شعرات من لحيته ووضعهن فى التابوت وقال يابنى خذ هذه الشعرات فاذا اهمك أمر فاحملها معك فانك تظفر باعدائك مادامت هذه الشعرات معك واذا رأيتها قد ابيضت فاعلم بان أجلك قد قرب وتموت فى تلك السنة ثم ان آدم نزع خاتمه ودفعه الى شيث وسلمه التابوت والصحف التى أنزلت عليه وقال له يابنى حارب أخاك قابيل فان الله ينصرك عليه انتهى ذلك (ويروى) ان آدم عاش من العمر ألف سنة من حين أهبط الى الارض وقد قال القائل فى المعنى شعرا

ترجو البقاء بدار لاثبات لها * فهل سمعت بظل غير منتقل

قد ذقت شدة أيامى ولذتها * فما حصلت على صاب ولاعسل

﴿ومن الاخبار العجيبة﴾ ماروى ان ابليس أتى الى موسى بن عمران عليه السلام وقال له اذا ناجيت ربك فاشفع لى عنده وسله هل لى عنده من توبة اذا تبت فلما ناجى موسى ربه قال الهى هل تقبل توبة من ابليس اذا تاب فقال الله عز وجل يا موسى سبق فى علمى انه لم يتب ولكن أنا التواب الرحيم فان تاب يسجد لآدم فان سجد له على قبره قبلت توبته فلما رجع موسى أتى اليه ابليس وقال له يا موسى ماصنعت بحاجتى فقال له موسى ان الامر معلق على سجودك عند قبر آدم فقال له أنا ماسجدت له وهو حى فكيف أسجد له وهو ميت (وروى) أن ابليس اذا مات عند ميعاده يرسل الله اليه ملائكة من أعوان عزرائيل ليقبضوا عليه لاجل قبض روحه فينهزم ابليس فى جهات البر والبحر فلم يجد له ملجأ حتى يأتى عند قبر آدم فيسجد له فيقال له ان الله تعالى أغلق باب التوبة فلم يقبل منك فيتحقق عدم القبول فيقول تجاهلا لو علمت ان هذا قبر آدم لما وقفت هنا وسجدت فتقبض عليه الملائكة ويقبض عزرائيل روحه أشد القبض (وروى) انه اذا كان يوم القيامة وصار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يأمر الله تعالى أن يخرج ابليس من النار فى كل مائة ألف سنة مرة ويخرج آدم

من الجنة ويأمر الله ابليس أن يسجد لآدم فيأبى ابليس عن ذلك فيرده الله الى النار ويرد آدم الى الجنة وقد قال الله تعالى ان الشيطان للانسان عدو مبين انتهى ما أوردناه عن قصة آدم عليه السلام على سبيل الاختصار

﴿ قصة شيث بن آدم عليه السلام ﴾ قال وهب بن منبه لما توفى آدم كان شيث ابن أربعمائة سنة وكان قد أعطاه التابوت والسمط وسيفه وفرسه الميمون الذى نزل اليه من الجنة وكان اذا صهل أجابته دواب الارض بالتسبيح وأوصاه بالقتال مع أخيه قابيل فخرج شيث لقتال أخيه قابيل فحاربه وهو أول حرب جرى فى الارض بين بنى آدم فانتصر شيث وأسر قابيل فقال قابيل وهو أسير احفظ ياشيث ما بيننا من الرحم فقال له لاى شئ لم تحفظه وقتلت أخاك هابيل ثم أخذه شيث وغل يده فى عنقه وأوقفه فى الحر حتى مات فاراد أولاده دفنه فجاءاليهم ابليس فى صورة ملك من الملائكة وقال لاولاده لاتدفنوه فى الارض ثم أتاهم بحجرين من البلور وجوفهما وأمر أولاده بان يدخلوا قابيل بين الحجرين من البلور ويلبسوه أفخر الثياب ويدهنوا اجسده بادوية مفردة حتى لايجف ثم أمر أولاده أن يوقفوه فى بيت وهو على كرسى من ذهب وأمر كل من يدخل عليه أن يسجد له ثلاث سجدات وأمرهم بأن يجعلوا له فى كل سنة عيدا ويجتمعوا حوله ثم ان ابليس وكل به شيطانا فكان يكلمهم فاقام الناس يسجدون لقابيل مدة من الزمان ثم رجع شيث الى الهند وأقام يقضى بين الناس بالحق (قال) وهب بن منبه ان حواء زوجة آدم توفيت فى زمن ابنها شيث ولم تقم بعد آدم غير سنة وكان موتها فى يوم الجمعة فى الساعة التى خلقت فيها ويقال انها دفنت الى جانب قبر آدم عليهما السلام ثم أنزل الله على شيث خمسين صحيفة وهو أول من نطق بالحكمة وأول من أخرج المعاملة بالذهب والفضة وأول من أظهر البيع والشراء واتخذ الموازين والكيل وهو أول من استخرج المعادن من الارض ثم ان شيثا ولد ولدا ذكرا سماه أنوش وكان شيث فى جبهته نور محمد صلى الله عليه وسلم الذى انتقل اليه من آدم فلما ولد أنوش انتقل النور الى جبهته فعلم شيث أن أجله قد قرب فنظر الى الشعرات فوجدها قد ابيضت فمات شيث فى تلك السنة وكان له من العمر تسعمائة سنة

﴿ ذكر قصة أنوش بن شيث ﴾ قال وهب بن منبه لما مات شيث استخلف بعده ابنه أنوش وتسلم التابوت والسمط والصحف والخاتم فصار فى أحسن سيرة وقضى بالحق ثم تزوج أنوش بامرأة فحملت منه بولد فلما ولدته صار النور فى وجهه وسمته قينان فاستمر أنوش على ذلك حتى حضرته الوفاة فسلم التابوت والصحف الى ابنه قينان وأوصاه واستخلفه بعده

﴿ ذكر قصة قينان بن انوش ﴾ قال وهب بن منبه لما استخلف قينان بعد أبيه أنوش ظهر بين الناس بالعدل وسار سيرة حسنة ثم تزوج بامرأة يقال لها عطنوك فحملت منه بولد ذكر فلما وضعته

سمته مهلائيل فانتقل النور الى جبهته ثم ان قينان مرض مرض الموت فسلم ابنه مهلائيل التابوت والصحف واستخلفه من بعده * ثم مات مهلائيل وانتقل النور الى ابنه يرد ثم مات يرد فانتقل النور الى ولده أخنوخ وهو ادريس عليه السلام (قال) وهب ابن منبه ما سمي ادريس الا لكثرة دراسته في الصحف (قال) ابن عباس بعث الله ادريس الى بني قابيل وكانوا يعبدون الاصنام وحادوا عن توحيد الله تعالى واتخذوا لهم خمسة أصنام يعبدونها من دون الله وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر التي ذكرها الله في القرآن العظيم فلما تزايد أمرهم بعث الله اليهم ادريس عليه السلام فكان يدعوهم في الجمعة ثلاثة أيام وكان ادريس عنده شدة بأس وصلابة في أمره ونهيه وهو أول من خط بالقلم وأول من كتب الصحف وأول من نظر في علم النجوم والحساب وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط وكان اذا خاط يسبح الله عند كل غرزة من الابرة فاذا غفل وخاط يفتق ما خاطه بغير تسبيح وكان لا يأكل الا من كسب يده وكان يخيط للناس بالاجرة وهو أول من صنع المكيال * قيل قبل زمن ادريس كان الناس يلبسون الاردية بغير خياطة فلما صنع ادريس الخياطة وخاط استحسن الناس ذلك ولبسوا المخيط ثم أنزل الله على ادريس ثلاثين صحيفة فكان لا يفتر عن قراءتها ليلا ولا نهارا وكانت الملائكة تأتي لمصافحة ادريس وكان يرفع كل يوم لادريس من العبادة بقدر ما يرفع لغيره من كل الناس حتى تعجبت منه الملائكة وحسده ابليس اللعين على ذلك ولم ير له عليه سبيلا (ويروى) ان ملك الموت استأذن ربه بان يزور ادريس فأذن له في زيارته فأتى اليه في صورة رجل فقال له ادريس من أنت أيها الرجل فقال له أنا ملك الموت استأذنت ربي في زيارتك فأذن لي في ذلك فقال له ادريس ان لي اليك حاجة قال وما هي قال أن تقبض روحي في هذه الساعة فقال له ملك الموت ان ربي لم يأذن لي بذلك فأوحى الله الى ملك الموت اني علمت ما في نفس عبدي ادريس فاقبض روحه فقبضها في الحال ثم ان الله تعالى أحياه في الحال فقال يا ملك الموت بقي لي حاجة أخرى فقال ما هي قال ادريس أن تمضي الى جهنم لانظر أهوالها فأذن الله له بذلك فأخذه ملك الموت وأتى به الى مالك خازن النار فأوحى الله الى مالك خازن النار بان أوقف عبدي ادريس على شفير جهنم لينظر ما فيها فلما وقف ادريس ونظر أغشي عليه من أهوالها فجاء اليه ملك الموت واحتمله الى مكانه الذي أخذه منه فصار ادريس من ذلك اليوم لا تكتحل عينه بنام ولا يهنأ بطعام ولا بشراب ولا يقر له قرار من الهول الذي رآه في النار ثم ان ادريس انعكف الى عبادة الله تعالى وتزوج بامرأة فحملت منه بولد ذكر فلما وضعته سماه متوشلخ وانتقل النور الذي كان في جبهة ادريس الى جبهة ابنه متوشلخ فلما كبر عهد اليه ادريس وسلمه الصحف والسمط والتابوت وأوصاه بقراءة الصحف ولزوم الصلاة وقال له يا بني اني صاعد الى السماء ولا أعلم هل أرجع أم لا فاقبل

مني ماأوصيتك به ثم ان ادريس دخل الى محرابه وسأل الله أن يريه الجنة كما أراه النار فاوحى الله الى رضوان خازن الجنان بان يدلى الى ادريس غصنامن أغصان الجنة فادلى له رضوان غصنا من أغصان شجرة طوبى فتعلق به وصعد الى السماء فادخله رضوان الجنة فرأى مافيها من النعيم فلما أطال ادريس الجلوس فى الجنة قال له رضوان اخرج فقد نظرت الجنة ومافيها فقال له ادريس ما أنا بخارج منها وقد قال الله تعالى كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وماهم منها بمخرجين فما أنا بخارج منها فاوحى الله تعالى الى رضوان قل لعبدى ادريس لايخرج منها أبدا (قال) وهب بن منبه رفع ادريس الى السماء وهو ابن ثلثمائة وخمس وستين سنة قال ابن الجوزى ان ادريس وعيسى بن مريم حيان فى السماء ادريس فى السماء الرابعة تارة يعبد الله فى السماء وتارة يتنعم فى الجنة قال الله تعالى واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا (قال) الكسائى لما رفع ادريس الى السماء وعلمت الملائكة أنه لا يبرح منها قالت الملائكة الهنا وسيدنا ومولانا ما كان لهذا العبد الخاطئ أن يصير فى مقام الملائكة المقربين فاوحى الله اليهم انكم عيرتم بنى آدم بفعلهم فلو ركبت فيكم ماركبت فيهم من الشهوة وقدرت عليكم ماقدرت عليهم من الخطايا لفعلتم أعظم من فعلهم فقالوا سبحانك ربنا ماينبغى لنا أن نعصيك فاوحى الله تعالى اليهم بان يختاروا منهم ملكين من خيارهم ويهبطهما الى الارض ويركب فيهما الشهوة مثل ماركبها فى بنى آدم فاختارت الملائكة ملكين من خيارهم يقال لهما هاروت وماروت فركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما الى الارض وأمرهما بان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك بالله وعن قتل النفس بغير حق وعن الزنا وعن شرب الخمر فجعلا يقضيان بين الناس بالحق بالنهار فاذا أمسيا ذكرا اسم الله الاعظم فيصعدان الى السماء فاستمرا على ذلك شهرا واحدا فاتت اليهما امرأة من أجمل النساء فى الحسن والجمال والقد والاعتدال لابسة من أفخر الثياب وكان اسمها الزهرة وكانت من أهل فارس وتحكم على عدة مدن فدخلت على هاروت وماروت وهى فى زينتها وقد أسبلت شعرها من خلفها وأسفرت عن وجهها ثم شكت الى ذينك الملكين من خصمها فلما رأياها افتتنا بحبها فلما انصرفت عادت اليهما فى اليوم الثانى فصار كل واحد منهما يحدث صاحبه بما عنده من الشغف بها فلما تزايد بهما الامر راوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت اليهما فى اليوم الثالث فراوداها عن نفسها فابت وقالت لهما لا أمكنكما مما أردتما حتى تفعلا ما أريد أن تسجدا للصنم وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذا فان الله تعالى نهانا عنه فابيا عن ارادتها وأبت عن ارادتهما وانصرفت عنهما فزاد بهما الوجد فتوجها الى بيتها وطرقا عليها الباب فرحبت بهما فدخلا عليها فاحضرت لهما طعاما فاكلا منه ثم راوداها عن نفسها فقالت انكما تعلمان ما أردت منكما فقالا الان

الشرك عظيم والقتل عظيم وأما شرب الخمر فانه أهون من هذه الاشياء ثم نستغفر الله ولم يعلما أن الخمر أم المعاصي فتقدما وشربا الخمر فلما انتشيا وقعا على المرأة فزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه خوفا من أن ينم عليهما فأمرتهما أن يسجدا للصنم فسجدا وكفرا (وقيل فيه)

تركت المدام وشربه * وصرت صديقا لمن عابه

شراب يضل سبيل الهدى * ويفتح للشر أبوابه

(قال) فلما فعل هاروت وماروت هذه الفعال ووقعا في الذنوب أرادا أن يصعدا الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا نبي الله ادريس عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما عند الله تعالى وقالا له انا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الارض فاشفع لنا الى الله تعالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهم الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة ببابل فهما يعذبان في جب معلقان بشعورهما منكسان على رؤسهما في سلاسل من حديد يعذبان بالعطش وبين لسانيهما وبين الماء مقدار يسير كعرض الاصبع وجميع دخان الدنيا داخل في أنفيهما زيادة في عذابهما وأعينهما شاخصة مزرقة ووجوههما مسودة وهما في هذا الحال الى يوم القيامة (وروى) أن رجلا أتى اليهما من أرض بابل ليتعلم منهما شيأ من السحر فلما دخل عليهما ذلك الرجل رآهما فهاله رؤياهما فقال الرجل أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما سمعاه قالا له من أي أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقالا له أبعث محمد قال نعم فقالا الحمد لله وأظهرا الفرح فقال لهما قد أظهرتما الفرح عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فقالا نعم انه نبي يبعث بين يدي الساعة وانه قرب فرجنا اهـ (وقيل) لما رفع ادريس عليه السلام الى السماء تولى بعده ابنه متوشالخ فحكم بين الناس بالحق ولما توفي متوشالخ سلم التابوت والصحف الى ابنه لامك قال الكسائي كان لامك شديد البأس وكان عنده صلابة وقوة فكان يقلب بيديه الصخرة العظيمة ويرميها من الجبل (ومما وقع له) أنه خرج ذات يوم الى الفضاء فرأى امرأة حسناء وبين يديها غنم ترعاها فأعجبته فتقدم وسألها عن اسمها فقالت أنا فينوسة بنت كابيل من أولاد قابيل ابن آدم فقال لها ألك بعل قالت لا فقال لها أنت صغيرة ولو كنت بالغة لتزوجت بك وكان البلوغ يومئذ مائتي سنة فقالت الصحيح أنا بنت مائتي وعشرين سنة فانطلق واخطبني من أبي فلما سمع لامك بذلك الكلام مضى الى أبيها وخطبها منه فزوجها له فلما دخل عليها حملت منه ووضعت له ولدا ذكرا فسمته يشكر وقيل عبد الغفار وهو نوح قال وهب بن منبه فلما كان وقت ولادتها وضعته في مغارة وأرادت الانصراف عنه خوفا من ملك ذلك الزمان فانه كان يحجر على النساء ويقتل الاطفال عمدا فلما وضعته ذهبت عنه وهي تنوح عليه فناداها يا أماه لا تخافي علي فان الذي

خالقي يحفظني فعند ذلك انصرفت مطمئنة فاقام في تلك المغارة أربعين يوما في هذه الاربعين يوما مات الذي كان يقتل الاطفال فحمله بعض الملائكة ووضعه في حجر أمه فاذا بالنور الذي كان في جبهة أبيه لامك انتقل الى جبهة ابنه عبد الغفار وهو نوح عليه السلام فاخذت أمه في تربيته حتى كبر وانتشى فتعلم صنعة النجارة وأتقنها وكان يرعى الغنم لقومه بالاجرة فاقام على ذلك مدة طويلة حتى توفي أبوه لامك فاستخلفه من بعده وسلم اليه الصحف والتابوت والسمط

﴿ذكر قصة نوح عليه السلام﴾ وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن ادريس عليه السلام قال الكسائي كان اسمه عبد الغفار أو يشكر وسبب تسميته نوحا ما قيل انه رأى كلبا له أربعة أعين فقال نوح ان هذا الكلب شنيع فقال له الكلب يا عبد الغفار أتعيب النقش أم النقاش فان كان العيب على النقش فان الامر لو كان الي لما اخترت ان أكون كلبا وان كان العيب على النقاش فهو لا يلحقه عيب لانه يفعل ما يشاء فكان كلما ذكر ذلك ينوح و يبكي على خطيئته وذنبه فلكثرة نوحه سمي نوحا رواه السدي قال وهب بن منبه لما أتى على نوح من العمر أربعمائة وثمانون سنة أتاه جبرائيل عليه السلام فقال له نوح من أنت أيها الرجل البهي فقال له جبرائيل أنا رسول رب العالمين جئتك بالرسالة من عنده وقد بعثك الله الى قومك وهو قوله تعالى انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ثم ان جبرائيل ألبسه لباس المجاهدين وعممه بعمامة النصر وقلده بسيف العزم ثم قال له امض الى عدو الله درمشيل بن فوميل بن جيج بن قابيل بن آدم وكان درمشيل جبارا عنيدا وهو أول من اعتصر الخمر وشربها وهو أول من لعب بالقمار وأول من اتخذ الثياب المنسوجة بالذهب وكان هو وقومه يعبدون الاصنام الخمسة وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وهي التي ذكرها الله في القرآن العظيم وكان حول هذه الاصنام ألف وسبعمائة صنم وكان لهم بيوت مبنية بالرخام الملون طول كل بيت ألف ذراع وعرضه كذلك وكان لهذه الاصنام كراسي من الذهب فيها أنواع من الجواهر الفاخرة وكان لها خدام يخدمونها بالليل والنهار وكان لها عيد معلوم في السنة يجتمعون فيه فخرج اليهم نوح في ذلك اليوم وكانوا يوقدون النار حول تلك الاصنام و يقربون اليها القربان ثم يسجدون بين يديها تعظيما لها وكانوا يخرجون باصناف الملاهي و يضربون بالصنوج ويرقصون عندها ويشربون الخمر و يزنون بالنساء جهارا من غير ستر ويركبونهن كالبهائم بين الناس فلما خرج اليهم نوح وقف على تل عال ورفع رأسه الى السماء وقال الهي أسألك أن تنصرني عليهم بنور محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا أمما لا يحصون لكثرتهم ثم ان نوحا وقف على ذلك التل ونادى باعلى صوته يا أيها القوم اني قد جئتكم من عند رب العالمين أدعوكم لعبادته وأنهاكم عن عبادة الاصنام فلما صاح نوح هذه الصيحة بلغ صوته الى المشرق والمغرب وسقطت

الاصنام عن كراسيها وفزع من كان حولها من الخدام وغشي على الملك درمشيل فلما أفاق من غشيته قال لمن حوله ما الذي سمعتموه من الصوت فقالوا هذا صوت رجل يقال له نوح وهو مجنون وفي عقله خلل فقال الملك ائتوني به فجاءت اليه أعوان الملك فاخذوه وأوقفوه بين يدي الملك فقال له الملك من أنت قال أنا نوح رسول رب العالمين قد جئتكم بالرسالة لتؤمنوا بالله وحده وتتركوا عبادة هذه الاصنام فقال له الملك ان كان بك جنون نداويك وان كنت فقيرا نواسيك وان كنت مدينا قضينا عنك دينك فقال نوح ما بي جنون ولا أنا فقير ولا علي ديون وانما أنا رسول رب العالمين فكان نوح عليه السلام أول المرسلين وهو من أولي العزم وقد بعثه الله الى بني قابيل لما عادوا على عبادة الاصنام وأظهروا الشرك بالله فدعاهم الى توحيد الله وأن يقولوا لا اله الا الله وان نوحا رسول الله فلما سمع الملك كلامه غضب عليه وقال لولا أنه يوم عيد لقتلته شر قتلة (ويروى) انه آمن بنوح في ذلك اليوم امرأة يقال لها عمرة فتزوجها فولدت منه ثلاثة أولاد ذكور وهم سام وحام ويافث وولدت له ثلاث بنات وهن حصوة وسارة وبحيورة ثم آمنت به امرأة أخرى يقال لها واعب بنت عجويل فتزوجها فولدت له ولدين وهما يانوس وكنعان ثم انها عادت الى دينها بعد اسلامها ثم آمن به من الرجال والنساء نحو من سبعين انسانا فصار نوح يخرج الى القوم في كل يوم وينادي يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره لا شريك له فيخرج اليه القوم من بيوتهم فيضربونه بالعصي والنعال فيغشى عليه ويغيب عن الدنيا فيجرونه من رجله ويلقونه على المزابل ولما يفيق يمسح الدماء عن وجهه ويصلي ركعتين ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فاقام على ذلك نحوا من ثلاثمائة سنة ثم ان الملك درمشيل هلك وأقام بعده ابنه توبين فكان أطغى من أبيه فصار نوح يدعوه لما كان يدعو أباه من قبله اليه واستمر نوح يدعو قومه الى أربعمائة سنة حتى دخل عليه القرن الخامس والقوم على حالهم وكانوا كلما سمعوا صوت نوح عليه السلام يضعون اصابعهم في آذانهم كما أخبر الله العظيم في القرآن الكريم وكان قومه يجمعون له الحجارة فوق الاسطحة فاذا مر عليهم يرمونه بها فيغشى عليه فيظنون أنه قد مات فكانت الطيور تروح عليه باجنحتها اذا غشي عليه فيفيق فلا زال كذلك حتى مر عليه ستة قرون ودخل في القرن السابع وهلك الملك توبين واستخلف من بعده ابنه طغردوس فكان أشد طغيانا من أبيه فصار كلما يدعوهم يرمونه بالحجارة كما تقدم ثم أوحى الله تعالى الى نوح انه لم يبق في أصلاب الرجال ولا في بطون النساء مؤمن يجيب دعوتك وقد أعقمهم الله تعالى فعند ذلك دعا عليهم نوح بان الله لا يبقي أحدا منهم كما أخبر الله تعالى عنه بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فانفتحت أبواب السماء لدعوته وهاجت عندها الملائكة قال فعند ذلك أوحى الله اليه أن اصنع الفلك الآية

فقال نوح يارب وما الفلك قال هو بيت من الخشب يجرى على وجه الماء فامره أن يغرس فى الارض خشب الساج وقيل هو الآبنوس وأمره أن يغرسه بارض الكوفة فغرسه فاقام أربعين سنة حتى أدرك وأمر السماء أن تمنع القطر وأمر الارض أن تمنع النبات ففى تلك المدة لم ينزل من السماء قطرة ولم يخرج من الارض عشبة ولم تلد امرأة ولا بهيمة ولا وحش ولم يفرخ طير وذلك لاقامة الحجة عن الناس قبل نزول العذاب فامر الله نوحا عليه السلام أن يتوجه الى الكوفة و ينقل خشب الساج فبقى نوح متحيرا كيف ينقل الخشب فاوحى الله اليه ان عوج بن عنق يحمل ذلك * قال الكسائى ان عنق أم عوج كانت من أولاد آدم وكانت شنيعة المنظر قبيحة الشكل وكانت ساحرة ماهرة فولدت عوجا ثم ماتت بعد ولادتها بمائة سنة فلما كبر عوج كان عظيم الخلقة طوله ستمائة ذراع بالذراع القديم وهو ذراع ونصف الآن وكان عرضه مثل ذلك حتى قيل انه لما جاء الطوفان لم يجاوز الى ركبته وكان اذا جلس على الجبل يمد يده الى البحر فيأخذ منه السمك و يشويه فى عين الشمس وكان اذا غضب على أهل قرية يبول عليهم فيغرقهم * وقيل انه سلط على أهل قرية فقالوا له نحن نكسوك قيصا ولا نأخذ منك ثمنه الا بعد سنة فتحارج أهل تلك القرية وصنعوا له قيصا من القطن فالبسوه اياه فمضى عنهم فكان كلما قصد أن يمر عليهم يذكر ما عليه من الدين فيرجع عنهم ولا يدخل اليهم خوفا من الدين (و يروى) ان عوج بن عنق عاش من العمر أربعة آلاف سنة وخمسمائة سنة وأدرك أيام موسى فلما دخل موسى الى التيه ومعه بنو اسرائيل قصد عوج أن يهلكهم فجاء الى جيش موسى لاجل أن يعرف مقدارهم فوجدهم فرسخا فى فرسخ فمضى الى جبل وقلعه من الارض واحتمله على رأسه وجاء ليقلبه على جيش موسى فارسل الله اليه هدهدا وجعل له منقارا من حديد فنزل ذلك الهدهد على تلك الصخرة وجعل ينقرها حتى ثقبها فنزلت فى عنق عوج فصارت قفلا له لا يستطيع الحركة فلما رأى موسى ذلك أتى اليه وضربه بعصاه وكان طولها عشرة أذرع ووثب موسى فى الهواء عشرة أذرع وكان طول موسى عشرة أذرع فلم تبلغ ضربته ساق عوج فلما ضربه موسى خر عوج ميتا وصار ملقى فى الفلاة كالجبل العظيم (و يروى) أن ببلاد التتر نهرا يسمى الطائى وعليه قنطرة عظيمة فيقال ان تلك القنطرة من عظم ضلع عوج بن عنق وكان من جملة عجائب الدنيا (قال) الكسائى فلما أوحى الله الى نوح بان الذى يحمل له الخشب عوج من الكوفة الى أرض الحيرة وكانت الحيرة قريبة من بغداد فجاء نوح الى عوج وسأله أن يحمل له الخشب فقال عوج لا أحمل ذلك لك حتى تشبعنى من الخبز وكان مع نوح ثلاثة أرغفة من خبز الشعير فقدم الى عوج قرصا منها وقال له كل فضحك عوج من ذلك وقال لو أن مثل هذا الجبل خبزا ما أشبعنى فكيف أشبع بهذا القرص فكسر له نوح ذلك القرص وقال له قل بسم الله الرحمن الرحيم

وكل فا كل الفرص وقدم له قرصا ثانيا فشبع من نصف الثانى ولم يقدر أن يأكل شيأ بعد ذلك فحمل عوج ذلك الخشب من الكوفة الى الحيرة جميعه فى نقلة واحدة فلما صار الخشب عند نوح قال يارب وكيف أصنع هذه السفينة فأوحى الله تعالى الى جبرائيل أن يعلمه كيف يصنع السفينة فكان نوح يصنع الخشب ألواحا ويلصق بعضها ببعض ويسمره بالمسامير الحديد ثم جعل رأسها كرأس الطاووس وذنبها كذنب الديك ومنقارها كمنقار البازى وأجنحتها كاجنحة العقاب ووجهها كوجه الحمامة وجعلها ثلاث طباق وقيل سبع طبقات قال ابن عباس رضى الله عنهما كان طولها ألف ذراع وعرضها ستمائة ذراع وارتفاعها ثلاثمائة ذراع ويروى أنه أقام فى أعمالها أربعين سنة فكان القوم يسخرون منه ويقولون له يانوح قد تركت النبوة وصرت نجارا قال الكسائى كان القوم اذا أتى الليل يطلقون النار فى خشب السفينة فلم تعمل فيه النار فيقولون هذا من سحر نوح فلما أشرفت السفينة على الفراغ طلاها بالزفت والقير ثم أوحى الله تعالى اليه بان يسمر فى جوانبها أربعة مسامير وينقش على كل مسمار منها عينا فقال نوح يارب ومافائدة ذلك فأوحى الله اليه هذه أسماء أصحاب محمد وهم عبدالله أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين فلا تتم السفينة الا أن تفعل ذلك ففعل ذلك نوح ماأمره الله به فتمت السفينة ثم انطقها الله تعالى فقالت جهارا والناس يسمعونها لااله الا الله اله الاولين والآخرين أنا السفينة التى من ركبنى نجا ومن تخلف عنى هلك فقال نوح تؤمنون الآن فقالوا ان هذا من سحرك يانوح ثم أوحى الله تعالى اليه انه قد اشتد غضبى على من عصانى فامره الله أن يحمل معه قوت ستة أشهر وأن يعمل فى السفينة خازنا للماء العذب ثم أنزل الله لنوح خرزة من الجنة لها ضوء كضوء الشمس فكان يعلم منها مواقيت الليل والنهار ومضى الساعات ثم ان نوحا استأذن ربه بان يحج فاذن له بذلك فلما مضى الى مكة أراد القوم أن يحرقوا السفينة فامر الله تعالى الملائكة بان يرفعوها بين السماء والارض فرفعوها والقوم ينظرون اليها فلما مضى نوح الى مكة طاف بالبيت سبعا ثم دعا على قومه هناك فاستجاب الله دعاءه فلما رجع نوح من مكة أنزل الله له السفينة الى الارض ثم أوحى الله تعالى اليه بان يصعد الى الجبل وينادى باعلى صوته يامعشر الوحوش والطيور والهوام وكل شئ فيه روح هلموا الى دخول السفينة فقد قرب العذاب فوصلت دعوته الى المشرق والمغرب فأقبلت اليه الوحوش والطيور والدواب والهوام أفواجا أفواجا فقال نوح انى أمرت أن أحمل معى من كل زوجين اثنين ثم أمره بان يحمل معه الاشجار قاطبة وأن يحمل معه جسد آدم وحواء فوضعهما فى تابوت ثم أمره بأن يحمل معه الحجر الاسود وعصا آدم التى أنزلت عليه من الجنة وحمل معه التابوت والصحف والسمط وكان جملة من دخل معه فى السفينة أربعين رجلا وأربعين امرأة فوضعهم فى الطبقة الاولى ووضع فى الطبقة الثانية

الوحوش والدواب والانعام ويروى ان آخر من دخل من الدواب الحمار وقد أمسك ابليس اللعين بذنبه فمنعه من الدخول فظن نوح ان الحمار يمتنع من قبل نفسه فقال له نوح ادخل يا ملعون فدخل الحمار وابليس معه فلما رآه نوح قال له من أذن لك في الدخول فقال أنت أذنت لي ألست القائل ادخل يا ملعون وما في الخلق على الاطلاق ملعون غيري ويروى ان نوحا لما ركب السفينة نهى جميع من كان معه عن النكاح خشية من التناسل فيضيق عليهم المكان فاطاعه جميع من كان فيها الا الكلب فانه نكح أنثاه فنمت الهرة لنوح على الكلب على فعله فأنكر ذلك وعاد ثانيا وثالثا فقالت الهرة لنوح في ذلك فدعا عليهما بالفضيحة فوقعت العداوة بين الكلب والهرة من يومئذ وصار لهما الفضيحة عند جماعهما وقيل فيهما

قالت الهرة قولا * جمعت كل المعاني

أشتهي أن لا أرى الكلب ولا الكلب يراني

(ويروى) انه لما كثرروث الدواب في السفينة شكوا من ذلك الى نوح فأوحى الله اليه أن اعصر ذنب الفيل فلما عصره وقع منه خنزير وخنزيرة فصارا يأكلان الروث ثم خلق الله من عطسة الخنزير فأرا وفأرة ثم تناسل الفيران فصاروا يقرضون في جوانب السفينة فشكا أهل السفينة من ذلك فسلط على الفيران السنانير وهي القطط فصاروا يأكلونها أكلا ذريعا حتى أفنوها عن آخرها فمن ذلك اليوم صارت العداوة بين القط والفار (قال) ابن وصيف شاه لم يكن في ملوك مصر أغنى من سوريد (ومما وقع) له انه رأى في منامه قبل وقوع الطوفان بثلاثمائة سنة كأن السماء قد انقلبت على الارض حتى صارت كالجوبة وكأن الكواكب قد تساقطت والشمس والقمر قد قربا من العالم ورأى طيورا بيضاء تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين وكأن الدنيا سوداء مظلمة وكأن الناس قد اجتمعوا عليه من صعيد واحد وهم يستجيرون به فلما رأى ذلك استيقظ من منامه وهو مرعوب خائف فلما أصبح استدعى بالكهنة وهم مائة رجل وكانوا لا يقضون أمرا الا بالنجوم والطوالع فاختلى بهم وقص عليهم الرؤيا فقالوا ان رؤياك سماوية يهلك بها جميع العالم وجميع من على وجه الارض فقال لهم الملك خذوا الارتفاع من الكواكب فلما نظروا في ذلك قالوا وجدنا القمر في برج السرطان وهو مقارب للسماك فيكون الهلاك في أمر من طوفان وان هذه الآفة مائية سماوية فقال لهم انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا فقالوا له نعم تأتي اليها وتقيم البلاد خرابا مدة طويلة فقال لهم الملك انظروا هل تعود بلادنا عامرة أحسن مما كانت عليه قالوا نعم تعود أحسن مما كانت عليه فعند ذلك أمر سوريد ببناء هذا الاهرام وقد جعل أساسها مقدار ارتفاعها عن الارض وقال نجعلها نواويس لنا وقبورا لاجسادنا ثم نقل اليها أشياء كثيرة من الاموال والجواهر وآلات السلاح والتماثيل

العجيبة والاوانى الغريبة التى هى من سائر المعادن وكتب عليها الطلاسم والعلوم الفلكية التى تخبر بما سيحدث من الامور الى آخر الزمان ومن يملك البلاد من الملوك المسلمين والكافرين وأخبرت الكهنة ان هذا الطوفان لا يقيم كثيرا على وجه الارض بل نحو أربعين يوما فبنى الاهرام وحبس فيها الهواء بتقدير وتدبير بالحكمة وادخرما ذكرناه من الاموال وغير ذلك وقال ان كنا ننجو من هذا الطوفان نعود الى ماكنا فنجد أموالنا كما هى باقية وان متنا فتكون هذه الاهرام قبور الاجسادنا حرزا تصونها من البلى فصنع كل واحد من وزرائه وحكمائه وأرباب دولته هرما لتكون حرز الاجسادهم من الطوفان قال المسعودى فى مروج الذهب ان فى كل هرم منها سبع بيوت على عدد الكواكب السيارة وفى تلك البيوت عدة أصنام من الذهب مرصعة بالجواهر الفاخرة وفى آذانهم درر قدر بيضة الدجاج وفى كل هرم ناووس من الرخام الاخضر وفيه جثة صاحبه مطبق عليه ومعه صحيفة فيها اسمه وترجمته ومدة ملكه وذكروا ان لهذه الاهرام مكانا ينفذ الى صحراء الفيوم وهى على مسيرة يومين من الاهرام ﴿ومما حكى﴾ عن الشهاب الحجازى قال خرجنا من الجامع الازهر أحد عشر نفرا فى طلب الاهرام وكان معنا عدة سلب طوال على حمار فلما وصلنا الى الاهرام دخلنا الى الهرم الكبير المفتوح ووقفنا على رأس البئر الذى به فتجرد منا شخص وكان يدعى الشجاعة فربطناه من وسطه بسلبة من تلك السلب التى معنا وأدليناه فى البئر فنفد السلب الذى معنا جميعه ولم ينته الى قعر البئر فربطنا فى السلب شاش عمائمنا فانقطع الشاش فهوى الشخص الى قعر البئر ولم نعلم له خبرا فرجعنا متأسفين عليه وخائفين على أنفسنا بسببه فدخلنا فى خفية الى القاهرة ولم نعلم أحدا من الناس بحالنا فبينما نحن فى الجامع بعد مضى أسبوع واذا نحن بصاحبنا الذى سقط فى البئر قد دخل علينا وهو فى غاية الضعف فلما دخل فى باب الجامع وقرب منا سقط بيننا وغشى عليه فلما أفاق استحكيناه عما كان من أمره بعد سقوطه فى البئر فقال لما انتهى بى السقوط نزلت على علية أعطتنى ليانة فقدحت بالزناد الذى كان معى وأوقدت شمعة ومشيت فى ذلك فوجدت من زبل الوطاويط شيأ كثيرا ورأيت أشخاصا وأشباحا طوالا واقفين على عكاكيز فقربت من واحد منهم وهززته فانقض الى الارض هباء منثورا فاخذت عكازته من يده ومشيت فاذا أنا بباب أمامى ودهليز فاخذت أمشى فى ذلك الدهليز وقد زاد بى الخوف والفزع ووجدت هنالك عظاما بالية ورؤوسا وجماجم كبارا على قدر البطيخ الكبير وبينما أنا أمشى فى ذلك الدهليز واذا بشئ يمشى قدامى فتأملته فاذا هو ثعلب فتبعته حتى خرج من ثقب فرأيت منه ضوء الدنيا فاردت أن أخرج منه فلم أستطع فحفرت بتلك العكازة التى معى فاتسع ذلك الثقب قليلا فخرجت فلما رأيت نفسى على وجه الارض وقعت مغشيا على فلم أدر أين أنا من البلاد واذا أنا بانسان يقول قم أيها الرجل

فان القفل راح وخلاك فقلت أى مكان أنافيه قال فى صحراء الفيوم فقمت وركبت مع القفل وكنت لما خرجت من الثقب وجدت العكازة التى معى ذهبا جيدا فلما أغمى على فقدتها واختفى عنى ذلك المكان الذى خرجت منه فتحيرت من ذلك واذا بقائل يقول لاتطمع فى عود العكازة اليك فتوجهت صحبة القفل ودخلت القاهرة انتهى (قال) أبو الريحان البيروتى فى كتاب الآثار الباقية من القرون الخالية ان الهرم الكبير الشرقى موكل به صنم من جزع أبيض وأسود له عينان مفتوحتان براقتان وهو جالس على كرسى من ذهب وبيده حربة فاذا دنا منه أحد صوت عليه صوتا عاليا فيخرج الذى يدنو منه على وجهه ولا يبرح عنه حتى يموت مكانه والهرم الغربى موكل به صنم من حجر الصوان وهو جالس على كرسى من ذهب وعلى رأسه شبه حية وقد تطوق بها فن دنا منه وثبت عليه تلك الحية وتطوقت على عنقه حتى تقتله ثم تعود الى مكانها والهرم الصغير المكسى بحجر الصوان موكل به صنم من حجر البهت فن نظر اليه يجذبه حتى يلتصق به فلا يبرح عن مكانه حتى يموت قال المسعودى لما فرغ سوريد من عمارة تلك الاهرام وكل بها جماعة من الروحانيين وذبح لها الذبائح لتمنع من أرادها بسوء فوكل بالهرم الشرقى غلاما أمرد مصفر اللون وهو عريان وله أسنان كبار ووكل بالهرم الغربى امرأة عريانة بادية عن فرجها تضحك فى وجه الانسان حتى يدنو منها فتستهويه فيذهب عقله ووكل بالهرم الصغير الملون شخصا فى يده مبخرة وعليه ثياب الرهبان وهو يبخر حول هذا الهرم وذكر جماعة من أهل الجيزة انهم يرونه مرارا عديدة وهو يطوف حول الهرم وقت القائلة وعند غروب الشمس فاذا دنوا منه يغيب عنهم واذا بعدوا عنه يظهر لهم عن بعد ❊ وأما ما نقله محمد بن عبد الكريم ان فى أحد هذين الهرمين قبر أخى ديمون وفى الآخر قبر هرمس وكانا من حكماء اليونان وكان أخو ديمون أقدم من هرمس وكانت الصائبة يحجون اليهما من أقطار الارض ويحملون اليها الاموال الجزيلة على طريق النذر وكان وراء هذه الاهرام من جهة الغرب أربعمائة مدينة عامرة غير القرى ❊ وأما ما نقله أبو الحسن المسعودى فى مروج الذهب حيث قال ان سوريد لما فرغ من بناء هذه الاهرام كساها الديباج الملون من أعلاها الى أسفلها وعمل لها عيدا يحضره أرباب دولة مدينته وكتب على جانبها هذا بناء سوريد ابن شهلوق قد بناها فى ستين سنة فمن يدعى قوة فى ملكه فليهدمها فى ستمائة سنة وان الهدم أيسر من البناء فهو الصحيح وقيل ان الخليفة المأمون لما فتح الباب الذى فى الهرم الكبير وجد به قطعة من المرجان وهى كاللوح وفيها مكتوب هذا بناء سوريد الى آخر كتابته بالقلم القديم قال ولما دخل الاستاذ أبو الطيب مصر رأى الاهرام فانشد يقول

أين الذى الهرمان من بنيانه ❊ ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها ❊ حينا ويدركها الفناء فتصدع

(وأما) ما قالت الشعراء فى وصف الاهرام فن ذلك قول القائل

انظر الى الهرمين واسمع منهما * ما يرويان عن الزمان الغابر
وانظر الى سير الليالى فيهما * نظرا بعين القلب لا بالناظر
لو ينطقان لخبرانا بالذى * فعل الزمان باول وبآخر

وقال آخر

لله أى غريبة وعجيبة * فى صنعة الاهرام للالباب
أخفت عن الاسماع قصة أهلها * كشفت عن الابداع كل نقاب
فكأنما هى كالخيام مقامة * من غير أعمدة ولا أطناب
مثل العرائس جردوا أثوابها * عنها ولم تنطق عن الاعجاب

(وقال آخر)

تحقق ان صدر الارض مصر * ونهداها من الهرمين شاهد
فواعجبا فكم أفنت قرونا * على هرم وذاك الثدى ناهد

انتهى (ومن هنا نرجع الى ما كنا فيه) قال ثم أوحى الله الى نوح يا نوح اذا فار التنور من بيت ابنك سام فاركب فى السفينة وكان سام أكبر أولاده وهو يومئذ ابن ثلثمائة سنة وكان متزوجا بامرأة تسمى رحمة فجاء نوح الى بيت ابنه سام وقال يا رحمة ان مبدأ الطوفان يكون من هذا التنور الذى تخبزين فيه فاذا رأيت التنور قد فار فاسرعى الى من وقتك وأخبرينى وكان هذا التنور من حجر أسود فلما كان يوم الجمعة لعشر مضين من رجب كانت رحمة تخبز فى التنور فلما كان آخر رغيف واذا بالماء قد فار وهو قوله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور الآية فلما رأت رحمة ذلك صاحت الله أكبر قد جاء ما وعد الله به من العذاب وقد صدق نبى الله نوح فبادرت رحمة الى نوح وأخبرته بفوران التنور فقال نوح لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكان نوح قد جهز ما كان يحتاج اليه فى السفينة حتى علف الدواب والطير فلما أعلمته رحمة بذلك أتى الى بيت ابنه سام فرأى الماء يفور من التنور وقد ملأ صحن الدار وهو يخرج من الباب كالنهر العظيم فلما راى ذلك توجه الى السفينة وهو ينادى يا قوم النجاة النجاة فاتوا الى السفينة وكانت عدتهم أربعين امرأة وأربعين رجلا ثم ان نوحا قال لابنه كنعان اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقد أخبر الله عنه انه غير صالح قال وهب بن منبه ان كنعان بن نوح غرق قبل أن يصل الى الجبل (قال) ابن عباس لما فار التنور فتحت أبواب السماء بالمطر من غير سحاب وأظلمت الدنيا ظلمة شديدة فكانت ملائكة الغضب تضرب باجنحتها على وجه الشمس فكانت السماء تقول لولا الحد الذى حده الله تعالى لغاض الماء الى الارض السابعة وكان الرجل يمشى فى الطرقات والماء ينبع من تحت رجليه وكانت المرأة قائمة فى بيتها فينبع الماء من

تحتها وهو يفور ويغلي كغليان القدور وصار الماء ينبع من سائر أقطار الارض فلما فار الماء في مدينة أمسوس وكانت يومئذ كرسي مملكة الملك سوريد وسمع صريخ العالم ركب في عظماء قومه ووقف على تل عال ليرى أحوال الناس وهو متفكر في هذا الماء فلم يشعر الا والماء يفور من تحت حافر فرسه فرجع الى قصره فما صار في قصره الا والماء صار له موج عظيم كالجبال وما بقي يظهر شئ من الارض قال وهب بن منبه كان مبدأ الطوفان من الكوفة وبها فار التنور * وأما نوح فانه ركب في السفينة هو وأهله وقد تقدم ذكر ذلك ويروى ان عوج بن عنق لما رأى هذه الاهوال أتى الى السفينة ووضع يده عليها فقال له نوح ما تريد يا عدو الله فقال له عوج لا بأس عليك يا نبي الله دعني أمشي مع السفينة حيث مشت فاضع يدي عليها واستأنس بها من الفزع وأسمع تسبيح الملائكة فاوحى الله الى نوح لا تخش من عوج ودعه يمشي مع السفينة حيث سارت ثم ان نوحا أغلق أبواب السفينة وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها فصارت تمشي بهم بين أمواج كالجبال وقد قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ويروى ان الله تعالى لما أرسل الطوفان رفع البيت المعمور الذي كان أنزله في زمن آدم وكان من ياقوتة حمراء فلما طغى الماء رفعه الله تعالى الى السماء وسمي البيت المعمور العتيق لانه صار عتيقا من الطوفان فلما سارت السفينة أتت الى مكان الكعبة وطافت به سبعا ثم أتت الى مكان بيت المقدس فزارته وكانت السفينة لا تمر بنوح على مكان حتى تنادي يا نوح هذا مكان كذا وكذا فطافت به من المشرق الى المغرب وكان حول السفينة تسعون ألف ملك يحفظونها من العذاب المنزل فكانت تجري في الماء كجري القمر في الفلك فلم تكن الا ساعة يسيرة حتى ارتفع الماء فوق رؤس الجبال مقدار أربعين ذراعا وعم الارض والجبال ولم يبق على وجه الارض ذو روح غير أهل السفينة وعوج بن عنق الا هلك ولم تبق مدينة ولا قرية الا خربت ولم يبق لها أثر الا الاهرام والبرابي فانها كانت محكمة البناء ﴿ومن النوادر الغريبة﴾ ما رواه الثعلبي في أخبار الطوفان ان امرأة حملت ولدا لها صغيرا مرضعا ولم يكن في القوم من الاطفال غيره فلما ارتفع الماء حملت ابنها على عنقها وهربت وصعدت الى جبل عال لتعتصم به من الماء فلما غشيها الماء حملت ابنها على عنقها فلما بلغ الماء الى فيها رفعته بيدها الى أعلى رأسها فلما غمرها الماء جعلته تحت رجليها ووقفت عليه ساعة فطلبت النجاة قدر نفس ثم غرقا جميعا فأوحى الله الى نوح لو كنت أرحم أحدا من قومك لرحمت تلك المرأة وولدها فصارت هذه الواقعة مثلا (فيقال) اذا وقع الطوفان يضع الانسان ولده تحت رجليه قال الكسائي اختلفت جماعة من العلماء في مقدار مكث الماء على الارض فمنهم من قال مكث على وجه الارض ستة أشهر ومنهم من قال مائة وخمسين يوما وبعد ذلك أوحى الله الى الارض يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي ويروى ان الجودي جبل

بالقرب من الموصل فاستقرت السفينة عليه قال الثعلبي كان استواء السفينة على جبل الجودى فى يوم عاشوراء وهو العاشر من المحرم فصامه نوح شكرا لله تعالى وأمر من كان معه بالصيام فى ذلك اليوم شكرا على تلك النعمة و يروى ان الطيور والوحوش والدواب جميعهم صاموا ذلك اليوم ثم ان نوحا أخرج ما بقى معه من الزاد فجمع منها سبعة أصناف من الحبوب وهى البسلة والعدس والفول والحمص والقمح والشعير والارز فخلط بعضها فى بعض وطبخها فى ذلك اليوم فصارت الحبوب من ذلك اليوم سنة نوح عليه السلام وهى مستحبة ثم فتح أبواب السفينة فرأى الشمس والسحاب وقد تقطع وظهر فى الارض قوس قزح وقيل انه لم يظهر فيما قبل الا فى ذلك اليوم وكان دليلا لنقص الماء فلما رأى نوح ذلك كبر وكبر معه أهل السفينة قاطبة ثم ان أهل السفينة صاروا لا يقابلون الشمس باعينهم فشكوا ذلك الى نوح وقالوا لا طاقة لنا ان نقابل ضوء الشمس باعيننا فامرهم ان يكتحلوا بحجر الاثمد فى ذلك اليوم لتقوى أعينهم (ويروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من اكتحل فى يوم عاشوراء لم يرمد فى سنته ثم ان نوحا فتح أبواب السفينة كلها فدخلت الشمس ونفضت الطيور اجنحتها وتحركت الوحوش وتمايلت الاشجار ثم ان عوج بن عنق لما رأى السفينة قد رست تركها ومضى يخوض فى الماء حيث شاء قال الكسائى أول ما ظهر من الجبال فى الارض جبل أبى قبيس الذى بمكة وظهر مكان الكعبة وقد صارت ربوة حمراء ولم يسلم من القرى سوى قرية نهاوند فوجدت من تحت الماء كما هى لم تتغير وسلمت الاهرام وسلمت البرابى التى كانت بجهات الصعيد وهى التى بناها هرمس الاول الذى أودع فيها علم النجوم وعلم الهيئة فوجدت على حالها ثم ان نوحا أراد أن يعلم هل انكشف الماء عن الارض أم لا فارسل الغراب ليكشف له خبر الارض فلما ذهب الغراب رأى جيفة فاشتغل باكل الجيفة فابطأ بالخبر عن نوح سبعة أيام فدعا عليه فصار يمشى وفى رأسه الرعنة لا يستقر بمكان واحد ثم ان نوحا قال لبقية الطيور من فيكن يأتينى بخبر الماء ولا يفعل كفعل الغراب فقالت الحمامة أنا آتيك بخبر الماء يا نبى الله فطارت وغابت ساعة ثم رجعت وفى فمها ورقة خضراء فلما رأى نوح تلك الورقة فى فمها قال هذه الورقة من ورق الزيتون فعلم ان الماء لم ينكشف عن الارض ثم أقام بعد ذلك مدة يسيرة وأرسل الحمامة فغابت ساعة ثم عادت ورجلاها مخضبة بحمرة وسبب ذلك انه أول ما انكشف عن الارض مكان الكعبة فصارت ربوة حمراء فوقفت عليها الحمامة فاختضبت رجلاها من ذلك الطين الاحمر وتطوقت فدعا لها نوح وقال اللهم اجعل الحمام أبرك الطيور وأكثر من نسله وحببه للناس فلما أقامت السفينة على الجبل أربعين يوما حتى جفت الارض ونبتت فيها الاعشاب من كل جانب فاوحى الله الى نوح أن اهبط بسلام منا و بركات عليك وعلى أمم ممن معك ثم ان الله أمر نوحا بان يطلق ما كان معه من الطيور والوحوش والدواب والهوام

فاطلقهم أجمعين فتفرقوا في الفضاء كما كانوا في الاول ثم ان الله تعالى أظهر الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم كما كانوا أولا ثم بعد ذلك أمطر مطر الرحمة ودحرج ماء الطوفان عن الارض وجعله ملحا أجاجا ففرح نوح بذلك واستبشر بالرضا من الله تعالى و يروى ان نوحا لما خرج من السفينة رأى الارض بيضاء كلها فصار متعجبا من ذلك فاتاه جبرائيل وقال له هل تدري يا نوح ما هذا البياض الذي تراه قال وما هو قال هذه عظام قومك ثم سمع صلصلة عظيمة فقال له جبرائيل أتدري ما هذه الصلصة قال وما هي قال هذه أصوات السلاسل التي يسحب بها قومك الى النار وهو قوله تعالى مما خطيآتهم أغرقوا فادخلوا نارا قال لما خرج نوح من السفينة وكان معه من المؤمنين ثمانون انسانا عمر لهم قرية هناك وسماها قرية الثمانين وهي أول قرية بنيت على وجه الارض بعد الطوفان فلما استقروا بتلك القرية أوقع الله فيهم الفناء فماتوا جميعا ولم يبق منهم أحد الا نوح وأولاده وهم سام وحام ويافث ونساؤهم فكانت عدتهم سبعة أنفس وهو قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فجميع العالم من نسل نوح عليه السلام وهو أبو البشر الثاني قال وهب بن منبه كان مبتدأ الطوفان في رجب وكان انتهاؤه في أواخر ذي الحجة قال أبو معشر كان بين طوفان نوح وتوبة آدم ألفان ومائتان وأربعون سنة وكان بين الطوفان والهجرة النبوية ثلاثة آلاف وسبعمائة وأربعة وسبعون سنة

﴿ومن النكت اللطيفة﴾ ما نقله الثعلبي قال لما استقر نوح أوحى الله اليه أن يغرس الاشجار التي كانت معه فغرسها في أول الارض وكان أول ما غرس شجرة الآس وأراد أن يغرس شجرة العنب فلم يجدها فقال لولده سام يا بني ما فعلت بشجرة العنب فقال لا أعلم بها فهبط جبرائيل وقال له يا نوح ان ابليس قد سرقها فقال نوح لابليس أعد شجرة العنب التي سرقتها فقال ابليس ما أعيدها لك حتى تشركني بها فقال له قد جعلت لك فيها الثلث فأبى ابليس من ذلك فقال قد جعلت لك الثلثين فرضي قال الشيخ كمال الدين الدميري في كتاب حياة الحيوان لما غرس ابليس شجرة العنب في الارض ذبح عليها طاووسا فشربت من دمه فلما اطلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت من دمه فلما أثمرت ذبح عليها أسدا فشربت من دمه فلما تزينت أعنابها ذبح عليها خنزيرا فشربت من دمه فلهذا شارب الخمر يعتريه هذه الاوصاف الاربعة ولذلك أول ما يشربها وتدب في أعضائه يزهوا كما يزهو الطاووس فاذا مشى صفق ورقص كما يرقص القرد فاذا قوي عليه السكر عربد وزمجر كما يفعل الاسد فاذا خدر منه السكر ينعس و يطلب النوم كما يفعل الخنزير فهذه العناصر الاربعة لا تحول من شارب الخمر قط

وقال في المعنى

كرمها من عهد نوح عصرا * فيه سر لسرور الانفس
ليس قولي بحديث مفترى * لم يزل شاربها في أنفس

قال الكسائي أول من عصر الخمر وصنع الطار والمزمار وآلات الطرب ابليس ﴿ذكر ما كان من

﴿أخبار الارض بعد الطوفان﴾ قال الكسائى لما استقر نوح فى الارض قسم الجهات بين أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث فاستقر سام بالجهة الغربية فكان من نسله الروم وفارس والعرب وكان يرى فى وجه سام نور النبوة وأضاف اليه جهات الحجاز واليمن والعراق والشام وغير ذلك من الجهات وكان أكبر أولاده * وأما حام فاستقر بالجهة القبلية مع الجنوب فكان من نسله الزنج والحبشه * وأما يافث فاستقر بالجهة الشرقية فكان من نسله الترك ويأجوج ومأجوج فهم بنو عم الترك ثم ان الله تعالى أوحى الى نوح بان يدفن جسد آدم وحواء فى المكان الذى أخذهما منه ففعل ذلك ثم أمره بان يرد الحجر الاسود الى مكانه ففعل ذلك واستمر نوح يسعى فى عمارة الارض بعد الطوفان كما كانت عليه فى الاول قال (كعب الاحبار) لما كبر سن نوح وقرب أجله أراد أن يدعو أولاده وأولاد أولاده ويسأل الله أن يرزقه الاجابة فى دعائه فصعد الى جبل عال ونادى ابنه ساما فجاء وجلس بين يديه فوضع نوح يديه عليه وقال اللهم بارك فى سام وفى ذريته واجعل فيهما النبوة والملك فكان من نسل سام ارفخشد فجاء من أولاده الانبياء والاولياء ثم نادى ابنه حاما فلم يجبه فدعا عليه وقال اللهم اجعل أولاده أذلاء وسود الوجوه واجعلهم عبيدا لاولاد سام * وقيل كان لحام ولد يقال له مصرايم فسمع دعاء جده نوح فجاء اليه وقال له يا جدى قد أجبتك اذ لم يجبك أبى فوضع نوح يديه على مصرايم وقال اللهم كما أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته واسكنهم الارض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد التى نيلها أفضل الانهار فسكن مصرايم بمصر وبه سميت فكان من ذريته القبط ثم دعا بابنه يافث فلم يجبه فدعا عليه وقال اللهم اجعل نسله أشرار الخلق فكان نسله يأجوج ومأجوج والترك كما تقدم ولما دعا نوح على ابنه حام فواقع زوجته فى تلك الليلة حملت بولدين ذكر وأنثى فرأى حام لونهما أسود فانكرهما وقال ماهما منى فقالت زوجته بلى بل هما منك ولكن لحقتنا دعوة أبيك فتركها وابنيها وولى هاربا على وجهه خجلا من الناس فلما كبر الولدان خرجا فى طلب أبيهما حام فبلغا الى قرية بساحل بحر النيل ثم ان الغلام الاسود وثب على أخته فحملت وولدت غلاما وجارية أسودين فتنا كحا وتناسلا فكان من نسلهما جميع السودان الى الآن وقال الكسائى ان القرية التى نزلوا بها تسمى النوبة * وأما يافث فانه سار الى بلاد الشرق فتزوج هناك فولدت له خمسة من الاولاد وهم جوهر وبترس ومياشيخ وسناف وسقويل فمن نسل جوهر الصقالبة والروم ومن نسل بترس الترك والخزر ومن نسل مياشيخ الاعاجم ومن سناف يأجوج ومأجوج ومن نسل سقويل الارمن وأما سام فانه ولد له من الاولاد خمسة ارفخشد جاءت منه الانبياء والصلحاء ومن نسله عرب ربيعة ومضر وقبائل اليمن * وحاشيم جاء من نسله أقوام بارض اليمن يقال لهم النسانيس وكان فى وجوههم عين واحدة واذن واحدة ورجل واحدة وهو يل جاء من نسله العمالقة والعمادية * وارم جاء من نسله قبائل عاد

وثمود وشمليخا كان منقطع النسل عقيما اهـ (قال) الثعلبي ان ساما عاش من العمر ستمائة سنة وكان جزوعا من الموت فكان نوح يسأل الله أن لا يموت سام حتى يسأل هو ربه الموت فلما كبر سنه عجز عن الحركة فسأل ربه الموت فلما مات سام دفن في مدينة نوى من أعمال حوران قال وهب بن ان نوحا عاش بعد الطوفان مائتي سنة وحج بعد خروجه من السفينة (قال وهب بن منبه) بعث الى قومه وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما كما أخبر الله في القرآن العظيم فلما استوفى نوح العمر الذى كتبه الله له جاء اليه ملك الموت وقال له السلام عليك يا نبي الله فقال وعليك السلام من أنت فقد أرعدت قلبي بسلامك فقال أنا ملك الموت جئتك لاقبض روحك فلما سمع نوح ذلك تغير وجهه وتلجلج لسانه فقال له ملك الموت ما هذا الجزع يا نوح ألم تشبع من الدنيا وأنت أطول الناس عمرا فقال نوح انما وجدت الدنيا دارا لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ثم ان ملك الموت ناوله كاسا من شراب الجنة وقال له اشرب من هذا الشراب حتى يسكن روعك فتناوله وشرب به فلما شرب به خر ميتا صلوات الله تعالى وسلامه عليه فلما مات شرع أولاده في تجهيزه فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه في قرية قريبة من الكرك ويقال ان عند قبره عين ماء تجري وقد قال القائل

نح على نفسك يا مسكين ان كنت تنوح لتموتن ولو عمرت ما عمر نوح

﴿ذكر قصة هود عليه السلام﴾ قال الله تعالى والى عاد أخاهم هودا الآية قال كعب الاحبار الذى أتى بعد نوح من الانبياء هو نبي الله هود وهو هود بن عبد الله بن عوص من أولاد سام وكان من قبيلة يقال لها عاد وكانوا من عرب يسكنون الاحقاف وهي جبال من رمل وكانت باليمن بين عمان وحضرموت بالقرب من البحر المالح وكان لهذه القبائل ملك يقال له الجليجان وكان طوله مائة ذراع ولهذا كان اذا قام يغطي الشمس عن الارض واذا وضع يده على الجبل هدمه من جوانبه قال وهب بن منبه وكان طول الرجل من قوم عاد مائة ذراع وأقصرهم ستون ذراعا وكانوا لا يبلغون الحلم الا بعد مائة سنة وكانت تمر عليهم الار بعمائة سنة ولم يمت فيهم ميت ولا يرى عندهم جنازة وكان رأس كل واحد منهم قدر القبة العظيمة وكانوا قوما جبارين يعبدون الاوثان من دون الله قال وبلغني ان ستين رجلا من قوم موسى استظلوا في قحف رجل من العمالقة قال زيد بن أسلم رأيت ضبعا وأولاده أوكروا في عين رجل من العمالقة ولقد وزنت ضرسا من أضراسه فجاء نحو عشرة أرطال قال وهب ابن منبه فلما زاد طغيان هؤلاء القوم بعث الله اليهم هودا وكان لهود من العمر أربعون سنة عند بعثته فنزل اليه جبرائيل وقال ان الله قد بعثك الى قوم عاد فانذرهم وأعلمهم انى قد أمهلتهم دهرا طويلا وأعطيتهم من القوة مالم أعطها لاحد من قبلهم وجعلتهم ملوكا على أسرة من الذهب وجعلتهم

سن أطول الناس أعمارا فامض اليهم وادعهم الى التوحيد ليرجعوا عن عبادة الاوثان فتوجه اليهم هود وهم فى يوم عيدهم وقد اجتمعت هناك الملوك وجلسوا على أسرة الذهب وجلس الملك الجليجان على سرير من الذهب وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر الفاخرة فلم يشعروا الا بصوت هود وهو يقول ياقوم اعبدوا الله ربى وربكم مالكم من اله غيره وان هذه الاصنام التى تعبدونها من دون الله هى التى أغرقت قوم نوح من قبلكم فلما رآه الملك الجليجان قال له ويحك ياهود أتظن أنك مع جوعنا وشدة باسنا وقوتنا تغلبنا بهذه الكلمات أما تعلم أنه فى كل يوم وليلة يولد لنا ألف ولد * فلما ضجر هود وهو يدعوهم الى التوحيد وهم لا يسمعون منه سأل الله أن يعقم نساءهم فلم تحمل منهن امرأة فى تلك السنة فشكوا ذلك الى ملكهم الجليجان وقالوا ان هودا أعقم نساءنا ونخشى أن يكون صادقا فيما يقول * ثم ان الله أوحى الى هود أن أخبر قومك أن يؤمنوا بى والا أرسلت عليهم ريحا عقيما فلما سمعوا منه ذلك ضربوه بالحجارة فاقام يدعوهم سبعين سنة وهم يرجونه بالحجارة فلما أيس منهم قال الهى انك تعلم أنى بلغت رسالتك الى قوم عاد وهم على كفرهم فى ضلال مبين * ثم ان الله تعالى أمسك عنهم المطر سبع سنين فلما أجدبت أرضهم ماتت مواشيهم وعزت عندهم الاقوات حتى هلك منهم نحو النصف وكان ذلك الزمان اذا قحطوا توجه منهم جماعة الى مكة يدعون الله عند البيت الحرام فيسقون فى شهرهم ثم ان قوم عاد اختاروا منهم سبعين رجلا من صلحائهم فتوجهوا الى مكة وأخذوا معهم كسوة للكعبة فلما كسوا البيت جاء ريح عاصف فرق تلك الكسوة ونفضها عن البيت ثم طافوا بالكعبة ودعوا الله واستسقوا لقومهم فسمعوا قائلا يقول هذه الابيات

قبح الله وفد عاد أتونا * ان عادا أشر أهل الجحيم
سيروا وفدهم ليسقون غوثا * بل ليسقون من شراب الحميم

فلما دعوا الله تعالى أرسل اليهم ثلاث سحابات واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ثم سمعوا قائلا يقول اختاروا من هؤلاء واحدة فاختار كبيرهم السوداء وظن انها محشوة بالمطر فساقها الله الى ديارهم فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا (قال وهب بن منبه) ان الله أوحى الى ملك الريح بان يفتح أطباق الريح العقيم من تحت الارض فلما عاين قوم عاد ذلك خرجوا الى الصحارى هاربين على وجوههم فلما دارت الريح العقيم قلعت الاشجار بعروقها وانهدمت الدور على أهلها واستمر هذا الامر على القوم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أى متتابعة فلما رأى القوم ذلك بادروا الى البيوت ودخلوا فيها فدخل اليهم الريح فاخرجهم منها على وجوههم فلما تزايد بهم خرجوا الى الصحارى ولبسوا آلة السلاح ووقفوا وقالوا نحن ندفع الريح بقوتنا وسطوتنا فجاء الريح

فاقتلع منهم تسعة أنفس ممن هو أعظم خلقة وأقوى سطوة فكان الريح يرفع الرجل فى الجو نحو عشرين ذراعا ثم يضرب به الارض فيصير كانه أعجاز نخل خاوية وكان الريح يدخل بين أثواب الرجل ويحمله ويضرب به الارض فيخر ميتا ثم أمطر الله عليهم الرمال المسمومة بالنار فاستمروا على ذلك أربعين يوما وأبقى الله أرواحهم فى أجسادهم حتى يطول عذابهم فكان المؤمن يمر عليهم فيسمع لهم أنينا من تحت الرمال (ويروى) ان هودا لما خرج الريح العقيم الى الارض لم يخرج من بين قومه وكان غيره من الأنبياء اذا نزل بقومه العذاب يخرج من بينهم الا هودا ومن آمن معه فلم يصبهم من الريح شئ فكان المؤمن يجلس والى جانبه الرجل الكافر فيخط بينهما خطا فكان الريح العقيم يهب على المؤمن نسيما رطبا ويهب على الكافر سموما صعبا وأما ملكهم الجليجان فانه عاش بعد فناء قومه أياما حتى نظر الى مصارعهم أجمعين ثم جاءت الريح فدخلت فى فمه وخرجت من دبره فسقط ميتا ولم ينج من ذلك العذاب سوى نبى الله هود ومن معه من المؤمنين ثم أرسل الله عليهم طيورا سودا فنقلت أجسادهم وألقتهم فى البحر المحيط (ويروى) ان رجلا أتى الى الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال له من أى أرض أنت أيها الرجل فقال له من حضرموت بارض اليمن فقال له أعندك خبر من قبر نبى الله هود فقال الرجل نعم خرجت فى أيام شبابى ومعى جماعة من أصحابى فسرنا حتى أتينا الى جبل عاد وفيه مغارة فيها نقب ضيق فسرنا فيه بعسر الى أن أفضى بنا ذلك الى مكان واذا بسرير من ذهب وعليه رجل ميت وعليه أكفان بالية فلمست بدنه فاذا هو لم يبل ولم تتغير هيئته فتأملته فاذا هو رجل واسع العينين مقرون الحاجبين أسيل الخدين لطيف الفم طويل اللحية وتحت رأسه لوح من الرخام الابيض وعليه مكتوب هذا هود نبى الله عليه السلام بعث الى قوم عاد فكذبوه فأخذهم الله بالريح العقيم فلم يبق منهم أحد انتهى

﴿ ذكر قصة شداد بن عاد ﴾ قال وهب بن منبه هو شداد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وكان شداد بن عاد كثير الاولاد وقيل كان له أربعة آلاف ولد وتزوج بألف امرأة وعاش من العمر ألف سنة قال الكسائى لما مات عاد استخلف بعده ثلاثة أولاد شداد وشديد وارم وكان شداد أكبر أولاده فخضعت له الرقاب لما ملك بعد أبيه فلما تزايدت عظمته قهر ملوك الارض بالطول والعرض وقتلهم وملك أرضهم وديارهم وصار ملك الدنيا من مشرقها الى مغربها فى قبضة يده (قال وهب بن منبه) لم يملك الدنيا بأسرها غير أربعة مؤمنين وكافرين فاما المؤمنان فهما سليمان بن داود عليهما السلام والاسكندر ذو القرنين وأما الكافران فهما شداد بن عاد والنمروذ بن كنعان وقيل بختنصر والله سبحانه وتعالى أعلم وقيل فى المعنى

كم سمعنا بملوك هلكوا * ملكوا الدنيا وما قد ملكوا

كدر الموت عليهم عيشهم * تركوا الدنيا وما قد تركوا

قيل للامام على رضى الله تعالى عنه صف لنا الدنيا فقال وأى شئ بها أصفه لكم دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافر شربة ماء وقد قيل فى المعنى

والله لو كانت الدنيا بأجمعها * تبقى علينا ويأتى رزقها رغدا

ما كان من حق حر أن يذل لها * فكيف وهى متاع يضمحل غدا

(قال) الكسائى ان شداد بن عاد كان مولعا بقراءة الكتب القديمة التى أنزلت على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فكان كلما مر عليه سماع أوصاف الجنة ترتاح لها نفسه فخطر بباله أن يجعل له فى الدنيا جنة مثلها وقد قيل فى المعنى

أحببتكم من قبل رؤياكم * لحسن وصف عنكم قد جرى

وهكذا الجنة معشوقة * لحسنها من قبل أن تبصرا

ثم ان شدادا أمر بعض وزرائه وكان له ألف وزير أن يجمع له الحكماء والمهندسين وأمرهم أن ينظروا له أرضا واسعة طيبة الهواء كثيرة الانهار والاشجار ليبنى له جنة عظيمة فتوجه الوزير بمن معه من أهل الخبرة وساروا فى الأرض فلما وصلوا الى عدن من نواحى اليمن وجدوا هناك أرضا على هذه الصفة فأخبروه بها فوجه اليها البنائين والمهندسين فاجتمعوا عند تلك الارض فوجهوها وخطوها مربعة الجوانب دورها أربعون فرسخا من كل جانب عشرة فراسخ فلما حفروا أساس تلك المدينة وبنوا فيها الرخام المجزع وأظهروه من جوانبها مقدار النصف وأخبروه بذلك قال لوزرائه ألستم تعلمون أنى قد ملكت الدنيا جميعها فقالوا نعم فقال أريد أن تجمعوا الى جميع ما فيها من الذهب والفضة ومعادن الجواهر واللآلئ واليواقيت والمسك والكافور والزعفران وغير ذلك من الاصناف النفيسة فجمعوا له ما فى بلادهم وما كان عندهم وما كان فى أيدى الناس وأرسلوا الى سائر الاقطار وأحضروا ما كان فيها من ذلك جميعه فصارت الناس يتعاملون بالجلود فيقصونها على هيئة الدراهم ويختمونها باسم الملك ويتعاملون بها فى كل جهة فلما أحضروا الجميع أخذوا يجعلون من الذهب لبنا ومن الفضة لبنا ويبنونه فوق ذلك الرخام حتى أتموا جوانبها فلما أحاط ذلك السور بالمدينة أخذوا يجعلون فى وسطها غرفا وقصورا على صفة الصور من الذهب والفضة ويجعلون لها قوائم من الزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر وجعلوا تلك القصور والغرف تشرف على أشجار من الجواهر واليواقيت واللؤلؤ والانهار المتدفقة وحول القصور تلال من المسك والعنبر والكافور ثم أحكموا ذلك كله بالصنائع العجيبة المتقنة التى لم يكن فى الدنيا مثلها بل ولا فى الدنيا مثل بعضها

قال الكسائي كان مدة عمارة هذه المدينة ثلثمائة سنة فلما تكامل بناؤها أخبروا الملك بذلك فأمر الوزراء والامراء والحجاب بأن ينقلوا اليها الفرش الفاخرة والآنية الفاخرة فاقاموا ينقلون ذلك مدة عشر سنين فلما انتهوا من ذلك ركب الملك شداد وأركب نساءه وخدمه ونساء وزرائه وأمرائه وحجابه في هوادج من الذهب المتقنة بصنائع المهندسين فلما وصلوا الى باب تلك المدينة وأراد الملك الدخول أولا واذا بملك من الملائكة أرسله الله تعالى الى شداد فقال الملك ياشداد ان أنت أقررت لله بالوحدانية مكنتك من الدخول وان لم تقر لله بالوحدانية أخذت روحك في هذه الساعة فلما سمع شداد ذلك الخطاب طغى وكفر وفجر فصاح عليهم ذلك الملك صيحة فماتوا أجمعين عن آخرهم ولم يدخل أحد منهم الى تلك المدينة (قال) وهب بن منبه لم يكن مثل هذه المدينة على وجه الارض وقد قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد اختلفوا في ذلك اختلافا كثيرا قال السدي ان هذه المدينة التي بناها شداد بن عاد باقية الى الآن وقد دخلها رجل أعرابي يقال له عبد الله بن قلابة وذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم سنة ثمانية وأربعين من الهجرة النبوية انتهى ما أوردناه من أخبار شداد بن عاد باختصار

﴿ ذكر قصة نبي الله صالح صلى الله عليه وسلم ﴾ قال الله تعالى والى ثمود أخاهم صالحا الآية وهو صالح ابن كانوك قد بعثه الله الى قبيلة ثمود قال السدي ثمود اسم نهر كانت بين أرض الحجاز والشام (قال) ابن اسحق لما أهلك الله قوم عاد بالريح عمرت ثمود من بعدهم بلادهم واتخذوا من الجبال بيوتا مجوفة بالنحت وجعلوا على تلك البيوت أبوابا من الخشب مصفحة بالحديد وقد أوسع الله لقوم ثمود بكثرة المال فقد قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد الآية فلما تمكنوا من الارض طغوا وخالفوا أمر الله تعالى وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا قال العزيزي قد كان كانوك أبو صالح في خدمة الاصنام ففي بعض الايام سجد للصنم الكبير فلما سجد نكس الصنم رأسه فتعجب كانوك من ذلك فأنطق الله الصنم وقال له يا كانوك ان في ظهرك نبيا يبعثه الله الى قبيلة ثمود قال فلما سمع كانوك ذلك خرج هاربا على وجهه فلما جن عليه الليل بعث الله اليه ملكا على صفة طير فاحتمل كانوك ومضى به الى واد كثير الاشجار والمياه فلما أصبح كانوك تمشى في ذلك الوادي فنظر الى جبل عال وفيه غار فدخل في ذلك الغار فالقى الله عليه النوم فنام في ذلك الغار نحو مائة سنة فكان الملك يطلبه في كل يوم فلم يجده فاتخذ للاصنام خادما غيره فكانت زوجة كانوك تبكي عليه ليلا ونهارا فبينما هي تبكي واذا بغراب ينعق على الباب فخرجت اليه فقالت له أيها الطائر ما أحسن صوتك فانطق الله لها ذلك الغراب فقال لها أنا الذي بعثني الله الى قابيل بن آدم لما قتل أخاه هابيل لاريه كيف يواري سوأة أخيه وقال لها أيضا مالي أراك باكية حزينة فقالت له لقد فقدت زوجي من مدة مائة

سنة فقال لها الغراب أتحبين أن أمضي بك اليه فقالت ان ذلك عجيب فقال الغراب أتعجبين من أمر الله فعند ذلك قامت من وقتها وساعتها فصارت تمشي والغراب يطير قدامها فخفف الله عليها الطريق وهي سائرة في جوف الليل حتى وصلت الى ذلك الوادي الذي فيه زوجها كانوك ثم ان ذلك الغراب وقف على باب الغار فقال لها ادخلي فدخلت فرأت زوجها نائما فدنا منه الغراب وقال له قم يا كانوك بقدرة الله تعالى فاستوى جالسا فدخلت عليه زوجته فتعانقا فواقعها في تلك الساعة فحملت منه بصالح عليه السلام فلما واقعها وفرغ وقع في الحال ميتا فخرجت زوجته من عنده فصارت تمشي والغراب معها حتى دخلت الى بلد ثمود وكل ذلك جرى تحت الليل فلما كمل حملها وضعت صالحا وكان وضعه في ليلة الجمعة من شهر المحرم ففي ليلة وضعه أصبحت جميع الاصنام منكوسة فبلغ الملك ذلك فاغتم غما شديدا وقال من نكس أصنامنا فدخل ابليس جوف الاصنام وقال يا آل ثمود ولد فيكم مولود يقال له صالح يفسد عليكم دينكم فلما كبر صالح واننشى كان أجمل أهل زمانه فصيح اللسان بالعربية فلما أتى عليه من العمر أربعون سنة أوحى الله اليه ان يدعو قوم ثمود الى توحيد الله المعبود ويمنعهم عن عبادة الاصنام فعند ذلك ذهب الى القوم فرآهم مجتمعين في يوم عيدهم وقد نصبوا أصنامهم على أسرة من ذهب فتقدم صالح ووقف بين يدي الملك وقال له اعلم أني قد جئتكم رسولا من عند رب العالمين أدعوكم الى توحيده فقال له الملك يا صالح ان قبائل ثمود لا ترضى أن يكون مثلك رسولا اليهم فقال صالح ان الله يختص برسالته من يشاء ثم ان الملك أقبل على قومه وقال لهم ماذا ترون فقالوا انه لكذاب أشر ثم ان صالحا بنى له مسجدا بين قبائل ثمود فكان يتعبد فيه كل يوم ويخرج الى قبائل ثمود ويدعوهم الى توحيد الله تعالى وهم على ما هم عليه من الضلال فاقام صالح على ذلك مدة سبعين سنة ثم ان الله أعقم نساءهم وأبقارهم وأغنامهم وجفت أشجارهم وصارت الخيول تنفر عنهم فهموا بقتل صالح ففر منهم الى جبل من الجبال في مغارة فرأى في تلك المغارة سريرا من الذهب وعليه الفرش الفاخرة ورأى جوهرة أضاءت منها المغارة فتعجب صالح من ذلك ونام على الفرش والسرير فكانت تلك النومة نحو أربعين سنة ولا يعلم أحد الى أين توجه فلما انتبه من منامه أوحى الله اليه أن انطلق الى قوم ثمود وادعهم الى التوحيد فاقبل صالح على القوم وهم مجتمعون في يوم عيدهم والملك جالس وحوله قومه وأرباب دولته فناداهم صالح يا قوم اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ فلما سمعوا صوته تساقطت الاصنام فقال له الملك أو لست الذي كنت فينا بالامس وقد غبت عنا منذ أربعين سنة فلا نؤمن بك حتى تخرج لنا ناقة من هذه الصخرة فقال صالح ان ربي على كل شئ قدير وهذا هين على ربي فقال القوم تكون الناقة ذات ألوان أحمر وأصفر وأسود وأبيض ويكون طولها مائة ذراع وعرضها مثل ذلك ويكون

مشيها كالبرق الخاطف وصوتها كالرعد القاصف ويكون لها فصيل خلفها على صفتها ويكون لبنها أحلى من العسل ويسكر مثل الخمر ويكون فى الصيف باردا وفى الشتاء حارا ماشرب به مريض الا شفى من يومه ولا فقير الا ويستغنى وتدخل علينا فى كل يوم عند العشاء وتسلم على القوم كل واحد باسمه وتقف على بابه وتحلب له اللبن من غير حلاب وانها لا ترعى من مراعينا ولا تجفل من مواشينا ويكون الماء لنا يوم ولها يوم وقال آخر من القوم أنا أريد أن تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة ويكون بدنها من الذهب ورجلاها من الفضة ويكون رأسها من الزبرجد الأخضر وأذناها من المرجان ويكون موضع سنامها قبة من الدر ولها أربعة أركان مرصعة بأنواع اليواقيت فاذا أخرجتها لنا بهذه الصفة آمنا بك وبرسالتك فقال له الملك بل تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة ذات لحم وعظم وجلد وشعر ويكون لها سنام قدر القبة ويكون لها فصيل يتبعها وهو على هذه الصفة فان أنت أخرجتها بهذه الصفة آمنا بك وبرسالتك ثم ان صالحا قال ياقوم قد اشترطتم على شرائط كثيرة وأنا أشترط عليكم أن لا يركبها أحد ولا يرميها بحجر ولا بسهم ولا يمنعها من شرب الماء ولا يمنع فصيلها فقال القوم كلهم نعم فلما أخذ عليهم العهود قام وصلى ركعتين ورفع يده الى السماء ودعا الله تعالى ثم تقدم الى الصخرة فضرب عليها بقضيب كان لآدم عليه السلام فاضطربت الصخرة وأنت مثل أنين الحامل ثم خرجت من الصخرة ناقة على الصفة التى أرادوها وفصيلها يتبعها وهى تنادى لا اله الا الله صالح رسول الله (قال) ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان طول الناقة سبعمائة ذراع وعرضها مائة ذراع وكان لها سبعة آلاف حمل من العشب فلما نظر الملك اليها قام من ساعته وقبل رأس صالح وقال أشهد أن لا اله الا الله صالح رسول الله فآمن مع الملك جماعة كثيرة ثم سارت الناقة وفصيلها تمشى الى الجبال والأودية وترعى فاذا أمسى المساء دخلت الى المدينة وطافت على دور القوم تسلم وتعطى اللبن فكان القوم يخرجون بالأوانى ويضعونها تحت ثديها فتمتلئ الاوانى باللبن فاذا اكتفى جميعهم تأتى عند مسجد صالح وتقيم هى وفصيلها هناك واستمرت على ذلك مدة ثم ان مواشى القوم صارت تنفر من الناقة حين ترد الماء وكان فى القوم امرأة ذات حسن وجمال يقال لها قطام وكانت معشوقة لشخص يقال له مصدع وكان من الجبابرة وكان مصدع يجتمع مع شخص من أصحابه يقال له قدار فاجتمع مصدع وقدار فى بيت قطام على سكر فاحضرت لهما خمرا صافيا فطلبا منها الماء ليمزجاه فلم تجد ماء فطلبته من جيرانها فلم تجده فسألا عن السبب فقيل ان الناقة تشربه فعزم مصدع وقدار على عقرها ثم ان مصدعا أقبل على رهط وقال لهم انى عازم على عقر الناقة فهل تعينونى فقالوا نعم وذلك قوله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون قال فكمن قدار للناقة فى مكان من الجبل فلما أقبلت الناقة وهى ترعى وفربت

من قدار ضربها بسيف فقتلها ثم طاب فصيلها فهرب الى المكان الذى خرج منه فلما عقر الناقة وشاع ذلك أتوا وصاروا يقطعون من لحمها فلم يبق بيت الا ودخله من ذلك اللحم وصاروا يأكلون ويضحكون فلما أتى صالح وكان غائبا أخبروه بعقر الناقة وقال له جماعة من القوم لاذنب لنا فى عقر الناقة وانما عقرها قدار فقال لهم صالح انطلقوا فان أدركتم فصيلها فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا فى طلبه فرأوه قد اختفى فى الصخرة التى خرج منها فقال صالح لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال السدى وكان عقر الناقة يوم الاربعاء ثامن عشر صفر فقال صالح للقوم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب وعلامته فى اليوم الاول تحمر وجوهكم وفى الثانى تصفر وفى الثالث تسود فلما رأوا هذه العلامات قد ظهرت فى وجوههم هموا بقتل صالح فهرب منهم واختفى فى بيت كبير القوم فجاء اليه القوم وقالوا قد دخل عندك صالح فقال نعم غير أنى لا أسلمه لكم لانه فى أمانى ثم أوحى الله الى صالح ان يخرج من بين القوم ومعه جماعة من المؤمنين فخرج صالح هو ومن معه من المؤمنين الى نحو الشام فنزلوا بفلسطين فلما أصبح قوم ثمود فى اليوم الرابع تحنطوا بحنوط الموت فلبسوا أكفانهم وانتظروا نزول العذاب فلما كان يوم الأحد ثانى عشر صفر أتتهم صيحة من السماء فسقطت قلوبهم من صدورهم وماتوا أجمعين كبيرا وصغيرا وهو قوله تعالى فاصبحوا فى ديارهم جاثمين ثم توجه صالح من فلسطين الى مكة وصار يبكى على الناقة ليلا ونهارا فاتى اليه جبرائيل وبشره ان الله تعالى يبعثها يوم القيامة ويكون راكبا عليها فطابت نفسه واستمر مقيما بمكة الى أن مات صلوات الله وسلامه عليه وله من العمر نحو مائة وثمانين سنة (قال) عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام دفن سبعون نبيا منهم هود وصالح واسمعيل عليهم الصلاة والسلام انتهى

﴿ ذكر قصة أصحاب الرس ﴾ قال الله تعالى وعادا وثمود وأصحاب الرس الآية قال السدى أصحاب الرس كانوا بقية قوم ثمود وهم أصحاب البئر المعطلة والقصر المشيد الذين ذكرهما الله فى القرآن العظيم قال السدى ان البئر المعطلة بارض عدن وكان أهل تلك المدينة يستقون منها ليلا ونهارا وكان عليها نحو سبعين بكرة بسبعين دلوا عليها رجال موكلون بها وعندها حياض للورد فلما عبد الاصنام البقية من قوم ثمود بعث الله لهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان فدعاهم الى توحيد الله فلم يجيبوه فلما شدد عليهم قتلوه وطرحوه فى تلك البئر فلما طرحوه غار ماؤها فهلك أهلها من العطش وهلكت البهائم اذلم يكن غيرها فسماها الله تعالى البئر المعطلة ﴿وأما﴾ القصر المشيد فهو قصر بناه شداد بن عاد بارض عدن وكان محكم البناء فلما مرت عليه الدهور استملكه الجان فلم يقدر أحد من الناس أن يدنو منه على مقدار ميل لما يسمع منه أصوات الجن وضجيجهم ليلا ونهارا قال الكسائى أصحاب الرس كانوا بارض حضرموت ومدينتهم تسمى الرس وكانت ذات أشجار وأثمار

وقرى عامرة يسكن بها طائفة من أصحاب الرس يعبدون الأصنام وطائفة يعبدون النار (قال) السدى انما أهلك الله أصحاب الرس لانهم كانوا يأتون النساء فى أدبارهن ولم يؤمنوا بنبيهم حنظلة ابن صفوان فتزايد كفرهم وطغيانهم فصاح عليهم جبرائيل صيحة فصاروا حجارة سودا حتى بضائعهم ومواشيهم (قال) السدى ان ذا القرنين لما طاف البلاد ودخل الى مدينة الرس رأى ملكها وأهلها ونساءها وأطفالها ودوابها وبضاعتهم وأشجارها وفاكهتها كلهم حجارة سودا (قال) الكسائى وكان بهذه المدينة جبل عال يقال له جبل الفلج وكانت تأوى اليه العنقاء بنت الريح وكانت عظيمة الخلقة اذا طارت تغطى عين الشمس مثل الغمام وكان عنقها مثل عنق البعير وكان لها أربعة أجنحة اثنان طويلان واثنان قصيران وكان ريشها ذا ألوان وكانت ترفع الفرس الميت والبعير والفيل وما أشبه ذلك بمنقارها وتطير به الى الجبل الذى تأوى اليه فلما تزايد منها الاذى وصارت تخطف الاطفال الصغار من بنى آدم وتصعد بهم الى الجبل فتزق بهم أفراخها شكا أهل المدينة الى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا على العنقاء وقال اللهم اقطعها واقطع نسلها فنزلت عليها من السماء صاعقة فاحترقت هى وأفراخها ولم يبق لها وجود وقد أنكر بعض العرب وجود العنقاء وقال انما هذه حكاية وضعتها العرب حتى قيل فى المعنى

انى اختبرت بنى الزمان فلم أجد * خلا وفيا للنوائب أصطفى

فعلمت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى

انتهى على سبيل الاختصار

﴿ذكر قصة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام﴾ روى وهب بن منبه أن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ابن تارخ بن ناخور وقال الحافظ السهيلى وكان آزر عم ابراهيم ولم يكن أباه واسم أمه ليوثا وكانت مؤمنة تكتم ايمانها وكان مولودا ببلاد حوران وقيل بقرية تسمى برزة من قرى دمشق فى مغارة هناك معروفة وفيها الدعاء مستجاب (قال) السدى كانت الكهنة تخبر النمروذ أنه سيولد فى هذه السنة مولود يكون هلاك النمروذ على يديه فلما سمع النمروذ بذلك أمر بذبح كل مولود يولد فى تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل بيت حارسا بسبب ذلك * قال الرواة ان ساما وحاما ويافث أولاد نوح عليه السلام كانوا ثلاثة أقسام فكانت النبوة فى أولاد سام ومساكنهم الحجاز وما يليها والقوة فى أولاد حام ومساكنهم المغرب والتجبر فى أولاد يافث ومساكنهم المشرق فولد لحام ولد يقال له كوش وولد لكوش ولد يقال له كنعان وولد لكنعان النمروذ المذكور قال وكان كنعان المذكور قوى البطش مولعا بالصيد واذا صاح بالسباع والوحوش تنشق مرائرها من شدة صيحته فتزوج امرأة فحملت بالنمروذ فلما استوفت أيام حملها

ولدته فقال لها أبوه كنعان انه ولد مشؤم فاقتليه أو اطرحيه فى الفلاة ليموت قال فأخذته وطرحته فى الفلاة بين بقر ترعى فنفر كل البقر عنه وكلما أبصره وحش فر منه فجاءت اليه أمه بعد ذلك فحملته ورمته فى نهر وظنت أنه قد غرق فأخرجه الماء الى البر سالما وسخر الله له نمرة ترضعه فرآه أهل قرية فحملوه وربوه وسموه النمروذ فلما شب جعل يقطع الطريق فاجتمع اليه خلق كثير فبلغ خبره الى أبيه كنعان فجمع عليه الجيوش وسار كنعان بمن معه حتى أدرك ولده النمروذ فلما أبصر النمروذ تلك الجيوش القادمة صف جيوشه وتقدم أمامهم ليكشف الخبر الذى قد ظهر له فلما أقبل كنعان بجيوشه حمل النمروذ عليه فيمن معه ووقع القتال فكسر النمروذ جيوش كنعان فعند ذلك برز كنعان وطاب النمروذ فقتل النمروذ أباه كنعان وهو لا يعلم أنه ابنه ولا النمروذ يعلم بذلك وصارت المملكة بيد النمروذ وصار يغزو ملوك الارض ويظفر بهم حتى ملك شرق الارض وغربها وكان يعبد الاصنام فأخبرته الكهان بأمر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال وقالت الكهنة للنمروذ ان المولود الذى أعلمناك به قد حملت به أمه فى هذه الليلة وكانت أم ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذا مرت بين الناس لم يعلموا بحملها ولم يظهر عليها ذلك فلما دنت ولادتها خرجت هاربة خوفا على ما فى بطنها من الذبح فلما أخذها المخاض دخلت الى المغارة ووضعته فوجدته أحسن الناس وجها والنور يلمع من جبينه وفى ليلة ولادته وقعت الاصنام وطارت التيجان عن رؤسها ووقعت شرفات قصر النمروذ الى الارض ثم ان أم ابراهيم عليه السلام سدت عليه باب المغارة ومضت الى بيتها ثم أتت اليه بعد سبعة أيام فوجدته يشرب من ابهامه لبنا ومن أصابعه عسلا وزبدا فتركته ومضت وصارت تتردد اليه سنة كاملة وهو فى المغارة ويشب فى كل شهر كما يشب الطفل فى سنة ولما خرج من المغارة كان يقاس بابن اثنتى عشرة سنة فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ورجع عن اعتقاده فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل علم أنه مخلوق أيضا فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر يعنى أكبر من النجوم ومن القمر فلما مالت الى الغروب قال ان هذه الاشياء كلها لا تصلح أن تكون الها فعند ذلك قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ثم جعل يصيح ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين فسمعت الخلائق كلهم صوته بذلك فذعر النمروذ من ذلك قال فخرج ابراهيم يريد أباه وأمه فجاءه جبرائيل وأدخله على أبيه وأمه فوثب اليه أبوه واعتنقه لما رأى النور والحسن والجمال فقال لامه من ربك فقالت أبوك قال ومن رب أبى قالت النمروذ قال ومن رب النمروذ فنهره عن ذلك فلم ينته وهو يقول لا اله الا الله هو ربى ورب كل شئ فعند ذلك بكت

أمه وأبوه عليه خوفا من النمروذ فقال لهما لا تخافا على منه أنا في حفظ من حفظني صغيرا يحفظني كبيرا
فخاف أبوه من النمروذ وأن يغمز عليه أحد فجاء الى النمروذ وقال له أيها الملك ان المولود الذي كنت
تحذره هو ولدي قد ولد في غير داري ولا أعلم به حتى الآن الى أن جاءني وقد أخبرتك به فافعل به
ما تريد ولا تلمني بعد ذلك فقال النمروذ ائتوني به فاخذوه من عند أمه وحملوه الى النمروذ فرآه
النمروذ وتميزه ثم قال احبسوه الى غد فلما جاء الصباح زين النمروذ مجلسه وصف جنوده وقال ائتوني
بابراهيم فاتوا به فنظر ابراهيم يمينا وشمالا وقال يا قوم ما تعبدون فذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ
ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون فقال له النمروذ يا ابراهيم ادخل في ديني وما أنا عليه فأنا الذي
خلقتك ورزقتك فقال ابراهيم كذبت يا نمروذ بل الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني
ويسقين الآية قال فبهت النمروذ وبهت الناس ووقع في قلوبهم محبته من حسنه وجماله ولطافة حديثه
فعند ذلك التفت النمروذ الى أبي ابراهيم وقال له يا آزر ولدك هذا صغير لا يدري ما يقول ولا يجوز
لمثلي في قدري وعظم ملكي أن أعجل به فخذه اليك وأحسن اليه وحذره بأسي عسى يرجع عما هو
عليه فاخذه آزر بيده الى أمه وصار يلاطفه ساعة ويحذره ساعة ويقول له خذ هذه الاصنام وبعها
الكبير بكذا والصغير بكذا فكان لا يصغي لقول أبيه بل يقول كما قال الله عز وجل اذ قال لابيه يا أبت لم
تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ الآية وكان أبوه يقول له كما قال الله تعالى لئن لم تنته
لأرجمنك واهجرني مليا * قال وكان ابراهيم يأخذ الاصنام من أبيه ويذهب بها ويشد الحبل بارجلها
ويجرها خلفه ويقول من يشتري ما يضره ولا ينفعه فكانت الناس تنظره ولا تجسر عليه بالنهي عن
ذلك لحرمة أبيه آزر عندهم قال فلما مضى على ابراهيم من العمر سبع عشرة سنة وخالط الناس فقالوا
له امض معنا الى عيد آلهتنا وكان للاصنام بيت مبني بالرخام الابيض والاخضر وفيه ثلاث وسبعون
صنما وهم جالسون على كراسي من ذهب وكان كبير هذه الاصنام على رأسه تاج مرصع بالجواهر
الفاخرة وله عينان من الياقوت الاحمر والاصنام عن يمينه وشماله وكان القوم يصنعون طعاما
ويضعونه بين الاصنام في يوم عيدهم وكانت الشياطين تأخذ الطعام فيظنون أن الاصنام أكلته
فيفرحون لذلك ويقولون هي راضية علينا بأكلها قال فصنع القوم الطعام ووضعوه عند الاصنام
على المائدة وخرج القوم الى الصحراء للعيد الا ابراهيم فانه لم يخرج معهم وقال لهم اني سقيم فقالوا
اتركوه فلعل الطاعون قد أصابه فلما تخلف ابراهيم عنهم أخذ فأسا فكسر تلك الاصنام كلها الا الصنم
الكبير فانه لم يكسره بل علق الفاس برقبته ومضى ابراهيم فلما رجع القوم الى الاصنام وجدوها
مكسرة والفاس معلقة برقبة الصنم الكبير فقالوا من فعل هذا بآلهتنا قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال
له ابراهيم فقال النمروذ ائتوني به على أعين الناس لعلهم يشهدون فلما حضر ابراهيم قال له النمروذ

أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون فقال ابراهيم أف لكم ولما تعبدون من دون الله فكابر عند ذلك هو ووزراؤه وقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال السدى فاما أجمع هو ووزراؤه على حرق ابراهيم عليه الصلاة والسلام أمر بجمع الاحطاب على البغال من الجبال فلذلك قطع الله نسل البغال فلازالوا يجمعونها فى مدة ثلاثة شهور ثم أطلقوا فيها النار فارتفع دخانها حتى كاد أن يهلك أهل المدينة من شدة حر النار والدخان فكان بعض الناس ينزل ويختفى فى الاسربة من شدتها قال وكانت النار فى قرية يقال لها غوصه وحر النار وصل الى دمشق الشام فتحيروا كيف يلقون ابراهيم فيها من حرها ولم يجسر أحد أن يتقدم ليلقى ابراهيم فيها فجاء ابليس اللعين على صورة رجل وقال لهم أنا أصنع لكم منجنيقا لترموا به ابراهيم وكان ابليس قدر أى مجانيق جهنم المعدة للكفار فى أودية النار فلما صنع ابليس المنجنيق فرح النمرود بذلك ووضعوا ابراهيم فى تابوت ووضعوه فى المنجنيق وهموا أن يلقوه فى النار فضجت ملائكة السموات والارض وقالوا الهنا وسيدنا عبدك ابراهيم لا يعبدك غيره فى الارض فكيف يرمى فى النار فاوحى الله اليهم ياملائكتى ان طلب الاغاثة منكم فاغيثوه فجاء اليه ميكائيل عليه السلام وقال يا ابراهيم ان أردت أن أسوق لك الامطار وأطفىء لك النار فقال ابراهيم لا حاجة لى بك ثم جاء اليه جبرائيل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال ابراهيم عليه السلام أما اليك فلا حسبى من سؤالى علمه بحالى واذا النداء من العلى الاعلى يا جبرائيل اضرب بجناحك النار فضرب بها بجناحه فانطفأ لهيبها وجعلها الله عليه بردا وسلاما بدليل قوله تعالى قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وأجرى الله بجانبه عينا من الماء البارد وبجانبها شجرة رمان وأتاه جبرائيل بسرير من الجنة وعليه فراش من السندس وتاج وحلة فالبسهما ابراهيم وجلس على السرير فى أرغد عيش هذا ما كان من أمر ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما ألقى فى النار * وأما النمرود المبعود عن رحمة الله تعالى فانه قصد مكانا عاليا وأراد النظر كيف صار بابراهيم واذا بشرارة طارت الى أثواب النمرود فاحرقتها جميعا الا بدنه فلم يحترق ليعلم أن النار لا تضر أحدا الا باذن الله تعالى كل ذلك ولم يعتبر النمرود (سؤال) لم ابتلى الله ابراهيم عليه السلام بالنار ولم يبتل قبله أحدا بها (الجواب) أن ابراهيم عليه السلام كان يخاف من النار فادخله الله اليها ليعلم أن النار لا تضر أحدا الا باذن الله تعالى قال السدى آمن فى ذلك اليوم أناس كثيرون لما رأوا هذه المعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم ولما رأى النمرود ذلك قال لابراهيم اخرج من أرضنا لئلا تفسد علينا ديننا فخرج ابراهيم وصحبته سارة وكان ممن آمن به وصحبه ابن أخيه لوط عليه السلام وتوجه ابراهيم بهما نحو أرض حوران فأوحى الله اليه أن يتزوج بسارة فتزوج بها وتاجر فصار عنده مال عظيم

فاشترى فاشا وأخذ زوجته سارة وتوجه بها الى مصر قال وكانت سارة ذات حسن وجمال وقد
واعتدال حتى لم يكن فى زمانها أجمل منها فلما دخل بها الى أرض مصر قيل له يا ابراهيم ان بمصر ملكا
جبارا يحب النساء وكان من عادته اذا سمع بامرأة جميلة يتزوج بها قهرا وكان اسم الملك طوطيس
وكان من عادة الملوك السابقة أن يسكنوا بمدينة يقال لها منوف وكان له حراس يقيمون على
الطرقات ليأخذوا العادة من المسافرين وكان ابراهيم قد وضع زوجته سارة فى صندوق ليخفيها
عن الملك فلما سار ابراهيم بين يدى الحراس أرادوا فتح الصندوق لينظروا ما فيه ولم يقدر ابراهيم
على منعهم من فتحه ففتحوه فاذا بسارة فى الصندوق فحملوها الى الملك فقال من هذه المرأة
يا ابراهيم فقال هى أختى وعنى أنها أخته فى الخلقة فقال الملك زوجنى اياها فقال انها متزوجة فأخذها
الملك قهرا (قال الراوى) فرفع الله تعالى الحجاب عن بصر ابراهيم حتى انها لم تغب عن معاينته
ليطمئن قلبه اذا راجعت اليه قال فلما دنا الملك منها وأراد أن يتناولها بيده يبست ثم تاب فانطلقت
يده ثم عاد فمد يده اليها ثانيا فيبست يده ورجله فعاد وقيل انه تاب فعاد وتاب سبع مرات الى أن تاب توبة
صادقة كل ذلك وابراهيم ينظر وقد كشف الله الحجاب عن بصره فدعا الملك بابراهيم وأحضره
وأكرمه وأعطاه زوجته ووهبه جارية تسمى هاجر فتزوجها ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال ثم ان
ابراهيم خرج من مصر يريد الشام فاقام عند قوم بواد يقال له وادى السبع فأوسع الله عليه الرزق
من المال والمواشى حتى قيل كان له اثنا عشر ألف قطيع من الغنم وفى كل قطيع كلب وعليه جل من
الديباج الملون وفى عنقه سلسلة من الذهب وكان ابراهيم أغنى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم
فى المعيشة وكان لا يأكل الا مع الاضياف وكان اذا أمسى المساء ولم يكن عنده ضيف مشى الميل
والميلين يجد من يأكل معه فكان كما يقال فى المعنى

لا مرحبا بالليل ان لم يأتنى * فى طيه ضيف ملم نازل
والصبح ان وافى فلا أهلا به * ان كان عندى فيه ضيف راحل

* قيل ان ابراهيم عليه السلام أول من قرى الاضياف وأول من شاب فلما رأى الشيب فى لحيته
أنكره فقال يارب ما هذا فأوحى الله اليه هذا الوقار فقال يارب زدنى وقارا فاصبحت لحيته بيضاء
* وقيل لما كثرت مواشيه ضاقت عليها الارض فاجتمع عليه أهل تلك الارض وقالوا له يا صالح
وكان يسمى عندهم بالشيخ الصالح اخرج من بلادنا فانك ضيقت الارض علينا بمواشيك قال فعزم
على الرحيل فلما رحل عنهم نشفت الآبار من الماء وكان فيها الماء من بركته فهلك القوم من العطش
فلحقوه وسألوه الرجوع فأبى فشكوا اليه قلة الماء فاعطاهم سبع نعاج وقال أوقفوا على كل بئر نعجة
يأتكم الماء فاخذوا النعاج وأوقفوها على الآبار فرجع الماء ببركة مواشيه صلى الله عليه وسلم ولذا

سمى الوادى بوادى السبع * قال قتادة لما تزوج ابراهيم عليه السلام بهاجر جاءه منها اسمعيل عليه السلام وقد صار عمره خمسا وثمانين سنة فلما كبر اسمعيل شمخت هاجر على سارة وصارت تعارضها فيما تقول فخافت سارة يمينا مغلظا لتقطعن قطعة من لحم هاجر فلما سكن غضبها بقيت سارة متحيرة فى أمر اليمين فأفتاها ابراهيم حين قصت عليه اليمين وقال اثقبى أذنيها ففعلت ذلك * ثم ان سارة قالت لابراهيم لا أسكن أنا وهاجر فى مكان واحد فأوحى الله الى ابراهيم بان لا تخالف سارة وأمره أن يمضى بهاجر واسمعيل الى محل الحرم وكان اسمعيل طفلا رضيعا فاركب اسمعيل وأمه على بعير وأخذ معه سقاية وجرابا فيه دقيق وسار الى مكة فانزلهما فى محل الحرم وكان موضع البيت الشريف يومئذ ربوة حمراء فصنع ابراهيم هناك بيتا من عريش الشجر وترك عندهما السقاية والجراب المملوء دقيقا فلما أراد الانصراف عنهما قالت له هاجر الى أين تمضى قال الى نحو الشام قالت وكيف تذهب وتتركنا فى هذا المكان الذى لا نبات به ولا ماء ولا أنيس فلا زالت تقول له مرارا وهو لا يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا فقال لها نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم انطلق ابراهيم وهو يقول ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ثم ان هاجر أقامت هناك ثلاثة أيام وفرغ ما كان معها من الماء والدقيق فعطشت هى وابنها فجعلت هاجر تصعد الى الصفا وتنظر هل ترى ماء أو أحدا ثم تذهب الى المروة وتنظر هل ترى ماء فسعت بين الصفا والمروة سبع مرات وهى كالوالهة تتضرع الى الله عز وجل فى طلب الماء فلاجل ذلك صار السعى واجبا بين الصفا والمروة على سائر الحجاج * وأما اسمعيل فانه كان يبكى تارة ويسكت أخرى حتى أشرف على الهلاك من قلة الماء فبينما هى كذلك اذ سمعت هاتفا يقول ارجعى قد أنبع الله لك ماء فرجعت فوجدت الماء قد نبع بين أقدام اسمعيل وهو يفور ويسيح فخافت هاجر منه فقالت زم زم يا مبارك حتى أمسك عن جريانه فلذلك سميت زمزم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أم اسمعيل لو أنها لم تقل زم زم يا مبارك لكانت زمزم عينا جارية (ويروى) أن جبريل عليه السلام أتى الى هاجر وهى تسعى بين الصفا والمروة فقال لها من أنت قالت أنا سرية ابراهيم خليل الرحمن وقد تركنى ههنا فقال جبرائيل الى من ترككما قالت الى الله تعالى فقال لقد ترككما الى كاف وقال الله تعالى أليس بكاف عبده ألا يعلم من خلق ثم ان جبرائيل أتى زمزم وركضها برجله ففاض الماء ولذا يقال لزمزم ركضة جبرائيل ثم ان اسمعيل وأمه جعلا يشربان من ذلك الماء فكان يكفيهم غذاء وشرابا ببركته فاقامت هناك مدة * وقيل ان جماعة من بنى خزاعة من أولاد جرهم نزلوا بالقرب من مكة فرأوا طيورا قد كثرت هناك فقالوا ان هذه الطيور لا تنزل الا على ماء فجازوا ودخلوا فوجدوا الماء فقالوا لهاجر لمن هذا الماء فقالت لهم ان

الله تعالى خصني به فقالوا لها ألا ننزل عندك حتى نجعل لك نصيبا من مواشينا فقالت لهم نعم فنزلوا عندها وضربوا حولها المضارب وأقاموا عندها فلما كبر اسمعيل عليه السلام وانتشى بين العرب وتعلم منهم اللغة العربية والفروسية وتزوج من بناتهم ورزق الاولاد ولهذا يقال اسمعيل أبو العرب (وقيل) ان ابراهيم بعد ذلك قدم الى مكة فسأل عن بيت اسمعيل فدلوه فاتى الى باب داره وطرق الباب فخرجت اليه زوجة اسمعيل فسألها عنه فقالت له انه غائب فسألها عن معيشتهم فقالت نحن فى أسوأ حال من ضيق المعيشة فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قالت له قد جاء اليك شيخ صفته كذا وكذا وذكرت له الوصية فقال لها هذا أبى وقد أمرنى أن أفارقك فالحقى باهلك ثم ان اسمعيل تزوج بامرأة غيرها من بنات العرب فقدم ابراهيم مرة ثانية فدق الباب فخرجت اليه زوجة اسمعيل فقال لها أين زوجك فقالت انه غائب فسألها عن معيشتهم فقالت بخير والحمد لله فقال وما طعامكم فقالت اللحم واللبن فقال وما شرابكم فقالت ماء زمزم فقال اللهم بارك لهم فى لحمهم ولبنهم وماءهم ثم أوصاها وقال اذا جاء زوجك فاقرئيه منى السلام وقولى له يثبت عتبة بابه * قال السدى لما دعا ابراهيم بالبركة لم يكن غير اللحم واللبن والماء فلو كان غيره ودعا له بالبركة مثل الحبوب كالقمح والشعير والفول لكان كثيرا بدعوته ثم غاب ابراهيم عليه السلام مدة طويلة فاستأذن سارة فى المسير الى زيارة ولده اسمعيل فاذنت وشرطت عليه أن لا يكلم هاجر ولا ينظر اليها فقال نعم ثم انه قدم الى مكة وجاء الى بيت اسمعيل فدق الباب فقالت زوجته ما تريد فقال أين اسمعيل فقالت انه خرج يتصيد فسألها عن هاجر فقالت انها قد ماتت ودفنت قريبا من الحجر * وقيل لما توفيت هاجر كان لها من العمر نحو ستين سنة ولاسمعيل من العمر عشرون سنة ثم ان ابراهيم جلس فى الحرم واغتسل من ماء زمزم وجعل ينتظر ابنه اسمعيل فلما جاء من الصيد وجد أباه عند بئر زمزم فاعتنقه ثم أخذ بيد أبيه وأضافه فاخرج له لحما ولبنا فاكل ثم قال ابراهيم يا بنى ان الله قد أمرنى بان أبنى له بيتا على هذا التل الاحمر فكن لى معينا على ذلك

(ذكر بناء البيت) قال الثعلبى لما أمر الله تعالى ابراهيم ببناء البيت أرسل اليه سحابة بيضاء على قدر البيت ونودى يا ابراهيم ان البيت على قدر السحابة وظلها * وروى الواقدى ان ابراهيم لما احتفر أساس البيت رأى حجرا من رخام أخضر وعليه أربعة أسطر السطر الاول مكتوب أنا الله لا اله الا أنا رب البيت مغليها وهى غزار ومرخيها وهى قفار والسطر الثانى مكتوب أنا الله لا اله الا أنا رب البيت مهلك الطغاة ومفقر الزناة ومخزى تارك الصلاة والسطر الثالث مكتوب أنا الله لا اله الا أنا رازق من لا حيلة له حتى يعلم من له حيلة أن لا حيلة له * قال وأوحى الله الى ابراهيم بان يأتى بحجارة البيت من خمسة جبال جبل طور سيناء وجبل طور زيتا وجبل لبنان وجبل الجودى وجبل حراء

بمكة ليكون يوم القيامة ثقل هذه الجبال فى موازين الحجاج فلما جمعت هذه الاحجار من الجبال المذكورة شرع ابراهيم فى بناء البيت فكان اسمعيل يأتيه بالحجارة و يعجن له الطين واستمر يبنى الى أن ارتفع البناء وهو قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل قال ان الحجر الذى يعرف بمقام ابراهيم كان اذا بنى وقف عليه فتارة يرتفع به اذا ارتفع البناء وتارة يهبط به اذا أراد الارض * قال أنس بن مالك رضى الله عنه رأيت أثر قدم ابراهيم فى هذا الحجر وقد أثر فيه كعبه واخماص أصابع رجليه غير انه اختفى رسمه من كثرة لمس الناس له بايديهم فمحى ذلك من كثرة الايام والليالى * قال الكسائى بينما ابراهيم يبنى فى البيت اذ ناداه جبل أبى قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فخذها فلما دنا منه انشق من الجبل قطعة وخرج منها الحجر الاسود وكان نوح عليه السلام لما خرج من السفينة بعد الطوفان أودع الحجر الاسود بهذا الجبل فأنطق الله الجبل بالوديعة فلما أتم ابراهيم بناء البيت أوحى الله اليه أن اصعد الى سطح البيت وأذن فى الناس بالحج قال فبلغ صوته مشارق الارض ومغاربها لان الله تعالى قال له يا ابراهيم منك النداء وعلينا البلاغ قيل ان ابراهيم طلع على جبل عرفات ونادى باعلى صوته يا أيها الناس ان الله تعالى قد بنى لكم بيتا فحجوا اليه فبلغ مدى صوته المشرق والمغرب فمن أجابه بالتلبية كتب له حج ومن لم يأت لم يحج فذلك قوله تعالى وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا الآية * قال الثعلبى ولم يزل هذا البيت على بناء ابراهيم الى سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدمت قريش ما بناه ابراهيم و بنوه ثانيا وجعلوا من داخله صور أربعة من الملائكة جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وجعلوا أيضا فيه صور الانبياء المرسلين فلما فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة فى عام الفتح طمس تلك الصور جميعها وأبقى صورة عيسى وأمه ثم بعد ذلك جدد بناءه تميم بن أسعد ثم جدد بناءه بعد ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك جدد بناءه عبد الله بن الزبير فى خلافة معاوية بن أبى سفيان (١) أوهن أركانه من النار التى أحرقته ثم ان الحجاج هدم ما بناه عبد الله بن الزبير جميعه و بناه على هذه الصفة التى هو عليها الآن وذلك فى سنة أربع وسبعين من الهجرة النبوية فى خلافة عبد الملك بن مروان الاموى

﴿ ذكر ذبح اسمعيل عليه السلام ﴾ قال السدى قد اختلف جماعة من العلماء فى الذبيح فمنهم من قال انه اسحق وأهل التوراة يرجحون ذلك والاشهر انه اسمعيل لقول بعض العرب للنبى صلى الله عليه وسلم ابن الذبيحين وهما اسمعيل عليه السلام وعبد الله الذى فداه أبوه بمائة بعير قال ابن عباس رضى الله عنهما ان ابراهيم نذر فى سره ان ولد له ولد ذكر ليذبحنه قربانا الى الله تعالى فلما تمادت عليه الايام والليالى نسى ما نذره (قال) السدى ان ابراهيم رزق اسمعيل قبل اسحق بثلاثين سنة

فبينما ابراهيم نائم اذ رأى فى منامه قائلا يقول له يا ابراهيم ان الله يأمرك ان تفى بنذرك وهو ذبح ولدك بيدك فانتبه ابراهيم وهو مذعور فكان يرى تلك الرؤيا فى سبع ليال متواليـة فعزم على ذبح ولده * قال السدى لما قوى عزم ابراهيم على ذبح ولده ناداه يا اسمعيل خذ معك حبلا ومدية قال وما تصنع بهما يا أبت قال أذبح كبشا قربانا الى الله تعالى فانطلق هو وابنه اسمعيل وسار به الى شعب جبل عند وادى منى فبينما هما يمشيان اذ تعرض ابليس اللعين لاسمعيل بصورة شيخ فقال الى أين تمضى يا اسمعيل قال ليقرب أبى قربانا الى الله تعالى فقال ابليس أتدرى ما القربان الذى يقرب به أبوك قال لا قال انه يريد أن يذبحك وقد جئتك ناصحا فقال يا ابليس أيفعل هذا أبى من قبل نفسه أم بامر ربه فقال ابليس بل بامر ربه فقال اسمعيل اذا كان الذبح بامر ربى فكيف أعصى ذلك فرجع ابليس خائبا فكان كلما يتبع اسمعيل يرميه بالحصى ففعل ذلك به سبع مرات فصار من يومئذ رمى الجمار سنة فلما وصل ابراهيم الى شعب الجبل جلس وقال لاسمعيل ان الله تعالى أوحى الى بذبحك وقد رأيت ذلك فى المنام فى سبع مرات سبع ليال متوالية فقال اسمعيل يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما رأى ابليس ذلك جلس على الجبل ليرى ما يكون من أمرهما ثم ان ابراهيم أضجع ابنه على جنبه الايمن وشد يديه ورجليه بحبل فقال اسمعيل يا أبت لا تشد رجلى و يدى بالحبل لئلا تقول الملائكة قد جزع من أمر ربه فخله واستمر اسمعيل مضطجعا على جنبه الايمن من غير وثاق ثم ان ابراهيم عليه السلام وضع المدية على نحر اسمعيل وصار يحز بها مرارا فلم تؤثر فى نحره ولم تخدش شيأ فعند ذلك ضجت من هذه الواقعة ملائكة السماء والارض والطير والوحوش والحيتان فى البحر ونطق الكل بالابتهال الى الله تعالى وصاروا يقولون الهنا وسيدنا ومولانا ارحم هذا الشيخ الكبير وافد هذا الطفل الصغير فلما رأى اسمعيل ان المدية لا تقطع نادى يا أبت انخع بالمدية فى لبتى فنخعه بها فى لبته نخعا بليغا فغابت المدية فى نصابها ثم قال اسمعيل لابيه يا أبت كبنى على وجهى فانك اذا نظرت الى وجهى ترحمنى فكبه على وجهه ووضع السكين وحز بها فلم يؤثر ذلك كله فغضب ابراهيم ورمى السكين من يده فانطق الله تعالى السكين وقالت يا ابراهيم أنا بين أمرين فالخليل يقول اقطعى والجليل يقول لا تقطعى وانى من قبل الجليل لا من قبل الخليل وكيف أقطع فى نحر اسمعيل ونور محمد صلى الله عليه وسلم فى جبهته يلمع ثم ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين وفديناه بذبح عظيم قال فبينما هو كذلك واذا بجبرائيل أتاه ومعه كبش أملح وقال هذا فداء ولدك فخذه واذبحه فداء لاسمعيل وادركه بالفرج الجزيل (وأنشد فى المعنى)

انا سمعنا مقالا قاله فطن * فى أضيق الوقت يأتى الله بالفرج

(قال) الثعلبى ان الاضحية صارت من وقتها سنة ابراهيم عليه السلام ﴿سؤال﴾ لم فدى الله تعالى

اسمعيل بكبش ولم يجعل فداءه جملاً أو بقرة أو غير ذلك (الجواب) ان ابراهيم لما أخذ الحبل والمدية فقال اسمعيل وما تصنع بهما أذبح كبشا فصدق الله تعالى قول خليله ﴿جواب آخر﴾ ان الله تعالى ادخر الكبش الذى كان قربه هابيل بن آدم فأخره الله ليعلم عباده أن الخير من الاجداد ينفع الاولاد (قال) السدى كان هذا الكبش قدر الفيل العظيم وكانت قرونه وحوافره من الذهب الاحمر وليس به عظم بل كله لحم وشحم ولم يكن على بدنه صوف وكان يرتع فى رياض الجنة فصار عظيم الخلقة فذبحه ابراهيم وفرق لحمه على الفقراء والمساكين وكان ذبحه بمنى فصار فداء الحاج هنالك كل سنة * قال السدى كان عمر اسمعيل حين الذبح عشرين سنة * قال الكسائى عاش اسمعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ويروى أنه لما مات دفن تحت الميزاب انتهى ملخصا

﴿قصة هلاك النمروذ بن كنعان﴾ قال الثعلبى ان النمروذ هو أول من تجبر فى الارض وادعى الربوبية من دون الله تعالى قال السدى ان الغلاء وقع فى زمن النمروذ وأجدبت الارض فكان النمروذ يخزن عنده جميع الغلال فيقصده الناس من سائر الاقطار وكان لا يبيع أحدا شيأ حتى يسجد له ويقول أنت ربى ووقع القحط فى الارض التى بها ابراهيم فسار ابراهيم الى النمروذ ليشترى منه غلالا فلما وصل الى النمروذ وقف بين يديه عرفه النمروذ فقال يا ابراهيم من أنا فقال ابراهيم أنت عبد من عبيد الله تعالى فقال النمروذ اسجد لى فقال ابراهيم لا ينبغى السجود الا للرب المعبود فقال النمروذ ومن الرب المعبود قال ابراهيم الرب المعبود هو الذى يميت ويحيى فقال له النمروذ أنا أحيى وأميت فاستدعى برجلين وجب عليهما القتل فقتل واحدا وأطلق الآخر فقال ها أنا أمت وأحييت فقال ابراهيم ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين فعند ذلك قال النمروذ لابد أن أقاتل اله ابراهيم فأمر ببناء الصرح (قال) كعب الاحبار طول ذلك الصرح فرسخان فى عرض فرسخ وقال الآمدى كان بناؤه فى أرض بابل ثم عمد النمروذ الى أربعة نسور ربّاها على اللحم والخمر حتى استكملت قوتها ثم صنع تابوتا من الخشب وجعل لذلك التابوت بابا من أعلاه وبابا من أسفله وربطه بأرجل النسور بعد أن جوعهم وعلق لحما على عصا فوق التابوت ثم دخل النمروذ فى التابوت وأخذ معه قوسا وثلاثة أسهم وأخذ معه أحد وزرائه ممن كان يثق بعقله ثم كشف اللحم للنسور فاقلعوا طمعا فى اللحم فبعد ساعة قال لوزيره اكشف الباب الاعلى فنظر الى السماء فوجدها على هيئتها ثم كشف عن الباب الاسفل فنظر الى الارض فوجدها كاللجة ووجد الجبال كالدخان ثم أطبق البابين ثم بعد زمان كادت النسور أن تهلك من التعب ففتح البابين فنظر الى السماء فوجد ظلمة ونظر الى الارض فرأى ظلمة فبينما هو صاعد اذ ناداه ملك الى أين يا عدو الله فظن النمروذ أن الذى ناداه اله السماء فأخذ القوس ووضع

السهم وصوبه نحو السماء ورمى به فى الهواء فغاب السهم عنه ساعة ثم عاد اليه وهو ملطخ بالدم ففرح النمرود بذلك وقال قتلت اله السماء قال عكرمة ان السهم أخذته سمكة وقربت نفسها الى الله تعالى وأصابها فذلك الدم منها وهى فى بحر بين السماء والارض * قال العزيزى ان النمروذ لم يزل يصعد فى الجو الى أن ناداه ملك الى أين يا عدو الله ان بينك و بين السماء خمسمائة عام ثم صعق الملك صعقة مات منها الوزير ثم ان جبريل عليه السلام ضرب التابوت بجناحه فسقط فى البحر فقذفته الامواج الى البر فخرج نمروذ من التابوت وقد ابيضت لحيته من الخوف مما رأى من الاهوال فلما رآه قومه أنكروه ولم يصدقوه انه النمروذ وقال الثعلبى ان الله سلط على ذلك الصرح ريحا عاصفا فالقته على من كان من أرباب دولته وذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم ثم ان النمروذ أحضر ابراهيم وقال له قل لربك أن ينزل من السماء الى الارض حتى أقاتله فان ذلك من عادة الملوك تقابل وتقاتل فاوحى الله تعالى الى ابراهيم أن قل للنمروذ أن ينظر الى سائر المخلوقات و يختار أى جنس نرسله عليه فاختار البعوض لانه لا يأكل الاكلة واحدة و يموت فقال ابراهيم اجمع عساكرك من جميع الجهات وألبسهم الدروع والجواشن وتهيأ لهذا الجند الذى هو أضعف جنود الله اقوى فجمعهم النمروذ فكان مقدارهم مسيرة أربعة فراسخ قال العزيزى ان هذا الجمع كان بارض الكوفة فلما كان يوم الميعاد ظهر عسكر البعوض من البحر وسد ما بين الخافقين حتى حجب الشمس عن الابصار فامرها الله أن تنتشر على عساكر النمروذ وتأكلهم فصارت تأكل الدروع والجواشن والسلاح حتى وصلت الى لحومهم فاكلتها ولم يبق منهم غير العظام فهلكوا جميعهم ثم أرسل الله تعالى النمروذ بعوضة ضعيفة بجناح واحد وهى أصغر البعوض كله فدخلت فى أنفه وصعدت الى رأسه فانهزم وأخره الله تعالى ليعتبر وقيل انها مكثت فى رأسه أربعين سنة فكان يأمر غلمانه أن يضربوه بالنعال على رأسه فيجد بذلك راحة فلما طال عليه الامر ضربه أحد خدامه بساطور على رأسه فانفلق فخرجت تلك البعوضة وهى مثل العصفور تقول هذا جزاء عدو الله وذهبت وأهلك الله النمروذ وجنوده باضعف جنوده وعجل الله بروحه الى النار و بئس القرار * قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقد قيل فى المعنى

فلسان الكون عنه ناطق * أن هذا الملك لله الصمد
جل خلقا عن مثال سابق * وتعالى عن نظير وانفرد
* فاذا عاينتموا آياته * نزهوه عن شريك وولد

﴿ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام﴾ قال كعب الاحبار خرج ابراهيم عليه السلام فى طلب الاضياف فمر به ملك الموت فى صورة شيخ كبير فسلم على ابراهيم فرد عليه السلام وقال له من أنت قال أنا عابر

سبيل فاخذه بيده وأتى به الى منزله فلما رأته زوجته عرفت انه ملك الموت فبكت فلما دخل اسحق وجد أمه تبكي فبكى الآخر فلما وجدهما ملك الموت يبكيان خرج من المنزل ومضى فلما جاء ابراهيم ووجد الضيف قد مضى غضب على سارة واسحق وقال بكيتما في وجه ضيفي حتى مضى وكان لابراهيم بيت يتعبد فيه فدخله ابراهيم فوجد الضيف فيه فقال له ابراهيم من أدخلك بيتي من غير اذني فقال له الضيف لا تخدعني يا ابراهيم أنا ملك الموت فقال له ان كنت صادقا فارني آية تدل على انك ملك الموت فقال له حول وجهك عني فحول ثم التفت ابراهيم اليه فرآه على الصورة التي يقبض الله بها أرواح الانبياء والمؤمنين أى صورة حسنة منورة ثم قال لابراهيم حول وجهك عني فحول ثم عاد فنظره على الصورة التي يقبض بها أرواح المنافقين والكفار فعند ذلك غشي على ابراهيم فتركه ملك الموت وانصرف عنه مدة ثم ان ابراهيم خرج يوما لينظر ضيفا فرأى شيخا كبيرا فاخذه بيده وأدخله بيته وأحضر شيأ من العنب فجعل الشيخ يأخذ من العنب ويمج ويرمي جلد العنب وماؤه يسيل على لحيته فتعجب منه ابراهيم فقال له ابراهيم أيها الشيخ كم لك من العمر قال كذا وكذا سنة فاذا هو قدر عمر ابراهيم فعند ذلك قال ابراهيم اللهم اقبضني اليك حتى لا أصير الى الهرم فكان ابراهيم أول من تمنى الموت فلما دنا منه ملك الموت قال يانبي الله على أى حالة تحب اقبض روحك فقال ابراهيم وأنا ساجد لله تعالى فقبض روحه وهو ساجد وقد اختلف جماعة من العلماء في مدة حياة ابراهيم فمنهم من قال عاش مائة وخمسا وسبعين سنة ومنهم من قال مائتي سنة والله أعلم قال السدى ان سارة توفيت قبل ابراهيم بمدة طويلة وجاوزت من العمر مائة وسبعة وعشرين سنة فلما ماتت اشترى لها مغارة ودفنها فيها وهي بقرية حبرون من أرض كنعان ولما مات ابراهيم دفن في تلك المغارة

﴿ ذكر قصة اسحق عليه السلام ﴾ قال وهب بن منبه لما رزق ابراهيم بابنه اسمعيل من هاجر انكسر قلب سارة لانها لم ترزق ولدا وكان لها من العمر خمسة وثمانون سنة فبشرها الله باسحق بعد هذه المدة كما جاء في القرآن وان يكون من نسله ألف نبي فعند ذلك طاب قلب سارة بهذه البشارة قال السدى كان بين اسمعيل واسحق نحو ثلاثين سنة وكان اسحق شديد الغيرة وكان نبيا مرسلا قد بعثه الله الى قوم بالشام فلما كبر اسحق تزوج بامرأة من أرض حوران وهي ربقة بنت توبيل فلما دخل بها حملت منه بغلامين في بطن واحد وهما العيص ويعقوب قال السدى ان العيص تكلم في بطن أمه فسمعته فاخبرت أباه بذلك فقال لها ان سمعت فاعلميني فلما سمعت أعلمته فجعل اسحق أذنه عند سرة زوجته فسمع العيص يقول ليعقوب والله لئن خرجت قبلي لأخرقن بطن أمي وأقتلك فقال له اسحق يا مبارك ارع حق أمك ولا تخرق بطنها ولا تقتل أخاك فلما كان الوضع كان العيص يسابق يعقوب فخرج العيص أولا وتأخر يعقوب بعده فلذلك سمي العيص عيصا لانه عصا

أخاه عند الخروج لان يعقوب كان أكبر منه وأسبق فى الحمل وسمى يعقوب يعقوب لانه تعقب فى خروجه من بطن أمه فلما كبر كان العيص أحب الى أبيه وكان يعقوب أحب الى أمه فلما كبر اسحق فى العمر كف بصره فقال لولده العيص يا عيص ائتنى بكبش حتى أذبحه واجعله قربانا الى الله تعالى وأدعو لك دعوة فعسى ان تنفعك دعوتى ان شاء الله تعالى واجعل يدك عند يدى وقت الدعاء فسمعت زوجته ماقاله لابنها العيص فاخبرت ابنها يعقوب بذلك وقالت له اسبق أنت الى كبش وائت به الى أبيك والبس فروة مقلوبة لان العيص كان على بدنه شعر مثل شعر المعز فاذا لمسك أبوك يعلم أنك العيص ابنه فيدعو لك وتفوز بدعوته فعند ذلك أسرع بكبش والبس فروة مقلوبة وجاء الى أبيه وقدم له القربان مشويا فأكل منه اسحق وقال قدم يا بنى وهو يظن أنه العيص فتقدم يعقوب ولمسه أبوه فوجد الشعر فقال اسحق ان المس مس العيص والريح ريح يعقوب فقالت زوجته هو ابنك العيص فادع له فوضع كفه على كف يعقوب وقال اللهم اجعل من ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عند أبيه فجاء فى أثره العيص ومعه كبش مشوى فوضعه بين يدى أبيه فقال له من أنت قال أنا ابنك العيص فقال يا بنى قد سبقك بالدعوة أخوك يعقوب وفاز بها فعند ذلك غضب العيص وقال لاقتلن يعقوب فقال اسحق يا بنى لا تغضب قد بقى لك عندى دعوة فرفع يده وقال اللهم اجعل ذريته عدد الرمل والحصى ولم يملكهم أحد غيرهم فكان من نسله بنو الاصفر وهم ملوك الفرنج وكان العيص به صفرة زائدة فكان يسمى الاصفر وكان فى قلب العيص من أخيه يعقوب شئ فقالت أمه ليعقوب اذهب الى منزل خالتك بارض نجران واترك لاخيك أرض كنعان فانى أخشى عليك منه فسرى يعقوب هو وعمله تحت الليل فكان يسرى بالليل ويكمن بالنهار حتى وصل الى منزل خالته وكان اسمها اليان وكان لها بنتان فتزوج بواحدة منهما ثم تزوج بالاخرى وهى الصغيرة فرزق منها بيوسف وبنيامين وكان ذلك جائزا فى ذلك الزمان ولم يزل جائزا الى أن بعث موسى بن عمران عليه السلام فانزل الله عليه تحريم ذلك فرزق الله يعقوب من زوجتيه وغيرهما اثنى عشر ولدا فلما كبرا أولاده قصد الرجوع الى أرض كنعان فامر أولاده أن يسبقوه واذا وصلوا يدخلون ويسلمون على عمهم العيص ويقولون له نحن أولاد أخيك يعقوب وقصد بذلك الترفق والتودد لما جرى بينهما من الدعوة كما سبق فلما وصلوا ودخلوا وسلموا عليه وقالوا له ذلك فعند ذلك طاب قلبه على أخيه وزال ماعنده ورحب بهم وأحبهم حبا شديدا ولما قدم يعقوب بعد ذلك تلاطف باخيه العيص وأقام عنده مدة ثم ان العيص ترك أرض كنعان لاخيه يعقوب وأولاده ورحل الى بعض بلاد الشام فتزوج هناك بابنة عمه اسمعيل وكان اسمها نسمة فجاء منها عدة أولاد ذكور واناث فجاء من نسله الروم ولم يجئ من نسله نبى سوى أيوب عليه السلام وقيل ان القياصرة ملوك الروم من

أولاد العيص وكذلك ملوك بني الاصفر (قال) السدي ان اسحق عاش من العمر مائة وستين سنة ولما مات دفن بارض فلسطين ثم نقل بعد ذلك الى أبيه ابراهيم ولما مات العيص كان عمره مائة وعشرين سنة والله أعلم انتهى ما أوردناه على سبيل الاختصار

﴿ ذكر قصة لوط عليه السلام ﴾ قال وهب بن منبه هو لوط بن هاران بن تارخ ابن أخي ابراهيم قال السدي ان لوطا بعث في زمن ابراهيم الى قوم سدوم بارض غرورة زغر وكانوا أهل كفر يرتكبون الفاحشة فوقع بارضهم الغلاء فكانوا يدخرون الغلال و يطلبون بذلك الغلاء وكان الناس يقصدونهم من سائر الاقطار فجاء اليهم ابليس اللعين في صفة شيخ كبير فقال لهم اني رجل خبير باحوال الزمان فان كان عندكم شئ من الغلال فامسكوا أيديكم في بيعها فسوف يأتي على الناس مدة لا تنبت فيها حبة ولا تمطر السماء قطرة واذا جاءكم الناس ليشتروا منكم فلا تبيعوهم حتى تلوطوا بهم وان كانوا شيوخا أو صبيانا فكانوا يجلسون على الطريق ينتظرون من يمر بهم من المسافرين فيصيدونهم و يلوطون بهم (قال) الثعلبي ان أهل تلك القرية كان يسكن بعضهم بالجبال وبعضهم بالسهل وكانت الفرقة التي تسكن بالجبال وحشيين لم يجتمعوا بالفرقة التي تسكن السهل فاحتال عليهم ابليس ليجمع بينهما فاتخذ المزمار وزمر فلما سمع الجبليون صوت المزمار نزلوا من الجبل النساء والرجال فلما اجتمعوا بالسهل ورأى بعضهم بعضا افتتن الرجال بالرجال والنساء بالنساء فظهر من يومئذ اللواط والسحاق فكان كما يقال في المعنى

شغل المرد بالبدال وأضحى * نسوة الناس شغلهم بالسحاق

كل جنس بجنسه قد تكفى * قم فرارا من معشر الفساق

فلما تزايد بهم هذا الامر بعث الله لهم لوطا عليه السلام فنهاهم عن ذلك ودعاهم الى عبادة الله تعالى فلم يزدادوا الا عتوا وقالوا له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فعند ذلك قال رب انصرني على القوم المفسدين فاستجاب الله دعاءه و بعث الله اليهم أربعة من الملائكة على صورة مرد حسان قال قتادة ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوا قوم لوط حتى تشهدوا عليهم أربع شهادات فلما دخلوا على لوط قالوا نحن ضيوفك في هذه الليلة فانطلق بهم الى منزله وقال لهم أما علمتم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال انها شر قرية على وجه الارض وأخبرهم بامر قومه وما هم عليه من الفاحشة (قال) وكانت امرأة لوط اذا دخل الى منزلها ضيوف ترسل تعلم القوم بهم ولها أمارة وهي أن ترسل رسولها تطلب من جيرانها ملحا فيعلمون أن في منزل لوط أضيافا فيأتون اليهم فلما أخبرت امرأة لوط بالاضياف جاؤا اليهم فغلق لوط الباب في وجوههم وقال لهم اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي وخذوا واحدة من بناتي عوضا عن الاضياف فقالوا له لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلم يزل لوط يناجيهم

من خاف الباب حتى تسوروا عليه من الحائط وهجموا عليه وخاف على أضيافه فقالت له الملائكة انا رسل ربك لن يصلوا اليك الآية ان الله تعالى أذن لجبرائيل عليه السلام فضرب بجناحه وجوه القوم فطمس الله أعينهم فصاروا لايعرفون الطريق ولايهتدون الى بيوتهم قائلين ان لوطا أسحر من على وجه الارض فلما علم لوط ان الاضياف رسل ربه قال لهم أريد أن تهلكوهم فى هذه الساعة فقالوا ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب (قال) ابن عباس رضى الله عنهما ان الله مسخ امرأة لوط فصارت ملحا كما كانت تدل على الاضياف بطلب الملح ثم امر الله تعالى لوطا أن يسرى بعياله تحت الليل فلما خرج لوط من القوم أدخل جبرائيل جناحه تحت القرى واقتلعها من أصولها وكانت سبع قرى فى كل قرية مائة ألف انسان ما بين رجال ونساء وصبيان فرفعها بين السماء والارض حتى سمع أهل السماء صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم قلبها وجعل أعلاها أسفلها ثم اتبعهم بحجارة من سجيل فهلكوا أجمعين (وسئل) مجاهد هل بقى من قوم لوط أحد فقال نعم خرج منهم واحد الى مكة فبقى حجره معلقا بين السماء والارض أربعين يوما حتى خرج من مكة وسار فى أثناء الطريق فسقط عليه حجره فهلك فى الحال وقد عذب الله قوم لوط بعذاب لم يعذب به أحدا من الامم لاجل ارتكابهم الفاحشة العظيمة (قال) السدى توفى لوط فى زمن ابراهيم عليه السلام انتهى على سبيل الاختصار

﴿ ذكر قصة يعقوب وما وقع له من بنيه من جهة يوسف ﴾ قال الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص الآية قال وهب بن منبه لما خرج يعقوب من أرض كنعان هاربا من أخيه العيص أتى عند خالته وتزوج بابنتيها فجاء من راحيل وهى الصغيرة ولدان يوسف وبنيامين ولما وضعت راحيل يوسف كان يعقوب غائبا نحو الشام فنزل عليه جبريل وقال يا يعقوب ان الله تعالى وهبك ولدا لم يرزق مثله لاحد من الناس وقد أعطاه الله شطر الحسن ففرح بذلك ولما وصل من السفر ونظر الى يوسف فكان لايمل من النظر اليه فذبح ألف رأس من الغنم قربانا لاجل يوسف شكرا لله تعالى وفرقها على الفقراء والمساكين فلما كبر يوسف وصار له من العمر ست سنين ماتت أمه راحيل قال السدى الله تعالى قسم الحسن عشرة أجزاء فاعطى الناس جزأ واحدا وخص يوسف بالتسعة الاجزاء الباقية وقيل ان يوسف نظر الى وجهه يوما فى المرآة فاعجبه حسنه فقال فى سره لو كنت مملوكا ماقدر أحد على ثمنى فسلط الله عليه اخوته فباعوه بابخس ثمن قيل البخس الذى كان فى حق يوسف كان سبعة عشر درهما معدودة وهذا من آفة العجب (قال) السدى لما كبر يوسف وصار له من العمر اثنتا عشرة سنة رأى فى منامه أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين فقص رؤياه على ابيه وقال كما قال الله اخبارا عنه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال يابنى لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا الآية قال فلما بلغ اخوة يوسف ذلك حسدوه على

هذه الرؤيا وقالوا لا شك أن يوسف يصير مولانا فان الشمس أبونا والقمر أمنا والكواكب نحن قال السدى لما سمع اخوة يوسف هذه الرؤيا شابت لها رؤسهم مما حصل عندهم وكان يعقوب يميل الى يوسف من دون اخوته قال فاخذوا فى تدبير الحيلة فى هلاك يوسف فاجتمع رأيهم أن يدخلوا على أبيهم ويستأذنوه فى أخذ يوسف معهم الى الصيد وقالوا ان هو أبى عن ارساله معنا نقتله بين يديه ولا نوقره قال فدخلوا على أبيهم فى غير الوقت المعهود لزيارته وجلسوا بجانبه من غير اكرام له فقال لهم مالى أراكم مذعورين فقالوا له ان قلوبنا مشغولة لان أسدا عظيما هجم البارحة على أغنامنا وقتل منها ونحن الآن نريد أن نخرج اليه عصبة فارسل أخانا يوسف معنا نرتع ونلعب وانا له لحافظون وقال لهم أبوهم يعقوب انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون وقالوا كيف يأكله الذئب وفينا أخوه شمعون الذى اذا صاح صيحة تضع لها الحوامل وفينا أخوه يهوذا الذى اذا غضب يغضبه يشق الاسد نصفين ولما سمع يعقوب كلامهم قال لابنه يوسف اذا كان غدا امض مع اخوتك الى الصيد فقد أذنت لك بذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما انما قال يعقوب لاولاده وأخاف أن يأكله الذئب لانه رأى فى منامه كان يوسف على رأس جبل وحوله ذئاب قد أحدقوا به ليقتلوه واذا بذئب منهم قد جاء بخاصه منهم وكأن الارض قد انشقت ودخل فيها يوسف ولم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام انتهى ما رآه يعقوب فى المنام قال فلما دخل ميعاد يوسف الى الخروج للصيد لبس يوسف ثياب السفر وشد فى وسطه منطقة من الذهب وخرج مع اخوته وأخذوا معه كثيرا من الماء والزاد وركبوا خيولهم ويوسف بصحبتهم ثم ان يعقوب خرج معهم الى الصحراء ومشى معهم أربعين خطوة وودعهم وقبل يوسف بين عينيه وضمه الى صدره ثم رجع يعقوب الى منزله وندم على ارسال يوسف مع اخوته فلما بعدوا عن أرض كنعان وثب اخوة يوسف فمسكوه من أطواقه ولطموه على وجهه وعروه من ثيابه فصار عريانا فقال دعوا القميص على ليكون لى كفنا وهموا بقتله فترامى يوسف على أخيه يهوذا وكان أكبر اخوته فقال لهم يهوذا لا تقتلوا يوسف وارعوا حق أبيكم فلم يلتفتوا الى كلامه وقالوا لابد من قتله فقال يوسف اسقونى شربة من الماء قبل أن تقتلونى فامتنعوا من سقايته فتلاطف يهوذا بهم وأشار اليهم بان يرموه فى الجب فاجمعوا على أن يجعلوه فى الجب فكتفوا يديه ورجليه وأدلوه فى الجب فلما أنزلوه الى الجب بكت ملائكة السماء رحمة ليوسف ثم عمد أحد اخوته الى الحبل فقطعه بسكين قبل أن يصل يوسف الى قعر الجب فادركه جبريل فتلقاه ووضعه على صخرة قد رفعها الله من الجب * قال وهب بن منبه ان هذا الجب كان بارض الاردن وقيل كان بين مدائن مصر ومدائن أرض كنعان وهو على قارعة الطريق * قال السدى ان الذى حفر هذا الجب

هو سام بن نوح وسماه بيت الاحزان وكان من أسفله واسعا ومن أعلاه ضيقا وكان مظلما كثير الهوام وكان ماؤه مالحا وطوله نحو أربعمائة ذراع وكان فيه الماء على قدر قامة فلما نزل يوسف عذب ماؤه وقصدته بعض الافاعى فصاح بها جبريل فرجعت وطرشت وكل حية طرشى فهى من نسل تلك الحية قال قتادة وجاءه جبريل بقميص من الجنة فالبسه و بطعام وشراب فاطعمه وصار الجب روضة مورقة واتسع حتى صار مد البصر وقال جبريل لا تخف قد أتاك الفرج ثم بعد ليلة جاء اليه أخوه يهوذا ونادى يا يوسف هل أنت من جملة الاحياء أم من جملة الاموات فاجابه يوسف أنا من جملة الاحياء من فضل ربى فلما علم اخوته أنه حى عمدوا الى صخرة عظيمة وأرادوا أن يلقوها عليه فقال لهم يهوذا ان أنتم فعلتم ذلك أخبرت أباكم بفعلكم فتركوه وانصرفوا * قال السدى كان عمر يوسف لما ألقى فى الجب أربع عشرة سنة ولما رجعوا الى أبيهم عمدوا الى شاة وذبحوها واطخوا قميص يوسف بدمها وذلك قوله عز وجل وجاؤا على قميصه بدم كذب ثم انهم اصطادوا ذئبا واطخوا فمه بالدم وأوثقوه بحبل وأتوا الى أبيهم فوجدوه جالسا على قارعة الطريق فى انتظارهم لاجل يوسف فلما وصلوا اليه صرخوا وبكوا وقالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين فلما سمع يعقوب ذلك غشى عليه فلما أفاق قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم أحضر بين يديه ذلك الذئب الموثوق والقميص فقال تالله ما أشفق هذا الذئب الذى أكل ولدى ولم يمزق قميصه فامر باطلاق الذئب فاطلقوه فقال له ادن منى أيها الذئب فدنا منه فقال له أيها الذئب لم فجعتنى بابنى وأورثتنى حزنا طويلا قال يعقوب الهى انطق لى هذا الذئب فانطقه الله فقال يا نبى الله والذى اصطفاك نبيا ما أكلت له لحما ولا مزقت له جلدا ومالى به علم وانما أنا ذئب غريب أتيت من أرض مصر فى طلب أخ لى فقدته منذ أيام فلما رآنى أولادك اصطادونى واطخوا فى بالدم وأوثقونى وجاؤا بى اليك وقد حرم الله علينا لحوم الانبياء فقال له يعقوب وهل يوسف فى قيد الحياة فقال ما أنا بنمام ولا على الغيب بمطلع فعند ذلك أطلقه ودخل يعقوب خلوته وجعل يبكى وينتحب حتى ابيضت عيناه من كثرة البكاء فصار مثلا كما قيل

أحزان قلبى وبكائى حكت * أحزان يعقوب على يوسف

قال وكان يعقوب يجلس على قارعة الطريق ويبكى ويشتكى الى من يمر به من المسافرين فاوحى الله الله اليه لئن عدت تشتكو الى أحد من المخلوقين لامحونك من ديوان الانبياء فعند ذلك قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله ودخل بيت الاحزان ولزم الصبر * قال ابن عباس رضى الله عنهما كان سبب بلاء يعقوب بهذه الفرقة من ولده انه ذبح يوما شاة وشوى لحمها ففاحت منه رائحة فاجتاز بهم

سائل وكان جائعا فطلب منهم شيأ من ذلك اللحم الذى شووه فلم يطعموه شيأ وتغافلوا عنه فرجع من عندهم وهو مكسور الخاطر فلم يمض على يعقوب الاسبعة أيام حتى ابتلاه الله بفرقة ولده يوسف الذى كان أعز أولاده كما يقال فى المعنى

احرص على كسر القلوب فانها * مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

قال السدى لما أقام يوسف فى الجب ثلاثة أيام ففى اليوم الرابع جاءت من أرض مدين سيارة يريدون مصر فحادوا عن الطريق ونزلوا بالقرب من الجب الذى فيه يوسف فذهب بعض السيارة ليملأ من ذلك الجب فلما أدلى دلوه تعلق يوسف بالحبل فنظر صاحب الحبل فرأى يوسف فقال يابشرى هذا غلام وفرح به وأسره ليبيعه فذلك قوله تعالى وأسروه بضاعة ثم ان يهوذا أخا يوسف جاء الى الجب ومعه طعام الى يوسف فنادى من أعلى الجب يايوسف فلم يجده فعلم أن السيارة أخذته فتبعهم فوجدهم فى أثناء الطريق ومعهم يوسف قال وكان مالك بن دعر قد أرسل جماعة ليأتوه بالماء فالتقطوه من الجب فوصل معهم يهوذا واخوته الى مالك وقالا له هذا عبدنا أبق منا فلما سمع ذلك يوسف سكت خوفا فقال مالك أنا أشتريه منكم فاشتراه منهم بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين قيل ان الدراهم كانت سبعة عشر درهما وقيل كانت اثنين وعشرين درهما ثم ان يهوذا شرط على الذى اشتراه انه لا يبيت به فى تلك الارض وقالا له استوثق منه فانه هارب سارق ثم سارت القافلة نحو مصر وأركبوا يوسف على ناقة فلما مر يوسف بقبر أمه راحيل نزل من أعلى الناقة ومضى يزور قبر أمه فزاره قال فاستفقدوا يوسف فلم يجدوه على ظهر الناقة فصاحوا فى القافلة يايوسف فلم يجدوه فذهبوا فى طلبه فوجدوه عند قبر أمه فلطمه مالك أشد لطمة وقال لقد حذرنا منك مولاك الذى باعك فلم نصدق ولكن ان فعلت مثل ذلك تكون هالكا قال فلما دخل مالك بن دعر الى مصر ألبس يوسف أثوابا فاخرة فاجتمع الناس وازدحموا عليه لما رأوا من حسنه وجماله فعرضه للبيع فاشتراه قطفير عزيز مصر يعنى مدبر ملك مصر وكان الملك يومئذ بمصر الريان بن الوليد قيل لما اشتهر يوسف للبيع تزايد الناس فى ثمنه فدفعوا له أولا زنته فضة وزنته مسكا وزنته حريرا قال قتادة وكان وزن يوسف ذلك الوقت أربعمائة رطل فلما اشتراه قطفير أخذه ومضى به الى منزله فقال كما أخبر الله عز وجل لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكساه سبعين حلة من الملون وألبسه تاجا من الذهب مرصعا بانواع الجواهر وكان قطفير لا يصبر عن رؤيته ساعة واحدة قال وهب بن منبه أقام يوسف فى دار قطفير عزيز مصر سبع سنين حتى بلغ مبالغ الرجال فشغفت به زليخا امرأة العزيز قطفير وراودته عن نفسه * قال السدى ان قطفيرا كان عنينا لا يأتى النساء وكانت زليخا ذات حسن وجمال فلما تزايد بها الشغف بيوسف صبرت حتى ان يوسف دخل عليها

وهي في قصرها فقامت واغلقت سبعة أبواب القصر وقالت هيت لك أي هلم لما أدعوك اليه فقال يوسف معاذ الله أي أعوذ به مما تدعيني اليه ان زوجك سيدي وقد أحسن مثواي فلا أخونه في أهله فلا زالت به حتى هم بها وهمت به قال الله عز وجل ولقد همت به أي هم فعل وهم بها أي هم ترك لولا أن رأى برهان ربه قال بعض المفسرين ان يوسف لما هم زليخا تمثل له أبوه يعقوب وهو عاض على أصبعه وفي رواية انه رأى جبريل فنهاه عن ذلك وقال له ان فعلت ذلك محيت من ديوان الانبياء فعند ذلك خرج هاربا فوجد الابواب مغلقة فلما رجع همت به زليخا ثانيا وهم بها فاوحى الله الى جبريل ان أدرك عبدي يوسف قبل ان يقع في المعصية فهبط اليه جبريل فقال يا يوسف تعمل بعمل الخائنين وأنت مكتوب في ديوان المتقين فقام وبادر الى الباب هاربا ووقع له مثل ذلك ثالثا فولى هاربا وأنجاه الله كما قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فلما ولى هاربا في ثالث مرة أدركته زليخا عند الباب وتعلقت بقميصه فقدته من دبر ومنعته من الخروج فبينما هما كذلك واذا بقطفير قد دخل عليهما فرآها واقفة ويوسف بجانبها فبادرت هي بالكلام فقالت ما جزاء من أراد باهلك سوأ يعني زنا ثم انها خافت على يوسف من قطفير أن يقتله فقالت الا أن يسجن أو عذاب أليم أي يضرب بالسياط فلما سمع يوسف كلامها قال هي راودتني عن نفسي ففررت منها فادركتني فقدت قيصي فلما رأى قطفير هذه الواقعة تفكر فيماذا يصنع وصار ينظر الى زليخا مرة والى يوسف مرة وكان في القصر طفل صغير في المهد وعمره سبعة أيام وهو ابن داية زليخا فنادى باعلى صوته أيها العزيز ان لك عندي فرجا فانظر ان كان قيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قيصه قد من دبر عرف أن هذا من خيانة زوجته قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم التفت الى يوسف وقال له يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين قال الزمخشري كان قطفير رجلا حليما وكان قليل الغيرة على عياله وكان عنينالا يقرب النساء فلاجل ذلك لم يشدد عليها في هذه الواقعة وأيضا كان شيخا شنيع المنظر وعمره نحو مائة سنة فرأى زليخا معذورة لجمال يوسف وحسنه فكان لها عذر عنده وقد قيل في المعنى

تقول لي وهي غضبى من تدللها * وقد دعتني الى شيء فما كانا
كأن ايرك شمع في رخاوته * فكلما حركته نحوها لانا

قال بعض الحكما من أقام بارض بغداد سنة كاملة وجد زيادة في علمه ومن أقام بارض الموصل سنة كاملة وجد زيادة في عقله ومن أقام بارض حلب سنة كاملة وجد شحا في نفسه ومن أقام بارض دمشق سنة كاملة وجد في نفسه فظاظة وغلاظة ومن أقام بمصر سنة كاملة وجد في طبعه قلة الغيرة

وقيل في المعنى ما مصر الا منزل مستحسن * فاستوطنوه مشرقا ومغربا

هذا وان كنتم على سفر به * فتيمموا منه صعيدا طيبا

قال السدى لما اشتهرت زليخا امرأة العزيز بحب يوسف وشاع أمرها قال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا نراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن فحضر منهن جماعة كثيرة من نساء اوزراء والحجاب فاقعدتهن على المراتب الحسان واعطت كل واحدة منهن سكينا واترجة وصحفة فيها عسل وقالت لهن يحق عليكن اذا مر عليكن الفتى العبراني يعني يوسف فلتطعمه كل واحدة منكن لقمة من الاترج والعسل فقلن لها سمعا وطاعة ثم ان زليخا قالت ليوسف اعلم أنك ان خالفتني في جميع ماقلته لك فما هذا شأن العبودية والآن أريد أن أزينك باحسن الزينة وأخرجك على هذه النسوة اللاتي عندي ولا تخالفني فقال افعلي ما بدا لك فالبسته الحرير واللؤلؤ وتوجته بتاج من الذهب مرصعا بالجواهر وقالت له اخرج عليهن فخرج وهو مشرق بالنور أحسن من الولدان والحور فلما رأته النساء أكبرنه وقطعن أيديهن من الدهشة والنظر وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقالت لهن زليخا فذلكن الذي لمتنني فيه وقد قيل في المعنى

لما تبدى على العشاق مبتسما * وحارت الناس جهلا في معانيه

فقلت قول زليخا في عواذلها * فذلكن الذي لمتنني فيه

فلما اندهشت النسوة قطعن أيديهن بالسكاكين وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج وهن لا يشعرن بالمهن فلما رجعت النسوة الى بيوتهن صرن لا يصبرن عن رؤية يوسف ساعة واحدة وهن متفكرات بيوسف وهن يقلن يوسف يوسف وأزواجهن يضربونهن بالسياط فلا يبالين به * قال وهب بن منبه كان عدة النسوة اللاتي افتتن بيوسف أربعين امرأة فمات منهن تسع نسوة وجدا بيوسف قال لما خرج يوسف على النسوة قلن له أطع مولاتك فيما تقول لك فقالت زليخا ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فلما رأى يوسف ان زليخا لا ترجع عنه قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن الآية فلما شاع أمر زليخا في المدينة خشي العزيز على نفسه من كلام الناس فامر بسجن يوسف فسجن * قال السدى لما توجهوا بيوسف الى السجن قيدوه وأركبوه حمارا ونودي عليه في الاسواق هذا جزاء من يخون سيده و يوسف يقول السجن أحب الي مما يدعونني اليه فلما حبس يوسف كانت زليخا لا تهجع ولا تصبر ولا تنام ليلا ولا نهارا ولا تأكل ولا تشرب حتى نحل جسمها وصارت مثل العود البالي فلما طال الامر على زليخا أخذت في أسباب التسلي فكانت

تقول لنفسها اذا كان هذا شابا صغيرا فزع من المعصية وخاف من ربه أن يعصيه واختار السجن فكيف وأنا امرأة كبيرة لا أخشى من المعصية فكانت تتسلى بعض التسلي بمثل ذلك * وأما يوسف لما سجن صار يتأنس بالمسجونين ويتحدث معهم وكان جبريل يأتيه في كل شهر يزوره ويبشره بانه سيصير ملكا ثم جاء مرة ومعه ياقوتة من يواقيت الجنة وقال له يا يوسف ابتلع هذه الياقوتة فابتلعها فكانت علامة لتعبير الرؤيا * قال السدى لما كان يوسف في الجب كان جبريل يأتي اليه في كل يوم مرة ويؤنسه في الكلام ولما كان في السجن كان جبريل يأتي اليه في كل شهر مرة فقال يوسف الهي لقد كنت في الجب في راحة وأنا في السجن في تعب وبكاء فأوحى الله اليه يا يوسف الجب كان باختياري والسجن باختيارك حيث تقول رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه * قال السدى ان الملك الريان كان من العماقة وقد انفرد بملك مصر دون غيره وكان له عدو بارض اليمن فبعث ذلك العدو الى ساقي الملك الريان والى طباخه سما قاتلا وبعث صحبة السم مالا جزيلا وقال لهما ان أتما دستما السم على الملك الريان ومات فلكما عندى مال كثيرا أضعاف ما أرسلت اليكما فاخذ الساقي والطباخ في أن يسما الملك رغبة فيما وعدهما به عدو الملك وأراد كل منهما أن يتلف صاحبه ليفوز بقتل الملك لاجل المال فجاء الساقي الى الملك الريان وقال له اياك من الطباخ فانه وضع لك السم في طعامك ثم انه جاء الطباخ بعده وقال له اياك من الساقي فانه وضع لك السم في الماء فعلم الملك أنهما خائنان فقبض عليهما وعاقبهما فاقراله بصدق الحال وما صار فامر بسجنهما فلما دخلا السجن كانا يجلسان بجانب يوسف ويتحدثان معه فقال الساقي انى رأيت في المنام في هذه الليلة ثلاث طاسات من الذهب وفي كل طاسة عنقود من العنب وكأنى أعصر من العنب خمرا وأسقيه الملك مرة بعد مرة ثم قال له الطباخ بعد ذلك وأنا رأيت في منامي الليلة كانى لي ثلاث تنانير مملوءة بالنار وكانى خبزت خبزا ووضعته في طبق وحملته على رأسي والطير تأكل منه فكان الساقي صادقا في منامه وكان مؤمنا وكان الطباخ كاذبا في منامه وكان كافرا مستهزئا بيوسف فقال لهما يوسف ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا ومعنى ربه أى سيده وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه فلما سمع الطباخ ذلك قال انى لم أر شيأ فقال يوسف قضى الامر الذى فيه تستفتيان ثم بعد ثلاثة أيام أمر الملك باخراج الطباخ فلما أخرج صلبه فتناهشت الطيور من رأسه كما أخبر يوسف ثم بعد ذلك أمر باخراج الساقي فلما خرج خلع عليه وأعاده لما كان عليه قال لما خرج الساقي قال له يوسف اذكرني عند ربك وقل له ان في السجن غلاما محبوسا ظلما من غير ذنب فلما خرج الساقي نسي قول يوسف * قال وهب بن منبه ان يوسف لبث في السجن ست سنين بعد حروف اذكرني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لولا الكلمة التي قالها مالبث في السجن بضع سنين قال

لما لبث بضع سنين جاء اليه جبريل وقال له يا يوسف قد قرب الفرج من الله تعالى وذلك ان الملك الريان يرى مناما ولم يقدر أحد من الناس على تفسيره ويكون ذلك سببا لخروجك من السجن ثم بعد أيام رأى الملك الريان فى منامه كان بحر النيل قد غار فى الارض وطلع منه سبع بقرات سمان ثم طلع بعد سبع بقرات عجاف أى ناحلات ضعيفات أ كان تلك البقرات السمان ثم طلع من بعد ذلك سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات صفر ثم ان السنبلات الصفر التفت بالسنبلات الخضر فايبستها فى الحال فانتبه من منامه مرعوبا وأمر باحضار المفسرين وقص عليهم رؤياه فلما سمعوا ذلك قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين فلما نام ثانى ليلة وأصبح نسى ما كان قد رآه فضاق صدره وأحضر المعبرين وقال لهم هل تذكرتم شيأ مما كنت قد قصصته عليكم بالامس من تلك الرؤيا فقالوا كلهم قد نسيناها وهذه الرؤيا أضغاث أحلام فغضب الملك على المعبرين وأمر باسقاط ما كان لهم من الرواتب فى ديوانه ثم ان الساقى تذكر ما قاله يوسف فجاء الى الملك وسجد بين يديه وقال هل يأذن لى الملك فى تعبير هذه الرؤيا فقال الملك يا هذا قد عجز عن تعبير الرؤيا المعبرون فكيف تقدر أنت على تعبيرها فقال الساقى ان فى السجن غلاما من أولاد يعقوب هو أعلم بتعبير هذه الرؤيا فأمره الملك بالتوجه الى يوسف فمضى الساقى الى السجن ودخل على يوسف وقبل رأسه واعتذر اليه وقال له والله ياسيدى قد نسيتك هذه المدة ولم أذكرك الا فى هذا اليوم وهو أن الملك رأى فى منامه رؤيا قد عجز عن تفسيرها المعبرون ثم ان الملك نسى ما قد رآه من تلك الرؤيا فقال له يوسف ان الملك رأى ما هو كذا وكذا فذهب الساقى وأخبر الملك بما قاله فتعجب الملك من ذلك وأمر باحضاره وهو قوله تعالى وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى الآية ثم ان الملك أرسل فرسا وخلعة وتاجا وأمر الوزراء والحجاب بان يمضوا الى السجن ويمشوا بين يدى يوسف فلما أتوا الى يوسف وأرادوا أن يخرجوه أبى يوسف أن يخرج وقال لا أخرج حتى تظهر براءتى بين الناس ثم قال للوزراء والامراء ارجعوا الى الملك فاسألوه ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن بالسكاكين فلما رجع الرسول وأخبر الملك بما قاله يوسف فعند ذلك أحضر الملك امرأة العزيز قطفير والنسوة اللاتى قطعن أيديهن وسألهن فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما عرف الملك براءة يوسف زاد فى تعظيمه ثم ان يوسف لما أراد أن يخرج من السجن بكى أهل السجن كآبة لفراقه فدعا لهم عندما خرج ثلاث دعوات مستجابات فقال اللهم عطف على المسجونين قلوب العباد اللهم ادفع عنهم شدة الحر والبرد اللهم آتهم بالاخبار فى كل يوم من سائر البلاد ثم كتب على باب السجن هذا قبر الاحياء ثم ان يوسف اغتسل ولبس الثياب التى أهديت له من الملك الريان وركب ومشت بين يديه الوزراء والامراء والحجاب وسار فى موكب عظيم حتى وصل الى قصر الملك فدخل

عليه وسلم بالعربية عليه فقال الملك ماهذا اللسان فقال هذا لسان عمنا اسمعيل بن ابراهيم خليل الله
* قال وهب بن منبه كان الملك الريان يتكلم بسبعة ألسن فكان كلما تكلم بلسان أجابه يوسف به
ثم ان الملك أجلس يوسف بجانبه وقال له من أنت قال أنا يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
خليل الله ونحن من أرض كنعان فقال من أدخلك السجن قال زليخا امرأة العزيز لاجل انى
لم أطاوعها على الزنا فأعجب الملك كلامه وحسن وجهه وكان ليوسف لما خرج من السجن نحو اثنين
سنة ثم ان الملك قال ليوسف قد رأيت فى المنام رؤيا ونسيتها فقال له يوسف أيها الملك لقد رأيت سبع
بقرات سمان طلعت من البحر ثم طلع بعدها سبع بقرات عجاف فافترسن تلك البقرات السمان
ومزقن جلودهن ورأيت سبع سنبلات خضر مثمرات وسبع سنبلات صفر يابسات غير مثمرات
التفت على تلك السنبلات الخضر وصارت أصولها فى الماء فهذا ما رأيته ثم انتبهت من منامك فقال
الملك انها هى الرؤيا التى رأيتها بعينها فمن أخبرك بذلك فقال أخبرنى بها جبرائيل رسول رب العالمين
وقال له الملك وما ترى فى هذه الرؤيا أيها الصديق فقال له يوسف تأتيكم سبع سنين مخصبة ثم يأتيكم
من بعدها سبع سنين مجدبة فقال له الملك وما التدبير فى ذلك فقال يوسف ازرعوا زرعا كثيرا فى
السنين المخصبة ثم احصدوه وذروه فى سنبله وقصبه وكذلك جميع الحبوب وابنوا له مخازن كبارا
فيكون القصب علفا للدواب والحب قوتا للناس قال الملك ومن يتولى هذا التدبير كله قال يوسف للملك
اجعلنى على خزائن الارض أى مصر انى حفيظ عليم ثم ان الملك عزل قطفير وكان شيخا كبيرا وولى
يوسف عوضا عنه وعاش قطفير بعد عزله شهرا ومات فلما تولى يوسف على مصر عدل فى الاحكام
وخضع له الجميع من الخاص والعام فكان يركب فى كل سبعة أيام مرة وفى خدمته الامراء والوزراء
والحجاب وكان يركب معه من العسكر نحو الالف غير المشاة وقد قال تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى
الارض أى فى أرض مصر وقد قيل فى المعنى

وراء مضيق الخوف متسع الامن * وأول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا * خزائنه بعد الخروج من السجن

قال السدى لما جلس يوسف على سرير الملك فوض اليه الملك الريان أمر الديار المصرية شرقا وغربا
فلما تم أمر يوسف فى الحكم أوحى الله اليه بان يجعل ذلك الطفل الذى شهد له وهو فى المهد بالبراءة
وزيرا ولا يضيع شهادته له فاتخذه وزيرا وألبسه خلعة وأركبه فرسا ونودى عليه فى الاسواق هذا جزاء
من شهد بالحق ثم ان يوسف الصديق جد واجتهد فى أمر الزرع زيادة عن العادة وبنى يوسف المخازن
وسماها الاهرام وخزن بها الغلات وآثار تلك المخازن باقية الى الآن فى جهات الفيوم وغيرها من البلاد
واستمر على خزن الغلال فى قصبها وسنبلها سبع سنين وهى السنين المخصبة فلما مضت ودخلت

السنين المجدبة والعياذ بالله وقع الغلاء والقحط واشتد البلاء بالناس قال فلما دخلت السنين المجدبة أول من جاع الملك الريان فانتبه من منامه نصف الليل وهو يصيح الجوع الجوع فاتاه الطباخ بالمائدة فقال له الملك الريان من أعلمك بانى جائع حتى جئتنى بطعام من غير أن يعلمك أحد بى فقال أعلمنى بذلك يوسف فلما أكل وفرغ جاع فى الحال وذلك حكمة من الله تعالى واذا وقع القحط والغلاء فالنفس دائما تأكل ولا تشبع قال فمس يوسف الصديق بيده بطن الملك الريان فاذهب الله تعالى عنه الجوع * قال وأما أهل مصر فكانوا يأكلون ولا يشبعون فباعهم يوسف الصديق القمح فى أول سنة بالذهب والفضة والنحاس حتى لم يبق شئ من ذلك ثم انه فى السنة الثانية باعهم القمح بالجواهر والحلى ثم باعهم فى السنة الثالثة بالمواشى والدواب حتى لم يبق لاحد شئ ثم باعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والجوارى حتى لم يبق شئ وفى السنة الخامسة بالضياع والاملاك حتى لم يبق لاحد شئ ثم باعهم فى السنة السادسة بالاولاد والنساء حتى لم يبق شئ ثم باعهم فى السنة السابعة بالنفوس جميعا حتى لم يبق فى مصر كبير ولا صغير من رجل أو امرأة الا وصار وا فى رق يوسف فعند ذلك اجتمع يوسف بالملك الريان وقال له انى أشهدك أنى اعتقت جميع ما صار الى بالرق من أهل مصر ورددت عليهم أموالهم وضياعهم وأملاكهم جميعا * قال السدى ان يوسف الصديق كان لا يشبع بطنه فى تلك الايام وكان يقول أخاف ان شبعت أنسى الجائع وكان يأمر طباخه أن يؤخر غداءه الى نصف النهار * قال الكسائى لما كان أواخر السنة السابعة من سنى القحط فرغ القمح من عند يوسف الصديق والغلال فكان الناس اذا نظروا الى وجهه يشبعون برؤية وجهه فكانوا يقصدونه بكرة وعشيا لرؤيته فتغنيهم عن الزاد بقية العام السابع حتى أدرك الزرع فاكتفوا عنه قال السدى لما وقع القحط بمصر جاءت زليخا الى يوسف ومعها خادم يقودها فانها عميت وطرشت وافتقرت وذهب جمالها فلما أقبلت على يوسف عرفها فقال لها أنت زليخا قالت نعم قال لها فاين حسنك وجمالك قالت قد ذهب ذلك كله ولم يبق منه شئ فقال لها يا يوسف كيف حال محبتك فقالت باقية لم تتغير ولم أجد لطعم العمى والفقر ألما من كثرة الشغف بك وقيل ان زليخا وقفت ليوسف وهو سائر فى موكبه فنادته سبحان من جعل العبيد ملوكا بطاعتهم وجعل الملوك عبيدا بمعصيتهم فقال يوسف لغلمانه انطلقوا بهذه العجوز الى الدار فانطلقوا بها فقال لها ماتريدين منى واذا بجبريل عليه السلام يقول يا يوسف ان الله تعالى يأمرك أن تتزوج بزليخا فقال له يوسف كيف أتزوج بها وهى عجوز عمياء فقال له جبريل ان الله تعالى يرد عليها بصرها وجمالها فعند ذلك تزوج بها يوسف وأسلمت على يده ورد الله لها حسنها وجمالها وبصرها فعادت أحسن ما كانت عليه فوجدها بكرا ثم ان زليخا قعدت مع يوسف الصديق أربعين سنة ورزق منها بولدين وهما أفرائم ومنشا * قال ولما وصل الغلاء والقحط الى أرض كنعان

قال يعقوب لاولاده اذهبوا الى مصر واشتروا الطعام الامن صاحب مصر فتجهزوا اسير وأخذوا معهم بضائع يتجرون بها مثل عسل وزيت وصابون وغير ذلك فلما دخلوا مصر ودخلوا الى دار العزيز طلعوا الى القصر الذى فيه يوسف فرأوه وعلى رأسه ألف غلام و بأيديهم أعمدة الذهب وكان يوسف اذا جلس فى موكبه يضع على وجهه برقعا مكللا بانواع الجواهر فلما وقفوا بين يديه عرفهم وهم له منكرون قال يوسف للترجمان سلهم من أين هؤلاء فقالوا له من أرض كنعان أولاد يعقوب فقال يوسف قل لهم كم أنتم فقالوا اثنا عشر وقد ذهب واحد منا ولم نعلم له أثرا فقال يوسف لحاجبه ارفعهم الى دار الضيافة فأقاموا بها ثلاثة أيام لم يأذن لهم بالانصراف ولم يعطهم شيأ فقال لهم يهوذا قد عاقنا الملك ومن خلفنا أكباد جائعة وعيال ضائعة فدخل الحاجب على يوسف وأخبره بما قال يهوذا فقال يوسف قل لهم يأتونى بأخيهم من أبيهم وكتاب من أبيهم يشهد لهم بانهم أولاده والا فلا كيل لهم عندى ولا يقربون * قال السدى ان يوسف أوفى الكيل وأعطاهم الثمن الذى أخذه من ثمن الغلال ووضعه فى رحالهم ثم قال لهم دعوا بعضكم يكون عندى رهينة حتى تأتونى بأخ لكم من أبيكم فلما سمعوا ذلك قالوا من يقعد منا رهينة فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة أخاهم شمعون فتركوه عند العزيز ورجعوا الى بلادهم فلما وصلوا الى أبيهم قالوا يا أبانا اقدمنا على ملك مصر فاكرمنا وأوفى لنا الكيل وأخبروه برهن أخيهم شمعون عند الملك حتى نأتيه بأخ لنا من أبينا فارسله معنا فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل قال ولما فتحوا متاعهم وجدوا ثمن الغلال الذى أعطوه ليوسف رجع اليهم فقالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا فارسل معنا أخانا بنيامين فقال لهم أبوهم لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به فلما آتوه موثقهم فعند ذلك قال يعقوب الله على ما نقول وكيل والموثق اليمين قال السدى لما أرادوا أن يتوجهوا الى مصر قال لهم يعقوب يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة * قال قتادة ان يعقوب خشى على أولاده من العين لانهم كانوا من ذوى الحسن والجمال ملاح الهيآت فامرهم أن يدخلوا متفرقين قال فلما دخلوا مصر من حيث أمرهم أبوهم ثم اجتمعوا فدخلوا على يوسف وهو جالس على سرير فى قصره وقالوا أيها العزيز هاهو الطفل الذى أمرتنا أن نأتيك به فقال لقد أحسنتم وأصبتم ثم انه أمر بالموائد فحضرت فاجلس كل اثنين من أم على مائدة فتبقى بنيامين وحيدا فبكى فقال له الملك لاى شئ تبكى فقال لو كان أخى يوسف حيا لجلست معه فقال له الملك عند ذلك اذا كنت وحيدا فانا أحق بك وأنزلك عندى فى هذا القصر وآكل معك فلما انصرفوا وبقى بنيامين عند الملك قال له لا تخف وكشف يوسف البرقع عن وجهه وقال له أنا أخوك فلا تبتئس أى لا تخف فعند ذلك تعانقا وتباكيا ثم قال له سأحتال على أخذك من اخوتك ثم ان

يوسف وفى لاخوته الكيل وجعل سقايته فى رحل أخيه بنيامين كما أخبر الله تعالى فى القرآن العظيم
* قال كعب الاحبار ان السقاية كانت مشربة من ذهب مرصعة بالجواهر واليواقيت وقيل انها من
زمرذ الاخضر فلما قصدوا أن يرحلوا بلادهم أشاع الملك ذهاب السقاية واتهمهم بها فقال لهم
الحاجب ألم يحسن الملك اليكم ألم يكرمكم قالوا بلى قال وكيف تأخذون سقايته وقد فقدت من حين
دخلتم عليه ولم يمكن أن يسرقها أحد غيركم قالوا تالله ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين
فقال لهم الحاجب فما جزاء من أخذها منكم ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله أن يقيم
عند المسروق منه سنة كاملة فى الاسر وكان ذلك جائزا فى شريعة يعقوب فقال الحاجب لا بد أن
نفتش الرحال فاتوا بها عند يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ففتشها فلم يجد بها شيأ فلم يبق الا وعاء
بنيامين الصغير فقال يوسف هذا غلام صغير وما أظنه يسرق ولا يأخذ شيأ قالت اخوته والله لا يترك
رحله بلا تفتيش حتى يطيب خاطرك علينا فلما فتشوه وجدوا فى رحله السقاية فنكس رأسه وأظهر
الحياء فاقبل أولاد يعقوب على أخيهم بنيامين ووبخوه بالكلام وقالوا يا أولاد راحيل لا يزال لنا
منكم البلاء والعناء ثم قالوا ليوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فاسرها يوسف فى نفسه
ولم يبدها لهم * قال السدى اختلف جماعة من العلماء فى سرقة يوسف التى عيره بها اخوته فقالوا
انه أخذ يوما بيضة من بيت عمته وأعطاها السائل كان واقفا على بابها قال قتادة ان يوسف كان
قد أخذ صنما من الذهب كان لجده أبى أمه وألقاه فى بئر انتهى * قال فلما ظهرت السقاية أحضرها
يوسف بين يديه وضربها بقضيب كان معه ثم أدنى أذنيه منها فقال انها تخبر فى خبر عجيب بانكم كنتم
اثنى عشر ولدا ليعقوب وانكم انطلقتم باخيكم فبعتموه بثمن بخس فلما سمع بنيامين قام ودعا الملك
وقال أيها الملك استخبر الصواع هل يوسف حى أم لا فضربه وأصغى باذنه وقال انه حى يرزق وسوف
يظهر ثم قال الملك امضوا الى أبيكم واتركوا أخاكم عندى سنة كما هو شرعكم فقالوا أيها الملك ان له
أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا
عنده * قال كبيرهم يعنى شمعون ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله فكيف نلقى وجه
أبينا بغير أخينا وقد اخترت أن أقيم بمصر حتى يحكم الله برد أخى وهو خير الحاكمين ارجعوا الى أبيكم
فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين فلما رجعوا الى أبيهم
يعقوب وأخبروه بما جرى لابنه بنيامين بكى وقال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله
المستعان على ما تصفون ثم ان يعقوب دخل على بيت الاحزان وجدد حزنه على يوسف وأخيه * قال
السدى وانما ألهم الله يعقوب بتسمية ابنه يوسف واسم يوسف مشتق من الاسف لما سبق فى علمه
من الازل بما جرى ليعقوب فلم يزل يعقوب يبكى حتى نشفت دموعه وجرى الدم من عينيه وابيضت

عيناه من كثرة البكاء وقيل في المعنى

لا بد للاحباب من فرقة * وكل مصحوب وأصحابه
فمن يمت يفقده من نفسه * ومن يعش يرزأ باحبابه

(قال) السدى كان زمن الفرقة بينه و بين ابنه يوسف سبعين سنة وفى هذه المدة لم يسله ساعة فقال له أولاده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين قال قتادة بينما يعقوب جالس ببيت الاحزان اذ هبط عليه جبرائيل وقال له ان الله يقرئك السلام و يقول لك ان ابنك حى يرزق وقد صار عزيز مصر فان شئت ناده بصوتك من مكان محرابك فان الريح تحمل صوتك اليه و يروى أن ملك الموت استأذن ربه فى زيارة يعقوب فاذن له فزاره فقال له يعقوب ياملك الموت بالله عليك هل قبضت روح يوسف فقال لا والذى اصطفاك بالحق نبيا ماقبضت روحه وهو حى يرزق وقد قرب الفرج فعند ذلك طابت نفس يعقوب وسكن مابه قليلا قال وكان سبب بلاء يعقوب انه ذبح بقرة ولها عجل مرضع بين يديها فلم يرحمها ولم يرحمه فجعل العجل يصيح كل يوم على أمه ثم ان يعقوب كتب كتابا مضمونه من يعقوب نبى الله ابن اسحق الذبيح ابن ابراهيم خليل الله أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء أما أبى اسحق فوضعت السكين على حلقه وأما جدى ابراهيم فوضع فى المنجنيق وألقى فى النار وأما أنا فكان لى ولد يسمى يوسف وكان أحب أولادى الى فذهب مع اخوته فاتوا بقميصه ملطخا بالدم وقالوا ان الذئب أكله فبكيت عليه منذ ثلاث وخمسين سنة حتى ابيضت عيناى وأما ابنى بنيامين فقلت انك وجدت سقايتك فى رحله وحزنه عندك فنحن من أهل بيت لا نسرق ولا نولد من يسرق فارحم ترحم واردد على ولدى فان فعلت ذلك فالله يجزيك خيرا وان لم تفعل ذلك دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك وقال يعقوب خذوا الكتاب واذهبوا به الى عزيز مصر عسى الله أن يأتينى بهم جميعا فلما ذهبوا بالكتاب وأتوا به الى يوسف أخذه يوسف ودخل بيته وقبله وقرأه و بكى وقال لاولاده هذا كتاب جدكم ثم ان يوسف خرج وجلس على سرير ملكه وأحضر أولاد يعقوب بين يديه وقال لهم قد عفوت عن أخيكم بنيامين فما قصدكم غير ذلك قالوا أوف لنا الكيل وتصدق علينا فقد مسنا وأهلنا الضر انا نراك من المحسنين فعند ذلك رفع البرقع عن وجهه وقال لهم هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون فقالوا أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا وجمع بيننا ثم قصد أن يؤكد المعرفة بذكر المنام السابق ومافعلوه فذكرها * قال السدى كان على خد يوسف خال أسود وفى وجهه شامة بيضاء تتلألأ بالنور فعند ذلك تحققوا أنه يوسف ثم انه سألهم عن أبيه فقالوا له قد ابيضت عيناه ونحل جسده ثم ان يوسف أعطاهم قميصه الذى كان أتاه به جبريل وهو فى الجب وكان من الجنة فقال اذهبوا بقميصى هذا

فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وائتوني بأهلكم أجمعين فقال يهوذا أنا أذهب بالقميص وأفرحه بيوسف كما أني أعطيته القميص الملطخ بالدم وقد أحزنته عليه ثم ان يهوذا توجه من أرض مصر الى كنعان في سبعة أيام وأرسل معه مائتي جمل محملة من الزاد والقماش وكان وصول يهوذا يوم الجمعة وكان يهوذا يحث السير قال كعب الاحبار ان ريح الصبا استأذنت ربها بان تأتي الى يعقوب بريح يوسف قبل أن تأتيه البشرى بالقميص فقال يعقوب لمن حوله اني لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون أي تستهزؤن بي قال مجاهد في تفسير هذه الآية فمن يومئذ ريح الصبا ذاهب على عليل يجد له بها راحة واذا هبت على محزون تنفس عنه الكرب قال السدى فلما جاء يهوذا بالقميص الى يعقوب وألقاه على وجهه فارتد بصيرا وعادت اليه الشبوبة وذهب عنه الحزن والبكاء وعادت اليه القوة والنشاط بعد ما قاسى الشدائد وأنشد في المعنى

جاء البشير مبشرا بقدومه * فلثمت من قول البشير سرورا
والله لو قنع البشير بمهجتي * لوهبتها ورأيت ذاك يسيرا
فكأنني يعقوب من فرحي به * قد عاد من شم القميص بصيرا

فعند ذلك قال يعقوب ألم أقل لكم اني أعلم من الله مالا تعلمون فقال له أولاده يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين فقال لهم يعقوب سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم * قال قتادة ان يعقوب أخر الدعاء لاولاده الى ليلة الجمعة وقت السحر لان الدعاء فيه لا يرد ثم ان يعقوب عليه السلام أخذ أولاده وعياله وتوجه الى مصر فلما وصل نزل بمدينة بلبيس وكانت مدينة كبيرة عامرة وقد ذكرها الله في التوراة وسماها أرض جاشان فلما بلغ يوسف قدوم أبيه خرج اليه هو والملك الريان وخرجت أمامهما العساكر والوزراء والامراء وكان عسكره نحو أربعمائة ألف انسان فلما التقى بين يوسف ويعقوب مقدار فرسخ كشف الله عن بصره فرأى يوسف في وسط العسكر كالأسد الضارى ثم تلاقى يوسف مع أبيه على التل المعروف بالعكرشا بعد أن نزل عن المطى وكذلك الملك الريان نزل عن فرسه فترجلت العساكر كلهم أجمعون فتعانق يوسف مع أبيه وبكيا حتى غشى عليهما فلما أفاقا قال له أنت يا أبي كيف بكيت على وأذهبت نفسك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى ولكنني كنت أخشى أن تسلب من دينك مما قاسيت فيحال بيني وبينك * وقيل لما تلاقيا قال له يعقوب يا يوسف على أي دين أنت قال يا أبت على دين ابراهيم عليه السلام ففرح يعقوب بذلك * قال وهب بن منبه لما دخل يعقوب مصر كان معه من أولاده وأولاد أولاده اثنان وسبعون انسانا رجالا ونساء فما زالوا في مصر ينمون ويتناسلون الى أيام موسى عليه السلام فلما خرج موسى من مصر فارا من فرعون كان معه من الطائفة بني اسرائيل ستمائة ألف وخمسمائة وسبعة وسبعون رجلا غير النساء

والاطفال فكان جملتهم قاطبة ألف ألف ومائة ألف انسان * قال السدى لما دخل يعقوب الى مصر مشى العسكر بين يديه فرسخا حتى وصل الى داره فلما وصل الى القصر ودخل رفع يوسف أبويه أى أباه وخالته ولما كانت أخت أمه لها عليه تربية سميت أمه لاجل ذلك رفعهما على سريره وأمر العسكر أن يسجدوا لهما وكان ذلك عادة أهل مصر فى التحية * قال يوسف لابيه يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا * فاوحى الله الى يعقوب لم قلت أخاف أن يأكله الذئب ولم تفوض الامر الى فلذلك فرقت بينكما ولما اجتمع يوسف بابيه أقاموا فى مصر فى أرغد عيش أربعا وعشرين سنة فبينما هم على ذلك اذ هبط جبرائيل على يعقوب وقال له يا يعقوب قد اشتاقت اليك أرواح آبائك وقد قرب الوقت بانقضاء أجلك فكره يعقوب أن يخبر يوسف بذلك بل قال يا بنى أريد أن أزور قبور آبائى ببيت المقدس فاذن له فى ذلك فخرج من مصر وخرج معه ابنه يوسف لوداعه فى العسكر ورجع هو والعسكر وأرباب الدولة * قال السدى لما أراد يعقوب أن يخرج من مصر جمع أولاده بين يديه وقال لهم ما تعبدون قالوا لا نعبد الا الله * قال العزيزى أقام يوسف بمصر بعد موت أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما دنا أجله أتاه ملك الموت وهو يريد أن يركب على فرسه فلما وضع رجله فى الركاب قال له ملك الموت اخرج رجلك من الركاب فهذا وقت الانقلاب فلما أيقن يوسف بالموت قال لاخوته لا تقيموا من بعدى فى أرض مصر فانها دار الفراعنة ومسكن الجبابرة * قال السدى لما توفى يوسف جعلوه فى حوض من رخام أبيض ودفنوه فى احدى جانبى النيل فى الفيوم فاخصب ذلك الجانب دون الآخر فنقلوه الى الجانب الآخر فاخصب دون الآخر فلما رأوا ذلك جعلوا ذلك الحوض فى وسط النيل بين عمودين من الصوان وجعلوا الحوض فى سلسلة من حديد وسمروها بسكك من حديد فى تلك الاعمدة فلما صنعوا ذلك أخصب الجانبان من النيل جميعا قال العزيزى توفى يوسف وله من العمر مائة وعشرون سنة وقد مات قبل زليخا بمدة يسيرة ودفنت بمصر ولم يعلم مكان قبرها فكان كما يقال

محبتى لا تنقضى * بسلوة تبطلها كلها دائرة * آخرها أولها

(قال) السدى اختلف جماعة من العلماء فى نبوة اخوة يوسف فنهم من قال ما كان فيهم نبى سوى يوسف عليه السلام ومنهم من قال كلهم أنبياء وهم الاسباط الذين ذكرهم الله فى القرآن العظيم قال السدى ان الملك الريان صاحب مصر توفى فى زمن يوسف ويقال انه أسلم على يد يعقوب وكان اسمه الريان بن الوليد بن أرسلادس وكان حسن السيرة عادلا فى الرعية وكان خراج مصر فى زمانه ألف ألف دينار ولما وقع الغلاء فى أيامه أسقط عن المزارعين بارض مصر خراج ثلاث سنين وكان من جملة فراعنة مصر انتهى قال الكسائى ان يوسف هو أول من أظهر علم الهندسة ولم يكن الناس يعرفون

ذلك وهو أول من قاس النيل بمصر ووضع له مقياسا محكما وهو الذى حفر خليج المنتهى بالفيوم * ومن العجب ان الخليج لا ينقطع جريانه على الدوام ولو انقطع ماء النيل عنه وهو أول من خص بتعبير الرؤيا وأول من خزن القمح فى سنبله وأول من أظهر القراطيس أى الورق البلدى * قال ابن لهيعة فى أخبار مصر ان يوسف عليه السلام هو الذى بنى مدينة الفيوم ودبرها بالوحى من جبرائيل وكانت أرضها مغايض الماء فدبرها حتى أخرج منها الماء وجعل بها عشر قناطر وعمل عليها أبوابا من الحديد وبنى بها من جهة الجنوب الى جهة الشمال حائطا طوله ستمائة ذراع بذراع العمل وأحكمه برد الماء اذا زاد النيل اثنى عشر ذراعا وكان على خليج المنتهى عدة طواحين تدور بالماء قال العزيزى وكان انتهاء العمل منها فى سبعين يوما فتعجب الملك من ذلك وركب هو ووزراؤه ورأوا ما صنعه يوسف فتعجبوا من ذلك وقالوا هذه الطواحين كانت تعمل فى ألف يوم فسميت من ذلك اليوم الفيوم وكانت محكمة على ثلاثمائة وستين قرية منها على مسيرة يوم من مصر وكان فى الفيوم ألف منبر من ذهب برسم الوزراء والحجاب يجلسون عليها فى المواكب وقد سماها الله فى القرآن بالمقام الكريم * قال أقام يوسف مدفونا ببحر النيل فى خليج المنتهى نحوا من ثلثمائة سنة حتى ظهر موسى عليه السلام * قال السدى لما خرج موسى من مصر ومعه بنو اسرائيل أوحى الله اليه بان يحمل معه جثة يوسف قال موسى يارب ومن يدرى أين جثة يوسف فاوحى الله اليه ان عجوزا كبيرة قد ذهب بصرها تسمى سارح وهى بنت آشر بن يعقوب فهى تعرف مكان جثة يوسف فمضى لها موسى وسألها عن جثة يوسف قالت ما أدلك على مكان جثة يوسف حتى تحملنى معك الى بيت المقدس وتدعو لى بان الله يرد على سمعى وبصرى فقال لها موسى أفعل ذلك ان شاء الله تعالى فدعا لها فرد الله عليها ما فات فدلته على المكان الذى فيه جثة يوسف فاخذها من خليج المنتهى وكانت فى وسط الماء فحملها ووضعها فى تابوت من خشب وتوجه بها الى بيت المقدس ودفن يوسف عند ابراهيم الخليل عليه السلام ثم ان موسى حمل معه تلك العجوز وصارت كما شرطت * قال السدى فمن حين نقلت جثة يوسف من الفيوم تناقصت البركة منها فى زرعها وغلالها ومواشيها * قال الكسائى كان بين مولد موسى ووفاة يوسف زيادة عن خمسمائة سنة وكان مولد يوسف بارض كنعان ومولد موسى بمصر تمت قصة يوسف عليه السلام

﴿ذكر قصة أيوب الصابر عليه السلام﴾ قال الله تعالى واذكر عبدنا أيوب الآية قال كعب الاحبار كان أيوب من الروم وهو من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام ولم يجئ من نسل العيص سوى أيوب وكانت زوجة أيوب تسمى رحمة وهى بنت افرائم بن يوسف عليهم السلام قال العزيزى كان أيوب نبيا فى زمن يعقوب وقد بعث الى أهل حوران من نواحى دمشق * قال السدى كان

أيوب فى سعة من المال وكان لا يفتر عن قرى الاضياف و يؤوى الغرباء وكان يتعطى المتجر والزرع وله عدة أولاد وعيال كثيرة قال وهب بن منبه كان لايوب عبادات يقصر عنها العابدون فحسده ابليس اللعين على تلك العبادات وكان ابليس فى تلك الايام لا يمتنع من الصعود الى السماء وكان يتحدث مع الملائكة وهم يثنون على أيوب خيرا لكثرة عبادته وجوده وقراه الاضياف قال ابليس اللعين لو كان أيوب فقيرا ما عبد الله فلو سلطنى الله على ماله لترك العبادة فاوحى الله الى ابليس انى قد سلطتك على ماله فجمع ابليس جنده ومضى الى زرعه ومواشيه فلم يشعر أيوب الا وقد ثارت نار عظيمة من تحت الارض فاحرقت جميع زرعه وهبت على مواشيه فاحرقتها عن آخرها ثم ان ابليس أتى الى أيوب وهو قائم يصلى فى محرابه فقال له ان الذى تصلى له قد أحرق جميع زرعك وأهلك جميع مواشيك فقال أيوب الحمد لله الذى أعطانى وأخذ منى ما كان وهبنى فرجع ابليس خائبا ثم صعد الى السماء فقالت له الملائكة كيف رأيت صبر أيوب قال هو على ثقة من ربه فلو سلطنى الله على أولاده لما كان يصبر فاوحى اليه قد سلطتك على أولاده فمضى ابليس وحرك الدار على أولاده وعياله فسقطت الدار عليهم فهلكوا جميعا فاتى ابليس الى أيوب وهو قائم يصلى فى المحراب على صورة دايتهم فناحت بين يديه و بكت وضجت فقال أيوب ما الخبر فقالت قد سقطت الدار على أولادك فهلكوا جميعا فقال أيوب الحمد لله الذى أعطى وأخذ ثم جاء ابليس فى صورة خادمهم فقال لو رأيت أولادك وقد سالت دماؤهم وتشققت بطونهم وأمعاؤهم فما زال يقول و ينوح حتى رق قلب أيوب و بكى وقال ياليتنى لم أخلق فابتهج ابليس بهذه الكلمة ثم ان أيوب استغفر الله من ذلك وصبر واحتسب ثم ان ابليس صعد الى السماء فقالت له الملائكة كيف رأيت أيوب قال هو على ثقة من ربه ثم قال ابليس فلو سلطنى الله على جسده لما صبر على ذلك فاوحى الله اليه انى قد سلطتك على جسده فرجع ابليس وأتى الى أيوب فوجده قائما يصلى قد نامنه ونفخ فى أنفه نفخة فاشتعل من ادماغه وقدمه وما بينهما فحك جسده بالحجارة حتى تقطع لحمه وسقطت أظفاره وذاب لحمه وظهرت عظامه وأنتن لحمه ودود جسده وحصل له ألم شديد بين اللحم والجلد وكان أيوب متزوجا ثلاث نسوة فلما رأينه على تلك الحالة ذهبت اثنتان و بقيت رحمة عنده فاتى ابليس الى أهل تلك القرية التى فيها أيوب فقال لهم اخرجوا أيوب عنكم والا يعدكم فى أجسامكم من دائه فقال أهل القرية لرحمة اخرجى أيوب عنا والا قتلناه فحملته رحمة على أكتافها وأتت به الى خربة هناك ففرشت تحته التراب فنام عليه (قال وهب بن منبه) نام أيوب على التراب مطروحا والدود يرعى فى لحمه سبع سنين ولم يقرب اليه أحد سوى زوجته رحمة فكانت تذهب الى أهل القرية وتعمل لهم أشغالهم وتأتى الى أيوب بما يحصل لها من نوالهم من الخبز والطعام فجاء ابليس الى أهل تلك القرية وقال لهم لا تدعوا رحمة تدخل عليكم فتعديكم من حال زوجها فقال

أهل القرية يارحمة ابعدى بزوجك عنا والا قتلناك بالحجارة فحملته على كتفها وذهبت به الى مكان بعيد عن القرية وفرشت تحته الرماد ووضعته عليه وجعلت تحت رأسه حجرا وقالت له يا أيوب اطلب لك العافية من الله فقال يارحمة خولنا الله فى نعمائه أفلا نصبر على بلائه فكانت رحمة تذهب وتقف على الابواب فيطردونها ويقولون لها اذهبى عنا لا تعدينا من داء زوجك فلما بلغ بها الجهد وأضر بأيوب الجوع عمدت الى ضفيرة من شعرها فقطعتها وباعتها برغيف وأتت به الى أيوب فقال لها أيوب من أين لك هذا الرغيف فاخبرته بما كان من شعرها فلما سمع أيوب بكى بكاء شديدا وصبر (ومما يحكى من موافاة النساء) قال أبو الفرج الاصفهانى ان رجلا من العرب يقال له هدبة بن حشرم أمر بقتله معاوية بن أبى سفيان فلما تحقق الاعرابى ذلك أرسل خلف زوجته تحت الليل فاتت اليه وهى تختال فى ثوب خز والمسك يفوح منها وقد زنت خلاخيلها وكانت ذات حسن وجمال فلما اجتمعا جلسا يتحدثان ثم انهما اتيا كما تم نام معها وكان بينهما ما كان فلما أصبح الصباح أخرجوه من السجن ومضوا به الى القتل فالتفت الى زوجته وكانت ابنة عمه فتأمل اليها وأنشد يقول

أقلى من التعنيف وارعى لمن رعى * ولا تجزعى مما أصاب فاوجعا
ولا تنكحى ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بانزعا

قال فلما سمعت زوجته ذلك مالت الى جدار الحائط وأخذت سكينا وقطعت بها أنفها ثم التفتت اليه وقالت له هل بقى بعد ذلك من الحسن شئ يوجب النكاح فشئ فى قيوده قال الآن طاب الموت فقتل * وقال الثعلبى بينما أمشى فى شوارع البصرة واذا أنا بامرأة من أجمل النساء وجها وأظرفهن شكلا وهى تقبل شيخا ماسمج الوجه والخلقة وهى تحادثه وتلاعبه وتضحك فى وجهه وتفلى قميصه من القمل فلما رأيت ذلك دنوت منها وقلت لها يا هذه من يكون هذا الشيخ السمج منك قالت زوجى فقلت لها وكيف تصبرين على سماجته وقبح وجهه مع وجود حسنك وجمالك ان هذا العجب فقالت يا هذا أتعجب من صنع الله تعالى فلعل هذا الشيخ رزق مثلى فشكر ورزقت مثله فصبرت والصبور والشكور فى الجنة أفلا أرضى بما رضى الله تعالى لى من هذا الامر فتركتها وانصرفت عنها وقد أعجزنى جوابها (ومما رواه معاذ بن جبل) رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو خرج من أحدكم قيح أودم فمسحته امرأته بلسانها ولم يرض عنها جاءت يوم القيامة فى تابوت من نار وتهوى بها الى قعر جهنم قال وهب بن منبه ثم ان ابليس اللعين تصور لرحمة زوجة أيوب فى صورة طبيب فقال لها أنت زوجة أيوب المبتلى قالت نعم قال أنا اداويه من هذه العلة بشرط انه اذا ذبح لا يسمى وأن يشرب الخمر فيشفى فلما رجعت الى أيوب أخبرته بذلك فقال لها ويلك هذا ابليس اللعين فغضب أيوب على رحمة وحلف يمينا عظيما انه اذا شفى من هذه العلة ليجلدنها مائة جلدة حيث انها لم تقل

لابليس ان الله يشفيه ثم ان أيوب بكى وقال الهى أنالم أكن قط بين أمرين الا وقد طلبت رضاك فيهما دون رضاى وماشبعت من الطعام قط خوفا أن أنسى فبأى ذنب آخذتنى به فاوحى الله تعالى اليه ياأيوب هل كان صبرك على البلاء بتوفيقى أم بتوفيقك وأوحى الله اليه ثانيا ياأيوب لولا أنى جعلت تحت كل شعرة فى جسدك صبرالما كنت تطيق بعض مافى جسدك من الالم قال الكسائى ان الدود لم يزل يرعى فى جسد أيوب حتى وصل الى لسانه فخشى أن يشغله عن ذكر الله فعند ذلك قال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين قال الله تعالى فاستجبناله وكشفنامابه من ضر (قال) السدى لماقال أيوب رب انى مسنى الضر علم الله تعالى انه قد جزع لاجل الله تعالى فجاء اليه جبرائيل عليه السلام برمانة من الجنة وقيل بسفرجلة وقابل أيوب فقال له أيوب من أنت أيها العبد الصالح الذى أنست بك من بعدمانفرت عنى الاصحاب والاحباب فدنامنه جبرائيل وناوله تلك الرمانة فلماأكلها ونزلت فى جوفه ذهب عنه الالم الذى فى جسده جميعه فقال له جبرائيل ياأيوب قم فقال وكيف أقوم ولم يبق لى حول ولاقوة فاخذ جبرائيل بيده ومشى به نحو اثنتى عشر خطوة وقال له اركض برجلك اليسرى فركض بها فظهرت له عين ماء حار ثم قال له اركض برجلك اليمنى فظهرت له هنالك عين ماء بارد فقال له جبرائيل اغتسل من الحارة واشرب من الباردة فلما شرب واغتسل عاد اليه حسنه وجماله وصار جسده كالفضة النقية ثم أتاه جبرائيل بحلة من الجنة والبسه اياها وتوجه بتاج من الجنة فصار أيوب يزهو كالشمس المضيئة فعند ذلك صلى أيوب ركعتين شكر الله تعالى على نعمته ورضاه وقد قيل فى المعنى

ماضاق بالمرء أمر فاستعدله * عبادة الله الاجاءه الفرج
وما ألم بباب الله ذونصب * الا تزحزح عنه الهم والحرج

(قال) وهب بن منبه لما اغتسل أيوب من تلك العين تناثر الدود وصار فرشا من ذهب وطارفى الآفاق فصار نعمة بعد ان كان بلاء (قال) السدى ان اليوم الذى اغتسل فيه أيوب وشفى كان يوم النيروز فلذلك تجد الاقباط تتراشش بالماء يوم النيروز قال وكانت رحمة غائبة فى طلب القوت لايوب فتعرض لها ابليس فى الطريق وقال لها يارحمة الى متى هذا التعب والجهد العظيم فى حق من لم يخلص من البلاء والمرض وقد وعدك اذا عوفى ليجلدنك مائة جلدة فلم تلتفت رحمة الى كلامه وأقبلت نحو أيوب فجعلت تطوف عليه فى الفضاء فلم تجده فاخذت تنادى وتقول أيوب هل أكلتك السباع أم ابتعلتك الارض ثم ان ايوب نادى رحمة فقال لها ياجارية ماتطلبين قالت أريد الصابر قال وكان أيوب لابس الحلل وعلى رأسه التاج وعنده عين ماء وهو عند روضة فى خير وعافية فاشتبه على رحمة حاله لانه كان فى بلاء وعناء فلم تعرفه فقال لها أيوب هل لك فى أيوب علامة تعرفينها فتأملته فقالت انك تشبه أيوب فضحك فى وجهها وقال أنا أيوب وقد عافانى ربى فنزل جبرائيل وأشار الى داره فعمرت

وأحيا الله تعالى له أولاده ورد عليه مواشيه وزرعه ونسي أيوب ما قاساه من البلاء والمحنة في السبع سنين وهو صابر وقد قيل في المعنى

كن راضيا حكم الاله * عز وجل بلا وجل
وارض القضاء فانه * حتم أجل وله أجل

(قال) السدي لما عوفي أيوب من بلائه بقي متحيرا في يمينه الذي حلفه وتوعد به رحمة بالمائة جلدة فضاق صدره لذلك فاتاه جبرائيل وقال له يا أيوب خذ مائة عود من أصول السنبل واجمعها حزمة واضرب بها رحمة ضربة واحدة فتخلص من اليمين ففعل ذلك أيوب وخلص من يمينه *قال السدي واستمر أيوب في نعمة حتى مات وله من العمر ثلاث وسبعون سنة وقيل مائة سنة والله أعلم ولما مات دفن بحوران وكانت أم أيوب بنت لوط عليه السلام ولما مات أيوب سارت أولاده على سيره من العبادة والطاعة وكان أكبرهم حواميل وبعده مقيل ورشد ورشيد وبشير وكان في زمانهم ملك يقال له لام بن دعام وهو من ملوك الشام

﴿ذكر قصة ذي الكفل﴾ قال كعب الاحبار لما قبض الله تعالى أيوب عليه السلام تغلب على أولاده الملك لام بن دعام فارسل هذا الملك الى أولاد أيوب ليزوجوه باختهم بنت أيوب فارسلوا اليه وقالوا ليس في ديننا أن نزوجك وأنت على الكفر فان أحببت فادخل في ديننا فنزوجك اياها فلما سمع ذلك الملك هددهم وعزم على قتالهم فبلغ ذلك أولاد أيوب فنهم من أشار بقتاله ومنهم من أشار بمداراته بالمواعيد فعند ذلك قال حواميل بن أيوب لا بد من قتاله وحربه فلما جمع الملك جنوده وبرز للقتال برز أولاد أيوب بمن معهم من المؤمنين والتقى الجيشان واقتتلا قتالا شديدا فوقعت الهزيمة في جيش حواميل بن أيوب واحتوى لام على جميع أموالهم وأملاكهم وأسر من قومهم أناسا كثيرة وفيهم بشير بن أيوب فهم الملك بصلبه ثم أمهله وأمر بحبسه يريد الفدية فاراد أخوه حواميل أن يرسل له الفدية فرأى في منامه قائلا يقول يا حواميل لا ترسل الفدية ولا تخف على أخيك وان هذا الملك سيؤمن وتكون عاقبته الى خير فقص الرؤيا على من كان عنده ورجع عن اعطائه الفدية فبلغ الملك لام هذا الكلام فغضب غضبا شديدا فامر أن يتخذ خندقا ويجعل فيه النار ليحرق بشير بن أيوب فعند ذلك أحضر الجنود النار وأوقدوها واحتملوا بشيرا وألقوه فيها فلم تحرقه النار فتعجب الملك لام من ذلك وقال ان هذا السحر عظيم فقال له بشير أيها الملك لسنا بساحرين وقد كان لنا جد يقال له ابراهيم الخليل فعل به النمروذ كذلك فلم تحرقه النار وجعلها الله عليه بردا وسلاما وكذلك يفعل الله باولاده فعند ذلك رق قلب الملك وعلم الحق فاسلم وآمن واجتمعوا على الاسلام فزوجوه باختهم وسمي الملك بشيرا ذا الكفل لانه لما أراد الملك الفدية تكفل بشير بايصال الفدية اليه من اخوته ثم ان حوميل

أرسل أخاه ذا الكفل رسولا الى جميع أهل الشام باذن الله تعالى وكان الملك لام بين يديه يقاتل الكفار فلم يزالوا على ذلك حتى مات حوميل ثم مات بشير ذو الكفل ثم مات بعدهم الملك لام بن دعام فتغلب على أهل الشام العمالقة الى أن بعث الله شعيبا انتهى على سبيل الاختصار

﴿ذكر قصة نبي الله شعيب عليه السلام﴾ قال كعب الاحبار ان أسماء ملوك مدين منهم أبو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت وهم قوم من العمالقة وقال ابن عباس رضي الله عنهما معنى أبي جاد أبي آدم أي خالف الطاعة ظاهرا وجد في أكل الشجرة ومعنى هوز أول من نزل الى الارض ومعنى حطي حطت عنه ذنوبه بالتوبة ومعنى كلمن أكل من الشجرة ومن عليه ربه بالمغفرة ومعنى سعفص عصى آدم ربه فاخرجه من النعمة الى النكد ومعنى قرشت أقر بالذنب وسلم من العقوبة وقال قتادة هي أسماء ملوك أصحاب الايكة قال كعب الاحبار ان مدين بن ابراهيم عاش عمرا طويلا وكان له امرأة من العمالقة فولدت له أربعة بنين فتزوجوا وتوالدوا فصار منهم خلق كثير فدعا مدين بكبراء نسله وجمعهم عنده وقال لهم انكم كثرتم والرأي عندي أن تبنوا لكم مدينة كبيرة حصينة حتى لا تخافوا على أنفسكم من العمالقة قال فبنوا المدينة وحصنوها وسموها باسم جدهم مدين ونزلوا بالايكة وهي قرية قريبة من مدين فكان أهل مدين يعبدون الله وأهل الايكة يعبدون الاصنام ولا يغير بعضهم على بعض وكان في المدينة رجل من عباده يقال له صنعون وهو والد شعيب وكان تحت صنعون امرأة من العمالقة فولدت له ولدا وهو شعيب واسمه بيرون حين كان غلاما وكان سبب تسميته شعيبا ان والده لما كبر سنه وضعف خاف على نفسه من كثرة القوم فرجا أن يسعفه ولده فكان صنعون يقول اللهم بارك لي في شعيبي أي ولدي فغلب عليه اسم شعيب فقيل له شعيب وسقط عنه الاسم الاول ثم توفي أبوه صنعون فقام شعيب مقام أبيه وفاق بالزهد والعبادة على أهل زمانه من أهل مدين واشتهر بذلك قال وكان أهل مدين أصحاب تجارات يشترون الحنطة والشعير وغير ذلك من الحبوب ويخزنونها عندهم ويتربصون بها الغلاء فهم أول المحتكرين وكان له مكيالان مكيال واف لاجل الشراء ومكيال ناقص لاجل البيع وميزانان كذلك فكانوا على ذلك مدة وشعيب لا يعاشرهم ولا يداخلهم وكان له غنم ورثها عن أبيه يأكل من لبنها حلالا طيبا فبينما هو جالس على باب داره يذكر الله اذ أقبل عليه غريب فسلم عليه وقال يا شعيب أنت رجل صالح واني اشتريت من رجل مائة كيل من الطعام بمائة دينار فاخذتها واكتلتها فنقصت عشرين كيلا والتمس من شعيب أن يساعده عليهم فعند ذلك توجه شعيب معه الى القوم فسألهم عن قضية المشتري فقالوا ألم تعلم يا شعيب ان ذلك سنتنا نأخذ بالوافر ونعطي بالناقص فقال شعيب ليس هذا من سنة الله فاتقوا الله وأعطوا الرجل حقه فلما رأوه على غير سنتهم سبوه وكذبوه وجفوه (مبعث شعيب عليه السلام)

فنزل عليه جبريل في الحال فقال له السلام عليك فقال له وعليك السلام من أنت فاخبره جبرائيل ان الله اطلع على سريرته ويأمره أن يكون رسولا الى أهل مدين وأصحاب الايكة وغيرهم ممن يعبد الاصنام يأمرهم بطاعة الله ويحذرهم بأسه ونقمه وينهاهم عن عبادة الاصنام وبخس المكيال والميزان فوجه شعيب الى ما أمره الله به حتى أتى الى القوم فقال ياقوم اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة الاصنام فان الله أرسلني اليكم لانهاكم عن معصيته وأحذركم نقمته وأنهاكم عن بخس المكيال والميزان وذلك قوله تعالى ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان فقالوا ياشعيب لم نكن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا مانشاء وليس معك حجة وقد عرفناك وعرفنا أباك ولوشئنا الاخرجناك ولكنا الاننعن ذلك حتى نجتمع نحن وبنواسرائيل ونشكوهم سوء فعلك قال فانصرف عنهم بعد كلام كثير ثم عاد اليهم في اليوم الثاني وقد اجتمعوا ومعهم ملكهم أبوجاد فوقف عليهم وخطب ونهاهم عن عبادة الاصنام وبخس المكيال والميزان فقال له قومه مانفقه كثيرا مما تقول ثم عاد اليهم من غد فقالوا انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال فاخذ القوم في الاستهزاء فقال اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب قال وأقبل عليه سادات قومه من أهل مدين والايكة وقالوا ياشعيب انك رجل ترجع الى حسب ونسب والى عفاف عرفناك به فان كنت تريد الرياسة والاموال شاركناك بها واترك ذكرآلهتنا الابخير فقال لا أريد منكم شيأ من ذلك وانما أريد أن أنصحكم وأن لاتعبدوا مالا ينفعكم ولا يضركم وان تعطوا كل ذي حق حقه فعند ذلك احتمله القوم جميعا وجاؤا به الى أبي جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت واجتمع الناس ليسمعوا ما يجري بينهم فامرهم شعيب ونهاهم وحذرهم فذكرهم مانزل بقوم نوح من الغرق وبقوم هود من الريح وبقوم صالح من الدمدمة وبقوم ابراهيم من الزلازل والبعوض وبقوم لوط من الانقلاب وارسال الحجارة عليهم فقال كلمن ياشعيب ان كان الامر كما تقول فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال الكسائي لما انصرف شعيب أتاه وزير من وزراء الملوك وآمن به سرا وكتب عنده شعرا قاله حين أسلم

شعيب بن صنعون أتى برسالة * وخص بها من دون رهط أبي عمرو
بحق أتاهم صادقا فغدوا به * وجاؤا عليه بالعظيم من الكفر
فلما رأيت القوم صدوا وأعرضوا * عن الحق والانذار ضاق بهم صدري
فجئت شعيبا تابعا ومصدقا * لارجوا ثواب الله في آخر العمر

ثم بعد ذلك قالوا كلهم ياشعيب ألك حجة فيما تقول قال نعم قالوا ان نطقت الاصنام بصدق ماتقول

تكن قد جئت بالحق فرضي القوم بذلك لانهم ظنوا ان أصنامهم لا تنطق بمثل ما يريد شعيب فتقدم شعيب الى الاصنام فقال من ربكم ومن أنا فتكلمت باذن الله تعالى وأنطقها الذي أنطق كل شئ فقالت الاصنام ربنا الله ورب كل شئ وخالقنا وخالق كل شئ وأنت يا شعيب رسول الله ونبيه ونكست من أسرتها ولم يبق منهم صنم جالس الا تنكس فلم يصدقوه وأرسل الله على قوم شعيب ريحا كادت تنسفهم نسفا فبادروا مسرعين الى منازلهم من شدة الريح وآمن بشعيب في ذلك اليوم خلق كثير رجال ونساء فارسل الملك يهدد من آمن فقال شعيب لا تخافوا فامر الملك أبو جاد أعوانه أن يترصدوا لشعيب ومن آمن به ويقتلوهم فعند ذلك قال شعيب ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين واذا بريح قد هاجت عليهم فيها حر وكرب لا طاقة لهم بها فرمى القوم أنفسهم في الآبار والسراديب ودام عليهم مدة وهم لا يزدادون الا عتوا ونفورا وشعيب يحذرهم فيقولون هذا من فعل آلهتكم فاصبروا فارسل الله عليهم الذباب الازرق يلدغهم كلدغ العقارب وربما قتل أولادهم وشغلهم الله بانفسهم عن أذى شعيب ومن آمن به وهم لا يؤمنون فهبت عليهم ريح السموم فكانوا ينتقلون من مكان الى مكان ليجدوا لهم فرجا من الكرب وشعيب يناديهم الى أين تهربون فليس لكم الا التوبة فيقولون يا شعيب نحن نكفر بك وبربك فزدنا مما نحن فيه واذا بسحابة سوداء قد أظلتهم فنصبوا لهم ظلة واستظلوا جميعا فاظلمت الارض عليهم حتى لم يبصر بعضهم بعضا واشتد عليهم الحر فاوحى الله الى شعيب أن اخرج أنت وقومك واعتزلهم وانظر كيف يحل عذابي بهم ثم زمت السحابة بوهجها وحرها وضربت القوم بعضهم في بعض وأضرمت فاحرقت جلودهم وأكبادهم وجميع ما كان على وجه الارض والمؤمنون ينظرون اليهم ولم يصل شئ من العذاب الى المؤمنين فذلك قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة يعني صيحة جبرائيل فاصبحوا في ديارهم جاثمين فاقبلت أخت الملك لكن كانت قد آمنت بشعيب فابصرت أهلها فوجدتهم قد نضجت جلودهم وجاء شعيب فقسم أموالهم على قومه المؤمنين وتزوج بامرأة من المؤمنين ورزقه الله رزقا حسنا ولم يزل مقيما بارض مدين حتى كف بصره وجاء موسى عليه السلام فتزوج بابنته انتهى على سبيل الاختصار

﴿ذكر قصة موسى بن عمران عليه السلام﴾ قال وهب بن منبه لما أمات الله الريان بن الوليد ملك مصر وكان مكرما عند بني اسرائيل وكانوا يعبدون الله علانية فلك بعده ابنه سنجاب ﴿قال﴾ وكان بمصر رجل يقال له مصعب يرعى الغنم وكان له من العمر مائة وسبعون سنة ولم يرزق ولدا فرأى بقرة وضعت عجلا فحسدها فانطق الله البقرة فقالت يا مصعب سيولد لك ولد ذكر ويكون من أركان جهنم فواقع زوجته فحملت بفرعون ومات مصعب قبل ولادة زوجته فلما ولدت من بعده أتت بالولد

فسمته بالوليد بن مصعب فلما كبر و بلغ سلمته أمه الى النجار ين فتعلم صنعة النجارة وأتقنها ثم ولع بالقمار ولم يكن له صبر عنه فعاتبته أمه بذلك فقال يا أمي كفي عني فاني عون نفسي فلزمه هذا اللقب فلم يكن يعرف الا بعون فمازال يقامر و يغلب حتى لم يبق عليه ثوب فتستر بخرقة لا توار يه فاستحى من الناس فهرب على وجهه فقيل فرعون وغاب مدة ورجع فرأى لزوم هذا الاسم له فقالت له أمه هل تر يد أن تشتغل بالنجارة قال لها لا أرضى الا بما تر يده نفسي فوجد معه درهما فاشترى به بطيخا وجلس على قارعة الطريق ليبيعه واذا بعريف الطريق طلب منه درهما فقال فرعون يا هذا ليس معي الاشئ قيمته درهم فقال أمر الملك أن يؤخذ من كل بائع درهم فغضب فرعون وخلى رحله ومضى وجعل يدور بأرض مصر ينقب و يسرق فيهرب مرة و يحبس مرة فاتفق أن رجلا من العمالقة ركض به فرسه فلم يقدر أن يضبطه فوثب فرعون الى الفرس وضبطه بلجامه وأوقفه فقال العمليق يافرعون أراك قو يا فلو أقمت عندي لاتخذتك سايسا فرضي فرعون وأقام عند العمليق مدة يخدمه حتى مات العمليق ولم يخلف أحدا من الورثة فاحتوى فرعون على جميع ماله وحمله الى أمه ولم يزل فرعون ينفق من ذلك المال حتى نفد منه فوقع في قلب فرعون أن يقعد على باب مقابر مصر و يطلب أرباب الجنائز بشئ و يظهر انه بأمر الملك فلم يزل كذلك مدة حتى بسط له بساطا وجعل له خادما وكان الناس يعطونه فجمع من ذلك مالا عظيما حتى مات للملك بنت فتعلق بجنازتها فرعون فاخبروا الملك بذلك فاستدعاه فحضر ودعا للملك وقص عليه قصته فهم الملك بقتله ففدى نفسه بمال جزيل فطابت نفس الملك بالمال وأراد أن يقره على عمله فنهته أرباب دولته وقالوا له هذا أمر قبيح فعله وذكره بين الملوك مذمة فقال فرعون للملك اني قوي على أن يكون أمر الحرس في يدي وكان الملك كثير الاعداء فخلع الملك عليه وجعله أمينا على الحرس فاتخذ فرعون قبة في وسط البلد وجعل له أعوانا للحرس شداد البأس * قال فرأى الملك في منامه أن عقربا أسود له شعاع قد ملأ المدينة لدغ الملك فافاق الملك من منامه مرعوبا فركب بالليل وقصد وزيرا من وزرائه ليخبره بما رأى فرآه فرعون فاخذه الى القبة فقص الملك لفرعون مارأى فعند ذلك أخذ فرعون سيفا وقتل الملك سرا وركب فرعون وقصد قصر الملك فجلس على السرير ووضع التاج على رأسه وفتح الخزائن واستدعى بالوزراء وأصلحهم بالمال ودانوا له فاول من دخل عليه وسجد بين يديه هامان وكان غلاما السنجاب * قال كعب الاحبار أول من سجد بين يديه ابليس اللعين وأول من سماه الها ور بانم سجد هامان والوزراء والاعوان والكهنة ثم بعث فرعون الى أسباط بني اسرائيل فدعاهم الى الطاعة فاقبلوا وسجدوا بين يديه وقصدوا بالسجود سرا الله المعبود قال فجاء ابليس على الصورة التي سجد بها لفرعون فقال أيها الملك أنا أتخذ لك صنما تنفرد به ولقومك أصناما فقال افعل

مابدا لك وأمر فرعون باتخاذ الاصنام وبعبادتها وكان بنو اسرائيل يعبدون الله سرا
﴿ذكر قصة آسية بنت مزاحم﴾ قال كعب الاحبار ان آسية كان أبوها مزاحم قد تزوج بامها في الليلة التي اقترن سعد الكواكب بالزهرة فحملت امرأة مزاحم بآسية فرأى مزاحم في منامه كان شجرة خضراء خرجت من ظهره واذا بغراب قد انقض عليها وقال أنا صاحب هذه الشجرة فانتبه مزاحم وقص ذلك على بعض صلحاء المعبرين فقال ترزق جارية حسناء صديقة وتكون عند رجل كافر وترزق الشهادة فلما ولدت آسية وصار لها من العمر عشرون سنة واذا هي بطائر مثل الحمامة وفي فمه درة فرمى بها في حجر آسية وقال يا آسية خذي هذه الخرزة فاذا اخضرت فهو أوان تزويجك واذا احمرت فهو وقت الشهادة ثم طار الطائر فاخذت الخرزة وربطتها على عضدها وأخذت في العبادة واشتهر أمرها بالخيرات فوصفت لفرعون فاحب أن يتزوجها فخطبها من أبيها فاغتم أبوها لذلك وقال ان ابنتي صغيرة فكذبه فرعون فقال مزاحم اجعل لها مهرا في فرعون فتلطفوا بفرعون الى أن أرسل اليها خاعة ومهرا فابت فتلطفوا بها لاجل مداراة فرعون وقالوا لها أنت على دينك وهو على دينه وكان قد أمهرها عشرة آلاف أوقية من الذهب ومثلها من الفضة وبنى لها قبة عظيمة وجعل لها جواري كثيرة وأمر بذبح البقر والغنم فلما صارت عند فرعون دخل عليها وهم بها فلم يقدر على ذلك وكان هذا حاله معها فرضي بالنظر منها فقط
﴿ذكر الآيات التي رآها فرعون﴾ قال فبينما هو نائم في قبة آسية اذ سمع هاتفا يقول ويلك يا فرعون قد قرب زوال ملكك ويكون على يد فتى من بني اسرائيل قال فرعون أما سمعت يا آسية قالت نعم ﴿آية أخرى﴾ فبينما هو ذات يوم نائم على سريره واذا بشاب قد دخل عليه من غير حجاب وتحت الشاب أسد عظيم وبيده عصا وهو يضرب بها رأس فرعون ويقول انظر الى نفسك وأين أنت وأخذه برجله ورماه في البحر فلما أفاق استدعى بالمعبرين وقص عليهم القصة فقالوا أجلنا فاجلهم فلما خرجوا قالوا لبعضهم هذه الرؤيا تدل على هلاكه فلما جاء الاجل خافوا منه فقالوا له أضغاث أحلام ﴿آية أخرى﴾ فلما كانت الليلة الثالثة رأى ذلك الشاب قد أتاه وتلك العصا بيده فضرب بها رأسه وقال له ويلك يا فرعون ما أقل حياءك من اله السموات والارض ثم رأى بعد ذلك ان آسية صار لها جناحان فطارت بهما بين السماء والارض وهو ينظر اليها ورأى الارض قد انفجرت فادخلته فيها فانتبه مرعوبا فجمع الكهنة وقص عليهم رؤياه فقالوا ان هذه الرؤيا تدل على مولود يولد ويسلب ملكك ويزعم انه رسول اله السماء والارض ويكون هلاكك وهلاك قومك على يديه ﴿حديث قتل الاطفال﴾ فاستشار فرعون وزراءه وقومه فاشاروا أن يجعل على الحبالى حرسا فكل من حملت تحمل الى داره ويكون ولادتها هنالك فان كان ذكرا قتله وان كان أنثى تركها ففعل ذلك حتى قتل اثني عشر ألف طفل

فضجت الملائكة الى ربهم وقالوا الهنا وخالقنا أنت الفعال لما تريد فاوحى اليه ان هذا الامر آجلا محدود افبشرهم بموسى وحمل أمه به وكان فرعون أمر وزراءه وأرباب دولته أن لا يفارقوه لان الكهنة قالوا له ان هذا المولود يكون من أقرب الناس اليك وكان عمران من جملة أرباب دولته الممنوعين عن مفارقته أيضا فبينما عمران جالس على كرسيه اذ رأى زوجته وقد حملها ملك وجاء بها الى جانب عمران فواقعها وفرعون نائم لم يشعر فحملت تلك الليلة بموسى عليه السلام ثم اغتسلا من حوض فى دار فرعون واحتملها الملك وذهب بها الى مكانها وكل ذلك تحت الليل ولم يعلم بذلك أحد من الناس وكان فرعون عين نساء يطفن فى البلدة فكن يطفن على النساء جميعا الا امرأة عمران لم يدخلن عليها لعلمهن ان عمران لا يفارق فرعون فلما تم حملها تسعة أشهر أخذها الطلق فى نصف الليل ولم يكن عندها أحد الا أخته فوضعته ووجهه بالنور يتلألأ ففرحت به وهى مكروبة خائفة عليه فتنكست الاصنام على رؤسها وأصبح فرعون مغموما مهموما فجد فى طلب المولود واتفق ان الوزير هامان وقع فى قلبه أن الولادة فى بيت عمران فاخذ معه الاعوان ودخل الى دار عمران فجعل هامان يفتش الدار حتى لم يترك شيأ ونظر الى التنور فرآه يفور نارا ورأى العجين بجانبه فلم يشك فى ذلك وخرج وكانت أم موسى غائبة فى حاجة لها خارج الدار فلما رجعت رأت هامان وهو راجع فأخذها الرعب على موسى فدخلت الدار ونظرت الى التنور فوجدته يفور بالنار وكانت لما خرجت وضعت موسى فى التنور وجعلت عليه آلة الوقود حتى لا يراه احد عند دخوله فجعل الله عليه النار بردا وسلاما فنظرت أم موسى فى التنور فوجدت ابنها سالما فاخرجته وأرضعته ولما بلغ عمره تسعين يوما أوحى الله الى أمه اذا خفت عليه فضعيه فى تابوت وألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فاقبلت أمه الى نجار بمصر يقال له سونام وقالت اصنع لى تابوتا طوله كذا وعرضه كذا وأحكمه لئلا يدخل فيه الماء ولا يخرج منه فصنعه وأتقنه وسلمه الى أم موسى فعند ذلك أرضعت موسى وحملته ووضعته مرضعته فى التابوت وهى باكية حزينة وكان أبوه قد مات وعمره أربعون يوما وأخذت التابوت ورمته فى بحر النيل نصف الليل فامر الله الملائكة بحفظه هذا وفرعون مشدد الطلب فى أمر النساء والاطفال ولم يكن له هجوع قيل انه بقى التابوت فى الماء أربعين يوما وقيل ثلاثة أيام وقيل يوما واحدا وهو الاصح

﴿ذكر دخول التابوت لدار فرعون﴾ قال وكان لفرعون بنت برصاء وعجزت الاطباء عن مداواتها فقال الطبيب أيها الملك ليس لهذا دواء الا الاغتسال كل يوم بماء النيل فاتخذ خليجا من النيل الى داره واتفق ان ذلك التابوت قذفته الامواج باذن الله حتى أدخلته الى دار فرعون فبادرت البنت وأخذت التابوت وفتحته فاذا فيه موسى فاخرجته بيدها فحين لمسته برئت من علتها وأقبلت

بالتابوت على آسية وذكرت لها قصته وكيف دخل وكيف شفيت به فاخرجته آسية وقبلته وهى لا تعلم أنه ابن عمها فضت به الى فرعون وقصت له قصته وكيف شفيت به البنت فقال يا آسية أخاف أن يكون هذا المولود عدوى ولا بد من قتله فقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وأمهل به فهو عندك فتى تبين أنه عدو فاقتله

﴿ذكر قصة رضاعه﴾ ثم انهم عرضوا عليه المراضع فلم يقبل ثم ان أمه قالت لاخته مريم اخرجى وخذى خبر أخيك فخرجت الى آسية تأخذ خبره فنظرت واذا هو فى حجر آسية فقالت مريم أنا أدلكم على من يكفله لكم وذهبت الى أمها وأخبرتها بذلك فقامت من ساعتها ودخلت على فرعون وموسى بين يديه فعرفت آسية انها امرأة عمها فقالت لها اعرضى عليه لبنك فلما أخذته أمه ووجد رائحتها ارتضع منها فقال فرعون أرى لك لبنا غزيرا فهل لك من ولد قالت وهل ترك الملك لاحد ولدا فظن ان ولدها قتل مع من قتل ولم يعلم انها امرأة عمران فقالت لها آسية أحب أن تكونى عندى فاقامت عندها سنتين حتى استغنى عن الرضاع فلما همت أمه بالانصراف أمرت لها آسية بحمل من الذهب والثياب الفاخرة وذهبت غنية مستبشرة

﴿عجائب موسى صلى الله عليه وسلم﴾ فلما صار لموسى ثلاث سنين أقعده فرعون فى حجره فمد موسى يده الى لحية فرعون ونتف منها خصلة فاغتاظ فرعون غيظا شديدا وقال هذا عدوى وهم بقتله فقالت له آسية ليس للصغار عقل ولا معرفة وأنا آتيك بدليل وأمرت باحضار طشت وجعلت فيه تمرة وجمرة وقدمته الى موسى فمد يده الى التمرة فحول جبرائيل يده الى الجمرة فرفعها الى فيه فاحترق لسانه وأخذ فى البكاء الشديد فسكن غيظ فرعون ﴿آية أخرى﴾ فلما تم لموسى سبع سنين كان قاعدا مع فرعون على سريره فقرصه فرعون فنزل موسى عن السرير غضبان وضرب برجله قوائم السرير فكسر منه قائمتين فسقط فرعون وانهشم أنفه وسال الدم على وجهه فهم بقتله فقالت آسية ألا يسرك أن يكون لك ولد بهذه القوة يدفع عنك أعداءك فسكن غضبه ﴿آية أخرى﴾ فلما صار لموسى من العمر اثنتا عشرة سنة قعد يوما على المائدة وعليها حجل مشوى فقال له موسى قم باذن الله فقام قائما على المائدة ففزع فرعون من ذلك ودخل على آسية فاخبرها بذلك فقالت ألا يسرك أن يكون لك ولد يأتى بمثل هذه العجائب فسكن غضب فرعون ﴿آية أخرى﴾ فلما أتى على موسى ثلاث وعشرون سنة خرج يوما وتوضأ ووقف يصلى فقال رجل من خواص الملك يا موسى لمن تصلى قال لسيدى ومولاى فقال الرجل تعنى أباك فرعون قال على فرعون لعنة الله وعليك معه وكان ذلك دأب موسى يلعن فرعون وكل من أتى ليخبر فرعون بما يشتمه به موسى سلط الله عليه فرعون قبل الاخبار فمنهم من يقتله ومنهم من يقطع يده ومنهم من يحرقه بالنار ﴿آية أخرى﴾ علم أهل مصر

أنه من أراد أن يشي للملك بما يفعل موسى يتسلط عليه ويضره قبل أن يشي فامتنعوا من أن يخبروا فرعون بشئ من فعل موسى الا بالجليل قال فلما صار لموسى أربعون سنة وبلغ أشده وكان موسى يذكر لبني اسرائيل ماعليه فرعون من الضلالة وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبغض أهل الكفر ﴿حديث القبطي﴾ وكان طباخا لفرعون فاشترى حطبا فربه فتى من بني اسرائيل ممن كان يجالس موسى فجذبه القبطي ليحمل الحطب فامتنع واستنصر بموسى فقال موسى خل سبيله فابى القبطي فوكزه موسى في صدره فمات فندم موسى على قتل القبطي خوفا من الله فقال رب انى ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له فلما أصبح في اليوم الثاني صار موسى خائفا من فرعون لان فرعون علم بذلك الامر فبينما موسى خائف يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه على قبطي آخر هو ابن أخي المقتول وكان هذا القبطي يطالب الاسرائيلي بدم عمه ويريد ان يأخذه الى فرعون فطلب الاسرائيلي من موسى أن يعينه على القبطي فقال موسى للاسرائيلي انك لغوى مبين أغويتني بالامس حتى قتلت رجلا وتريد اليوم أن تغويني لاقتل آخر فخزي الفتى من كلامه وعلم أن موسى ندم على مافعل بالامس وعلم القبطي أن الاسرائيلي لم يقتل عمه وانما قتله موسى فانطلق القبطي الاسرائيلي وجاء الى فرعون وأخبره أن موسى قتل عمه فارسل فرعون في طلب موسى وأذن لاولياء المقتول أن يقتلوا موسى حيث وجدوه وكان رجل يسمى حزقيل مؤمنا من آل فرعون لما سمع ذلك أتى الى موسى وقال له ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج موسى منها الى نحو أرض مدين حافيا بغير زاد متوكلا على الله تعالى

﴿قصة موسى لما كان بارض مدين﴾ فلما وصل موسى الى مدين في اليوم السادس وجد رعاة الغنم على بئر يسقون غنمهم واذا بامرأتين تذودان وهو قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان فقال موسى ماخطبكما قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء وباقي الماء لمواشينا وأبونا شيخ كبير نبي هؤلاء القوم يحسدونه على ماأتاه الله وكان الرعاة اذا فرغوا من السقي يضعون حجرا كبيرا على رأس البئر لايقدر أحد على فتحه خوفا على أخذ شئ من الماء فصبر موسى حتى وضعوا الحجر وانصرفوا فقال موسى للمرأتين قربا أغنامكما الى الحوض ثم تقدم ورفع الصخرة عن رأس البئر بيده ولا يقدر على رفعها الا جم غفير أي رجال كثيرة وذلك مع ضعفه وجوعه فسقى لهما ثم تولى الى الظل تحت شجرة كانت هناك فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير فتمنى موسى في ذلك الوقت قرصا من خبز الشعير فلما أتت المرأتان الى أبيهما وهو نبي الله شعيب فقال لهما انكما جئتما بسرعة وكان موسى قد سقى لهما فقصتا عليه خبر

موسى فقال شعيب لاحداهما وكانت شديدة الحياء اذهبي فاتيني به فاقبلت الى موسى وقالت (ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا) فقام موسى معها فكانت تمر بين يديه فكشف الريح عن ساقيها فقال لها موسى تأخرى الى خلفي ودليني على الطريق فتأخرت فكانت تقول له عن يمينك عن يسارك قدامك حتى دخل مدين الى بيت شعيب فاذن له شعيب في الدخول فدخل فسلم عليه وجلس بين يديه فسأله شعيب ما الذى جاء بك الى أرض مدين فقص عليه موسى حاله كما قال الله تعالى (فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) فدعا شعيب بالطعام فأكل وحمد الله تعالى (قالت احداهما ياأبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين) فكان من قوته أنه رفع الحجر عن البئر وكان لا يرفعه الا جمع من الرجال وكان من أمانته تأخير المرأة عنه لئلا ينظرها فقال شعيب ياموسى (انى أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك) فرضى موسى وقال (ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت) من الثماني أو العشر (فلا عدوان على) أي لا سلطان على فرضى شعيب قال فجمع شعيب المؤمنين من أهل مدين وزوجه بنته صفورا بحضرتهم ثم أدخله عليها فلما أراد موسى الانصراف مع الغنم قال له شعيب ادخل هذا البيت وخذ عصا فدخل موسى ونظر الى عصى معلقة فاخذ من جملتها عصا حمراء فقال شعيب أرني هذه العصا التي أخذتها ياموسى فلما لمسها شعيب قال ضعها مكانها وخذ غيرها وأرني ما أخذت ففعل ذلك موسى مرارا فكان كلما وضعها وأخذ غيرها لا يخرج بيده الا تلك العصا فقال شعيب ياموسى خذها فهي من أشجار الجنة أهداها الله لآدم ياموسى وانى لموصيك بها فاحفظها وان أهل مدين يحسدونني فيدلونك على مكان لا ماء فيه ولا مرعى فاعلم ذلك فخرج موسى بغنم شعيب وكانت أربعمائة شاة فما زالت تزيد مع موسى حتى صارت أربعين ألفا وكان لا يجسر أحد من الرعاة أن يسقى قبل موسى * قال فلما بلغ موسى الثماني حجج قال له شعيب مهما جاء من الغنم ذكور في السنة التاسعة فهي لك وفي السنة العاشرة اناث فهي لك فاتت الاغنام في التاسعة بذكور خاص وفي العاشرة باناث خاص فسبحان الرزاق العليم فأخذ الجميع موسى ﴿خروج موسى من أرض مدين﴾ فلما عزم موسى على الانصراف بكى شعيب وقال ياموسى كنت مباركا على فكيف تخرج بابنتي وقد كبرت وضعف بصري وكثر حسادي وغنمي شاردة بغير راع فقال موسى طالت غيبتي عن أمي وأختي وخالتي وقد تركتهم في بلدة فرعون فقال شعيب أكره أن أمنعك عن أمك وهذه ابنتي معك نعم الصاحب لك فكن بها شفيقا ونعم الرفيق أنت وهي وأوصاها كذلك ودعا لهما (قال) فسار موسى باهله وولده وغنمه يريد أرض مصر فلما اقترب الى وادى طوى بقرب الطور وكان آخر النهار وقد هبت الرياح وسكب المطر وعظم البرد فانزل موسى أهله وضرب الخيمة على

جانب الوادي وكانت امرأته حاملا فأخذها الطلق في الحال فجمع موسى حطبا وأخرج زنادا وضرب بها فلم تور شيأ واجتهد فلم يحصل شرر فرمى بها وخرج من الخيمة متحيرا في أمر النار فاغتم لذلك فنظر على بعد فاذا هو بنار تلوح فتوجه في طلبها (فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة) يعني من عند الشجرة ولم تكن نارا بل نورا فنودي ياموسى (اني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) الى قوله تعالى (وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى) ومن المآرب أنه كان يعلق عليها كساءه ويستظل به ويقاتل بها السباع ويعلق عليها زوادته قال الله تعالى (القها ياموسى فألقاها فاذا هي حية تسعى) فلما رآها (ولى مدبرا ولم يعقب) فلما هرب قال له جبرائيل أتهرب من ربك ياموسى وهو يكلمك فرجع موسى موضعه والحية بحالها قال الله تعالى (خذها ولا تخف) فادخل يده في كمه ليأخذها بكمه لانه خاف أن تلدغه فقال جبرائيل ان أذن الله في اسعها لك لا يغني كمك فاخرج يده وأخذها فاذا هي عصا قال الله تعالى (واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء) فد يده تحت ابطه فخرجت بيضاء من غير برص (آية أخرى) مع العصا فانس موسى وذهب عنه الخوف وقال الله ياموسى (أنا اخترتك) برسالتي لابعثك الى عبد من عبيدي بطر نعمتي وتسمى باسمي وعبد غيري قال موسى (رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي) الآية قال الله تعالى (لقد أوتيت سؤلك ياموسى) * قيل لما اشتد بابنة شعيب الطلق سمع بذلك سكان الوادي من الجن فاجتمعوا اليها وأوقدوا عندها النار وقبلوها حتى وضعت وانصرفوا عنها فلما رجع موسى حمد الله وشكره وتوجه الى مصر * قال سخر الله لابنة شعيب راعيا من أرض مدين فعرفها فحملها الى أرض شعيب فلم تزل عنده حتى فرغ موسى من أمر فرعون فبلغ ذلك شعيبا فرد الى موسى زوجته

﴿ذكر دخول موسى الى مصر﴾ فأوحى الله الى هرون أخي موسى بقدوم موسى وهو يومئذ وزير فرعون وكان فرعون لا يفارقه ليلا ولا نهارا فاوحى الله اليه في المنام ان أخاك موسى قدم من أرض مدين رسولا وأنت شريكه في الرسالة الى فرعون فانتبه هرون خائفا وظن أنه من الشيطان وعاد الى منامه فعاد اليه القائل كذلك ثلاث مرات ثم قال له نعم قم الى أخيك وكانت الابواب مغلقة فاحتمله الملك الى قارعة الطريق وقال له امض ياهرون واستقبل أخاك فكان الريح يأتي الى موسى كلام هرون والى هرون كلام موسى حتى اجتمعا فبشر موسى أخاه هرون بالرسالة ثم أقبلا يريدان أمهما فقال هرون اني أخاف أن يعلم بنا أحد فقال موسى لا تخف قد قال الله تعالى (انني معكما أسمع وأرى) فلما وصلا الى باب أمهما قرعا الباب ودخلا ليلا فلما رأت أمهما انهما اجتمعا عندها غشي عليها فلما

أفاقت قص موسى عليها قصته جميعها وانه رسول الله الى فرعون وقومه فسجدت لله شكرا فبات موسى تلك الليلة عند أمه فلما كانت الليلة الثانية أخذ موسى عصاه ومضى فما كان يضرب بها بابا الا وفتح حتى فتح كذا وكذا بابا حتى صار فى قبة فرعون فلقيه نائما وأخوه عند رأسه جالس على كرسى فلما رآه هرون قام اليه وقال ياموسى أفى مثل هذا الوقت وفى مثل هذا المحل يكون الكلام اذهب فلكل مقام له مقال فذهب موسى هذا وفرعون نائم لا يشعر فلما أصبح الصباح أتى موسى الى فرعون فمن القوم من عرفه ومنهم من لم يعرفه فأخبر الناس فرعون بقدوم موسى فقال على أى حالة جاء موسى فقالوا رجل طويل أسمر كث اللحية عليه جبة صوف وفى رجليه نعل مخصوف وفى يده عصا حمراء فعند ذلك اصفر وجه فرعون وارتعدت قوائمه وخاف خوفا شديدا فأمر هامان أن يحبس موسى وقال فرعون لاخيه هرون لأى شئ لم تعلمني عند مجيء موسى فقال أيها الملك خفت أن أشوش عليك بخبره والآن هو فى حبسك فاحضره بين يديك واسأله فيم جاء ﴿مخاطبة موسى لفرعون﴾ قال فزين فرعون قصره وكشف عن جواهر سريره واستدعى بكبراء قومه وأوقف هرون عن يمينه وهامان عن شماله على العادة وأحضر موسى فكانت تقول بنو اسرائيل لاشك فى ان يقتل فرعون موسى فلما حضر موسى قال له فرعون تجاهلا من أنت قال موسى أنا عبد الله ورسوله وكليمه قال فرعون ياموسى انك عبد فرعون وابن عبده وابن أمته قال موسى ان الله أعز من أن يكون له ند لا اله الا هو قال فرعون الى من أرسلك ربك قال موسى اليك والى أهل مصر قال فرعون فبم أرسلت قال ليقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له وانى موسى عبده ورسوله وهذا أخى هرون معى رسولا اليكم انزل يا أخى وبلغ رسالة ربك فنزل هرون عن كرسيه وقال يافرعون انا رسولا ربك اليك لتؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيأ فبهت فرعون وتحير لما قال هرون ذلك لانه كان عنده بمنزلة عظيمة فعند ذلك غضب وقال لوزيره انزع ما كان على هرون من لباسه فجرده من أثوابه فبقى عريانا ولم يبق عليه شئ غير لباس عورته فنزع موسى مدرعته وألبسها لأخيه هرون فقال فرعون لوزيره هامان خذهما اليك واذكرهما نعمتى وتربيتى وما صنعته معهما من الجميل فجاء بهما الى منزله وأكرمهما فصار يعظهما هامان ويتلطف بهما ليدخلهما فى طاعة فرعون وهما يعظانه ليدخلاه فى طاعة الله فلم يقدر أحد من الفريقين على اطاعة صاحبه * قال فأحضرهما فرعون بعد ذلك وقال لموسى ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين الآية الى قوله تعالى وجعلنى من المرسلين اليك وقال موسى يافرعون جعلت بنى اسرائيل عبيدا لك تذبح أبناءهم وتستحيى نساءهم فجلس فرعون وكان متكئا فغضب وقال فأت بآية ان كنت من الصادقين فاضطربت العصا فى كف موسى فألقاها فاذا هى ثعبان مبين فلما رآها فرعون ومن حوله فروا هاربين فكان لهم ضجة عظيمة فكان أول من

هرب فرعون وتبعه القوم فقال ان هذا لساحر عظيم فأرسل فرعون فأحضر السحرة ووعدهم بمال جزيل ان كانوا هم الغالبين فجمعوا حبالا وعصيا فجعلوا بين كل حبلين عصا وبين كل عصوين حبلا واجتمع الناس من المدينة والمدائن اللاتى حولها فكانوا خلقا عظيما وكان ذلك اليوم يوم الزينة فأحضروا موسى وهرون فكانت الحبال والعصى يمشى بعضها فى بعض وجاؤا بسحر عظيم فامتلأ الوادى من الحيات فصارت يركب بعضها بعضا فأوجس فى نفسه خيفة موسى فأوحى الله اليه لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا فألقى موسى عصاه فصارت حية لها سبعة رؤس فابتلعت جميع تلك الحبال والعصى وجميع زينة القوم فوقف فرعون ووزراؤه على تل عال لينظروا آخر ما تفعل الحية فأخذت الحية نحو القوم فولوا هاربين فقال كبير السحرة وكان مكفوف البصر هل تجدون العصا منفوخة أم لا فقالوا على حالها لم تتغير فقال لو كان فيها سحر لانتفخت ولكنه صادق بانه رسول الله فآمنوا وقالوا انا آمنا برب موسى وهرون ثم خروا سجدا لله رب العالمين فأمر فرعون بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وأمر بصلبهم أجمعين فقالوا يا فرعون نرضى بعذاب الدنيا فانه ينقضى ولا نرضى بعذاب الآخرة فانه لا ينقضى وكانوا سبعين رجلا ﴿ذكر الآيات التسع﴾ قال الله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان فدام عليهم ثمانية أيام بلياليها فكانوا لا يرون فيها شمسا ولا قمرا حتى امتلأت الدور والاسواق ماء وأخذت الارض فى الخراب فجاء القوم الى فرعون فقال لهم انصرفوا أنا أكشفها عنكم فدعا فرعون بموسى وسأله أن يدعو برفع الطوفان فدعا موسى الله تعالى فرفع الله الطوفان وكان موسى دعا الله برفعه رجاء أن يؤمن فرعون فلما لم يؤمن أرسل الله عليهم الجراد فأكل أشجارهم وزروعهم ودام عليهم ثمانية أيام ففزعوا الى فرعون فأوعدهم بصرفه عنهم فدعا فرعون بموسى وقال ان صرفت الجراد نؤمن بك فدعا موسى ربه رجاء فى ايمانهم فأرسل الله على الجراد ريحا باردة فهلك الجراد عن آخره فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم القمل فأكل جميع ما فى بيوتهم وجميع ما على الأرض ووقع فى ثيابهم فقرضها وقرض أبدانهم وشعورهم فضجوا الى فرعون فصرفهم ثم دعا بموسى ووعده بالايمان فدعا موسى ربه فصرف عنهم فلم يؤمنوا فارسل الله عليهم الضفادع فكانت أشد بلاء لانها كانت تقع فى طعامهم وقدورهم وبين ثيابهم وفرشهم وكان لها رائحة كريهة فبقى ذلك ثمانية أيام فرجعوا الى فرعون وفرعون رجع الى موسى فدعا موسى ربه فى كشف ذلك فصرفه الله عنهم وأرسل اليها مطرا فجرها الى البحر فلم يؤمنوا فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك النيل فضربه موسى بعصاه فصار دما عبيطا فاشتد بهم العطش حتى أشرفوا على الهلاك فكان يمضى الفرعونى والاسرائيلى الى النيل من موضع واحد فيغرف الفرعونى منه فيكون دما ويغرف الاسرائيلى ماء فلم يؤمنوا فضمن فرعون لموسى ايمانهم

فدعا الله فكشفه عنهم فلم يؤمنوا فكان ذلك أربعين يوما بين كل آيتين ثمانية أيام ثم ان موسى قال يارب انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا الآية فكان الدعاء من موسى والتأمين من هرون فاوحى الله اليهما اني قد استجبت دعوتكما فاستقيما على رسالتي فطمس على كثير منهم فاصبح بعض من الرجال والنساء والصبيان حجارة وكذلك أسواقهم وما كان فيها فذلك قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ❁ قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في التفسير كان أول الآيات العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والبحر حين صار يبسا ثم أخرج عمر خريطة فيها دنانير ودراهم وجواهر وحنطة وشعير وأرز وحمص وعدس وماش ولوبياء وقد مسخ جميعه وقت الطمس

﴿ حديث قتل الماشطة وقتل آسية رحمة الله عليهما ورضوانه ﴾ قال وكان لبنت فرعون ماشطة فكان يوضع تحتها كرسي من الذهب والمشط من الذهب فبينما هي تمشطها اذ وقع المشط من يدها يوما فقالت تعس من كفر بالله فغضبت البنت وأخبرت فرعون فغضب وأحضر الماشطة فاستخبرها فقالت وحق الحق أنا مؤمنة بالله موسى فعند ذلك أمر بالقاء الماشطة الى الارض وبتسمير يديها ورجليها بمسامير في الارض وأتى بأولاد الماشطة فقال فرعون ان آمنت بي أطلقتك والا ذبحت أولادك على صدرك فابت فذبح أولادها على صدرها وهي تقول الحمد لله ثم بعد ذلك وضعها في صندوق من حديد محمى بنار فماتت في ذلك الصندوق وكان معدا لمن آمن بالله فيحميه ويضع فيه من آمن بالله الى أن يموت فرأت آسية الملائكة تنزل من السماء وتتباشر بقدوم الماشطة على ربها وبأيديهم الكرامات لها فقامت آسية من وقتها وساعتها وقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله وكان فرعون مغموما على قتل الماشطة فلم يشعر الا وآسية عنده حاسرة عن وجهها وهي كالوهانة فقالت له يا ملعون الى كم أصبر وأنت تقتل أولياء الله حتى وصلت الى الماشطة ولم ترع حقها يا ملعون الى كم تأكل رزق الله وتكفر به ولا تشكره والى كم ترى من الآيات ولم تعتبر فصاح فرعون فاجتمع عليه وزراؤه وحجابه فقال انظروا الى فعل موسى وهرون كيف فعل بنا وبقومنا وباهلنا وأفسدهم علينا بسحره ولم أبال بسحره ولكن صعب على حال آسية لكرامتها عندي ولا أدري كيف وصل اليها سحر موسى فسألها فرعون أن ترجع الى أمها ليذهب ما بها من الجنون فابت فجملوا يتلطفون بها فجاءت أمها ونصحتها فابت وهي توحد الله وتشهد أن موسى رسوله فقالت الوزراء لفرعون ان لم تقتلها أفسدت عليك جميع قومك فامر فرعون فصنع بها مثل ما صنع بالماشطة فنزل في الحال جبرائيل فبشرها بالجنة وناولها كأسا فشربت منه وبشرها بانها تكون زوجة محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة فماتت من غير ألم رضي الله عنها وأرضاها

﴿حديث غرق فرعون في البحر﴾ روى أن الله تعالى أهبط جبرائيل على صورة آدمي حسن اللباس فدخل على فرعون فقال له فرعون من أنت فقال عبد من عبيد الملك جئتك مستفتيا على عبد من عبيدي ملكته من نعمتي وأحسنت اليه كثيرا فاستكبر علي وبغى وجحد حقي وتسمى باسمي وادعى في جميع ما أنعمت عليه أنه له وأني لست المنعم عليه قال فرعون بئس ذلك العبد من عبد قال له جبرائيل فما جزاؤه عندك قال جزاؤه أن يغرق في هذا البحر قال له جبرائيل أسألك أن تكتب لي بخطك ذلك فكتب له فاخذه جبرائيل وخرج الى موسى فاخبره بذلك وقال ياموسى ان الله يأمرك أن ترتحل من موضعك فنادى موسى في بني اسرائيل وأمرهم بالرحيل فارتحلوا وهم يومئذ ستمائة ألف فلما سمع فرعون بارتحال موسى وقومه نادى في جنوده فاجتمعوا وكانوا لا يحصون لكثرتهم ولحقوا موسى لانهم اعتقدوا أنه هارب فلحقوه فادركوه فقال بنو اسرائيل ياموسى أدركنا فرعون بجنوده فقال موسى كلا ان معي ربي سيهدين فاوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضرب به فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثناعشر طريقا للاسباط الاثنى عشر وجعلوا يسيرون ويرى بعضهم بعضا وموسى بين أيديهم وهرون من ورائهم حتى دخلوا البحر جميعهم فاقبل فرعون وهامان عن يمينه ووزراؤه وجنوده خلفه فنظروا الى البحر والى تلك الطرق فوجدوها يابسة قد تفسح عنها الماء فحدثته نفسه في الدخول وعدمه وهم بالدخول فابت فرسه من الدخول واذا بجبرائيل عليه السلام راكب رمكة فدخل في أثره فرس فرعون طمعا في الرمكة * قال فدخلوا أجمعون فرعون وقومه حتى لم يبق منهم أحد على الساحل فانطبق عليهم الماء واذا بجبرائيل عليه السلام ومعه الصحيفة التي كتبها فرعون فاعطاها له فلما قرأها علم أنه هالك وأخذت الطرقات تضم بعضها الى بعض حتى انطبق عليهم فهلكوا كلهم ولم ينج منهم أحد * قال فلما استيقن فرعون بالهلاك قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل فقال له جبريل آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية يعني أنجى الله جثته وأخرجها الى البر لان بني اسرائيل كانوا في شك من غرقه فعلمت بنو اسرائيل أنه غرق وغرق قومه أجمعون وأورثهم الله أرضهم وديارهم ثم ان الله تعالى أوحى الى موسى أن يسير الى الارض المقدسة فان فيها قوما يعبدون الاصنام وهي أرض فيها مواضع الانبياء فامر موسى قومه بالمسير معه اليها فقالوا ياموسى ان الله بعثك وأخرجك الينا لينجينا من فرعون والآن تحملنا ما هو أشق علينا من فرعون ومعنا النساء والصبيان والزمنى والمشايخ وتلك البلاد مفاوز وليس معنا زاد وبها الحر الشديد فاوحى الله الى موسى اني مظلهم بالغمام ومنزل عليهم المن والسلوى وجعلت نعالهم لا تبلى وثيابهم كذلك وأمرت الحجارة أن تنفجر لهم بالماء فعند ذلك طابت نفوسهم وساروا مع موسى فوجدوا جميع ذلك من قدرة الله تعالى

فاختار موسى اثنى عشر رجلا فقال أريد أن تتوجهوا الى أريحا مدينة الجبارين لتأتونى بخبرها وخبر أهلها واذا جئتم فاكتموا خبرها عن بنى اسرائيل فخرجوا ومعهم يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وساروا حتى أشرفوا عليهم فرآهم رجل من الجبارين فساقهم حتى أدخلهم الى أريحا فاجتمع عليهم أهلها فوجدوهم عظيمى الجثة طوالا وكان بنو اسرائيل بالنسبة اليهم صغار الجثة ضعفاء فهموا بقتلهم فقال بعضهم لا تقتلوهم واجعلوهم لنا عبيدا فلما جاء الليل هربوا فوصلوا الى واد يقال له وادى العنقود فاخذوا منه رمانة فحملها اثنان وعنقودا من العنب فحمله اثنان فلما وصلوا الى بنى اسرائيل أشاعوا ماصدر لهم وأروهم الرمانة والعنقود فوقع الخوف فى قلوب بنى اسرائيل فقالوا ياموسى ان مملكة فرعون كانت علينا أخف مما نحن فيه من دخول مدينة الجبارين وانا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فقال موسى ياقوم لا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فابوا عن المسير معه الى أريحا الا القليل منهم فقال موسى رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فاوحى الله اليه لم سميتهم فاسقين فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تأس على القوم الفاسقين قال فكان كلما خرج واحد من الفاسقين عن أصحابه يتيه فى الارض فلا يهتدى أن يلقى أصحابه فيهلك فمازالوا كذلك انقرضوا عن آخرهم فى أربعين سنة فسار موسى بمن معه من المؤمنين حتى وصلوا الى أريحا فغلب موسى على المدينة وأهلها فهرب من كان بها الى بلاد أخرى وتفرقوا وأهلكهم الله تعالى

﴿حديث قارون وبغيه﴾ وكان قارون ابن عم موسى وكان رجلا فقيرا عابدا صالحا فجاء الى أخت موسى وقال لها من أين لموسى الذى ينفقه من الذهب فقالت ان الله علمنا صنعة الكيمياء فعلمتها لقارون فاخذ قارون يفعل الكيمياء فاخذ فى اللباس الفاخر والخيل المسومة والبناء الرفيع وجمع مالا عظيما قال الله تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة معناه ان مفاتيح كنوزه كانت تحمل على أربعين بغلا فعند ذلك ترك العبادة واشتغل بها عن ربه حتى كانت الناس تقول ياليت لنا مثل ما أوتى قارون فيقول نفر من المؤمنين ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وكان موسى ينصح قارون فيقول قارون كل هذا من الحسد حتى ان قارون قال لامرأة جميلة فى الحسن فقيرة جائعة ان أنت اتهمت موسى وقلت انه دعانى الى أن يفعل بى القبيح فلم أطاوعه أعطيتك مالا كثيرا وتزوجت بك فانصرفت المرأة فى تلك الليلة وقد ألقى الله فى قلبها التوبة فلما أصبحت أتت الى جمع بنى اسرائيل وفيهم قارون فقالت يابنى اسرائيل هذا مالقى الاخيار من الاشرار فى الاسرار إعلموا أن قارون دعانى الى نفسه بالامس وقال لى كذا وكذا وأمرنى أن أكذب على موسى بما هو كذا وكذا وان موسى كان ينهانى عن فساد كنت فيه وأنا الآن تائبة الى الله تعالى فلما سمع بنو

اسرائيل ماقالت المرأة قاموا من جانبه وبحوه ولاموه وتركوه فبلغ ذلك موسى فغضب وقال يارب
عليك به فاوحى الله الى موسى انى قد أمرت الارض الطاعة لك وسلطتك عليه فقبل موسى ودخل
على قارون وقال له ياعدو الله تريد أن تفضحنى يا أرض خذيه فغاصت داره فى الارض ذراعا فسقط
قارون عن كرسيه فغاصت قوائمه فى الارض الى ركبتيه فاستغاث بموسى فقال موسى ياعدو الله تبنى
مثل هذه الدور والقصور وتأكل فى أوانى الذهب والفضة وأنا أنهاك فلم تنته يا أرض خذيه فاخذته
شيأ وهو يستغيث بموسى فقال موسى ألم تتعظ بهلاك فرعون وغيره من الامم الماضية يا أرض خذيه
فاخذته الارض هو وداره قال الله عز وجل فخسفنا به وبداره الارض فكان عبرة لمن اعتبر

﴿قصة موسى والخضر عليهما السلام﴾ قال كعب الاخبار أعطى الله عز وجل التوراة لموسى وأتاه
من العلم كثيرا فقال يارب هل آتيت أحدا من عبادك مثل ما آتيتنى فاوحى الله اليه ان لى عبدا آتيته
من العلم مالم يأتك فقال يارب أسألك أن تجمعنى به فاخذ موسى فتاه يوشع بن نون وقد حمل معه خبزا
من شعير وحوتا مشويا ثم سارا على الساحل أياما فلم يرياه فقال يارب أرشدنى اليه فاوحى اليه ياموسى
اذا رأيت الحوت الذى معك قد صار حيا فذلك موضعه فسار موسى ومعه فتاه واذا بقبة عظيمة وفيها
قوم يركعون ويسجدون فسلم موسى عليهم فردوا عليه السلام فسألهم من تكونون وعن الخضر
فقالوا نحن ملائكة نعبد الله فى هذه القبة من حين خلق هذا البحر فسر فان الله يرشدك فسار موسى
حتى وصل الى صخرة وعين ماء فقعد موسى عندها فنام وكان الحوت فى زنبيل واذا بالحوت قد سقط فى
تلك العين ويوشع ينظر اليه فانتبه موسى ونسى يوشع أن يخبره بقضية الحوت فجعلا يمشيان حتى بلغا
نهرا ينصب فى البحر فقعد بجانبه موسى وقال ليوشع آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
فاخرج يوشع الخبز وأخبره بذهاب الحوت عند الصخرة فقال موسى ذلك ما كنا نبغ فارتدا على
آثارهما قصصا حتى أتيا الى الصخرة فنظر يمنة ويسرة فاذا هو بالخضر يصلى فى جزيرة من جزائر
البحر فقال موسى لفتاه ارجع أنت لبنى اسرائيل وكن مع هرون حتى أرجع ومشى موسى حتى وصل
الى الخضر فوقف ينتظر فراغه من الصلاة فاحس به الخضر فالتفت من صلاته وقال السلام عليك
ياموسى بن عمران فقال موسى وعليك السلام أيها العبد الصالح من أين عرفتنى فقال الخضر عرفنى
بك من عرفك بى فقال له الخضر ياموسى سل عما بدالك فقال موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما
علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا لانى أعمل على الباطن وأنت تعمل على الظاهر قال
ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك
منه ذكرا فسار على جانب البحر واذا بطائر قد أقبل فغمس منقاره فى البحر ثم أخرجه فمسحه على
جناحه وطار نحو المشرق حتى غاب ثم طار نحو المغرب حتى غاب ثم رجع فصاح فقال الخضر لموسى

أتدرى ماقال هذا الطائر قال لا قال انه يقول ما أوتوا من العلم الا بمقدار ما أخذت بمنقارى من هذا البحر فتعجب موسى من علمه ثم خرجا على الساحل يمشيان فبلغا الى مقبرة فجعلا ينظران الى جماجم الموتى وعظامهم فقال الخضر ياموسى هذه جمجمة فلان المملوك وهذه جمجمة أخيه وعد لموسى سبع جماجم اخوة فنطقوا كلهم عن أسمائهم وأفعالهم فتعجب موسى وخرجا من القرية ومشيا على الساحل فاذا هم بسفينة قد رفع أهلها شراعها وهم يسيرون فى وسط البحر فلوح الخضر اليهم فاقبلوا اليه وقالوا ماحاجتك قال أريد موضع كذا وكذا وأحب أن تحملونا الى هناك فقربوا السفينة ودخلا عندهم فساروا حتى صاروا فى لجة البحر فعمد الخضر الى لوح من ألواح السفينة فكسره وسد موضعه بخرقة كانت معه قال له موسى أخرقتها لتغرق أهلها أليس هذا جزاء أهلها فانهم حملونا بلا أجر قال الخضر ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا فسكت موسى وقال لا تؤاخذنى بما نسيت الآية ثم ساروا قليلا فاستقبلتهم سفينة ملكهم فقالوا ان الملك يريد سفينتكم ان لم يكن فيها عيب فدخلوها فوجدوها معيبة وهو الموضع الذى كسره الخضر فتركوها فخرج الخضر وموسى من السفينة وجعلا يمشيان فلقيا غلمانا يلعبون وفيهم غلام أحسن ما يكون فاخرجه الخضر من بينهم وعمد الى صخرة فضرب بها رأس ذلك الغلام فقتله فعظم ذلك على موسى فقال أيها الصالح أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال الخضر يا ابن عمران ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا ثم سارا حتى أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فاقامه الخضر وجمع الطين والحجارة وسواه فضجر موسى فقال أيها العبد الصالح استطعمت أهل هذه القرية فلم يطعموك قال يا ابن عمران هذا فراق بينى وبينك وانى منبئك أما السفينة فكانت لعشرة أنفس خمسة ضعاف مرضى وخمسة صحاح وكان الاصحاء يعملون للمرضى وكان ذلك الملك يأخذ السفن السالمة غصبا فاعبتها لئلا يأخذها الملك وأما الغلام فكان يقطع الطريق وكان أبواه ينفران منه ويدعوان عليه فقتلته لانى لو تركته لكان فعله يوجب لأبويه الكفر ولم يرد الله ذلك لهما وأن يرزقهما خيرا منه وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين وكان تحته كنز لهما ولو سقط الحائط لتبين الكنز وذهب المال فاراد الله أن يبقيه لهما ببركة والدهما فذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا انتهى ولما توفى موسى صلى الله عليه وسلم أرسل الله اليه ملك الموت فجاء وهو يقرأ فى التوراة بين أهله فقال السلام عليك ياموسى فقال وعليك السلام من أنت قال أنا ملك الموت جئت لقبض روحك ولكنى أراك تكلمنى كلام من شرب المسكر فاختلط عقل موسى عند ذلك وقال ماشربت مسكرا قال فادن منى حتى أشم رائحتك فدنا منه فقال تنفس فتنفس فقبضها ومضى ملك الموت عليه السلام

﴿ذكر قصة نبي الله يوشع عليه السلام﴾ ثم ان يوشع أخذ بعد موسى في الجهاد ففتح الله على يديه نحو ثلاثين مدينة من مدن الشام ثم جمع بني اسرائيل وقال لهم اعلموا رحمكم الله أن مدينة اريحا فتحها موسى صلى الله عليه وسلم ونفى الجبابرين منها والآن قد عادوا اليها وأناسا ترا اليهم فخذوا أهبتكم فان الله ينصركم عليهم فسار يوشع باصحابه حتى نزل بساحة أريحا وتقابلوا مع الجبابرين فقتل من الطائفتين خلق كثير وانهزمت الجبابرة عند العصر من يوم الجمعة وكان في عهد موسى ان يوم السبت للعبادة فقال يوشع ان فترنا عنهم هذه الساعة يكن يوم السبت هلا فيقوى عدونا في هذا اليوم فدعا الله وقال اللهم أطل علينا بقية هذا اليوم انك على كل شيء قدير اللهم انك تعلم ضعف بني اسرائيل فانصرنا ياخير الناصرين فارسل الله ملكا الى يوشع انى حبست لكم الشمس ونصرتكم فمازال يوشع يجاهد ويجالد والشمس محبوسة بقدرة الله حتى دخل يوشع مدينة أريحا وأبادهم وغنم أموالهم ثم سار من أريحا لى بلاد كنعان فقتل من ملوكها نحو ثلاثين ملكا وفتح ثلاثين حصنا

﴿حديث الياس عليه السلام﴾ قال كعب الاحبار لما ولد الياس طلع منه نور ساطع أضاء منه المشرق والمغرب فقالت بنو اسرائيل سلوا عن امتداد هذا النور فتبعوه فوجدوا مولودا ولد من ولد هرون عليه السلام فقالت بنو اسرائيل هذا الذى بشرونا به وأن الله يهلك الجبابرة على يديه ولما بلغ الياس من العمر سبع سنين حفظ التوراة وقال يوما من الايام يابني اسرائيل أريكم من نفسي عجبا فصاح صيحة عظيمة فارتعبت قلوبهم فلما سكن الرعب عنهم أرادوا قتله فهرب منهم الى الجبال فكان يدور مع السباع والوحوش حتى استكمل عمره أربعين سنة فهبط جبرائيل عليه السلام على الياس فقال له من أنت قال أنا جبرائيل قال بماذا جئت قال مبشرك بالنبوة وان الله جعلك رسولا الى الملوك الجبابرة الذين يعبدون الاصنام فقال الياس كيف أصنع وأنا وحيد وهم عندهم الجوع والسلاح فقال جبرائيل ان النصرة لك والقوة لله وان الله أمر الوحوش والنار باطاعتك وأعطاك قوة ثلاثين نبيا فامض الى قومك (قال) وكان قومه في سبعين قرية كل قرية أكبر من مدينة وفي كل قرية جبار يسوسهم فنزل الياس الى قرية فجاء الى جانب قصر جبارها وأخذ يتلوا التوراة بصوت حسن فسمعه الجبار وزوجته فجاءت زوجة الجبار اليه فقالت من أنت وما تريد فقال انى رسول الله اليكم فقالت وما حجتك فقال وما تريدون قالت ادع هذه النار لتأتيك فدعا النار فاتته فاخبرت المرأة زوجها فآمنا به ثم مضى عنهما وجاء الى أهل القرية فبلغهم رسالة ربه فضربوه وأهانوه وأوثقوه وأخذوه الى ملكهم الاكبر فحمى له القدور وقال له ان لم تفته والا أحرقتك فصاح الياس صيحته المعروفة فارتعبت منها القلوب وخمدت النار فتحير الناس وقالوا ياالياس قد عرفنا حالك فاصبر الى غد فلما أصبح جاء الياس اليهم ووعظهم وحذرهم عذاب الله وبلغ رسالة ربه فقالوا

ياالياس هلا بعث معك ربك جنودا فقال ويلكم ومن يقدر على أمر الله ومخالفته ثم خرج من بينهم الى الملك جاب الذى آمن به وأخبره ثم ان الملك عاميل جمع أكابر مملكته وعلماء قومه وقال ماتقولون فى أمر الياس فقالوا الامان فقال قولوا ولكم الامان فقالوا انا رأينا فى التوراة صفة هذا الرجل وانه يبعث نبيا وتسخر له النار والاسود وانه لايسمع صوته أحد الاذل وقال بعض علمائهم كذبوا بل هو ساحر كذاب فقال الملك عاميل مهلا حتى ننظر ثم انصرفوا ثم ان الياس عليه السلام عاد الى الملك جاب فاخبره بذلك فقال له الملك جاب ياالياس انى معك فى غرور فان الدين أطاعوك فى ذل واهانة والذين لم يطيعوك فى عز ونعمة فانصرف عنى فلا حاجة لى بك فقالت زوجته ياجاب ان كنت قد ارتددت عن دينك فلا أرتد أنا عن دينى ولحقت بالياس فكانت تعبد الله معه فى عريش عند بيت الملك عاميل ثم أسلمت بنت الملك عاميل ولحقت بالياس أيضا فاراد الملك عاميل قتلها فاشتغل عنها بموت ولده وكان يحبه حبا شديدا فجاء الياس اليه وقال له ياعاميل ان كان الذى تعبده له قدرة فقل له يرد روح ابنك اليه فمضى الملك عاميل الى صنمه وسجد له وتضرع وسأله ان يرد روحه فلم يجبه فدعا بالياس وقال ان كان ربك يرد روح ابنى آمنت بك وبربك فدعا الياس ربه فقام الولد باذن الله حيا فعند ذلك قال الملك عاميل أشهد أن لا اله الا الله وأن الياس رسول الله ثم خلع نفسه من الملك ولبس المسوح وتبع الياس فى دينه فلم يزل الياس يبلغ رسالة ربه فلم يؤمنوا ومات الملك عاميل وولده وابنته وزوجة جاب فعند ذلك دعا الياس على قومه بالقحط فقحطوا فازالوا يقتاتون بما عندهم من القوت حتى أكلوا دوابهم والعظام ثم الكلاب والفيران حتى من مات منهم فعند ذلك ضجت الملائكة الى ربها فى حال عباده المؤمنين والطيور والوحوش فاتوا الى الياس وقالوا يانبى الله ان الله تعالى قد جعل أرزاق عباده اليك أفلا ترحمهم قال فانهم عصونى وغضبى عليهم لله فان آمنوا والا هلكوا فأوحى الله اليه ياالياس احلم ففزع الياس من ذلك وقال الهى مالى علم انى عصيتك وأنت أرحم الراحمين فأوحى الله اليه ان سر اليهم فان آمنوا كان فرجهم على يديك وان كفروا كنت أرأف بهم منك فانطلق الياس حتى دخل الى قرية فرأى عجوزا فقال هل تقدرين على طعام فقالت ماذقت خبزا من مدة طويلة ولى ولد قد أشرف على الموت وانه على دين الياس فقال وما اسمه قالت اسمه اليسع فجاء اليه الياس فوجده ميتا من الجوع فاحياه الله بدعوة الياس فقام وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن الياس رسول الله وقد جعلنى الله وزيرا لك فخرج الياس فاجتمعت اليه الناس وطلبوا أن يدعو ربه حتى يفرج عنهم فدعا الله ففرج عنهم فلم يؤمنوا فدعا عليهم فاوحى الله اليه ياالياس قد بلغت رسالة ربك وفعلت ماأمرت به فاستخلف الآن اليسع وارجع عن ديار قومك وأنت عندى لمن المقربين فاقبل الياس على اليسع وقال أنت خليفتى فاوحى الله الى اليسع انك نبى وأرسلتك الى بنى اسرائيل وقويتك وأيدتك ثم ان

الياس لما خرج عن قومه فاذاهو بفرس تلتهب نورا فقالت أناهدية الله اليك فركب فاستوى على ظهرها وجاء جبرائيل عليه السلام فقال ياالياس طر مع الملائكة فى الارض حيث شئت فقد كساك الله الريش وقطع عنك لذة المطعم والمشرب وجعلك آدميا سماويا أرضيا

﴿ذكر قصة اليسع عليه السلام﴾ قال وهب بن منبه هو اليسع بن خطوب بعثه الله الى بنى اسرائيل بعد الناس قال السدى هو ابن عم الياس فلما رفع الله الياس استخلف بعده اليسع قال الواقدى ان فى أيام اليسع بنيت مدينة طرسوس وملطية واستمر اليسع يقضى بين الناس بالحق حتى توفى ودفن بفلسطين فلما مات اليسع استمر بنو اسرائيل عشر سنين بغير نبى فعند ذلك أقام فيهم كاهن يقال له عالى بن أسباط بن هرون وكان رجلا صالحا فدبر أمور بنى اسرائيل أحسن ما يكون واستمر على ذلك نحو أربعين سنة وفى أيامه ولد شمعون من أنبياء بنى اسرائيل وولد أيضا داود أبو سليمان عليهما السلام وكان بين وفاة عالى الكاهن ووفاة موسى عليه السلام أربعمائة وسبعة وثمانين سنة انتهى والله أعلم

﴿ذكر قصة شمعون عليه السلام﴾ قال الله تعالى ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى الآية المراد من قوله بعد موسى هو شمعون وكان من ذرية هرون عليه السلام وكان أنبياء بنى اسرائيل بمنزلة القضاة يحكمون بين الناس بالحق فلما مات الاسباط ولم يبق منهم سوى أم شمعون كان بنو اسرائيل يدعون الله تعالى أن يبعث فيهم نبيا من الاسباط فلما حملت به وكانت عجوزا عقيما من ذرية الاسباط تعجب بنو اسرائيل من شأنها وقالوا لم تحمل هذه العجوز الا بنبى من نسل الاسباط فحبسوها فى بيت حتى تضع مافى بطنها وكانت هى أيضا تدعو الله تعالى أن يكون حملها ولدا ذكرا فولدت شمعون وكان اسمه أولا شمويل فلما كبر تعلم التوراة فكفله على الصغر عالى الكاهن المتقدم ذكره فلما بلغ أشده وجاوز أربعين سنة أتى اليه جبرائيل ففزع منه وقال لعالى الكاهن سمعت فى البيت صوتا وليس فيه غيرنا فقال له عالى ياشمعون قم وتوضأ فهذا جبريل عليه السلام فقام شمعون وتوضأ وجلس فظهر له جبرائيل فقال له اذهب الى بنى اسرائيل و بلغهم رسالة ربك فان الله تعالى قد بعثك اليهم نبيا فلبث فيهم نحو أربعين سنة يقضى بين بنى اسرائيل بالحق وكان يعرف بابن العجوز ثم ان بنى اسرائيل قالوا ياشمعون ادع الله بان يقيم علينا ملكا حتى يكون لنا قوة و يستخلص لنا تابوت السكينة من أيدى العمالقة فلما دعا الله بعث الله الى بنى اسرائيل طالوت وهو قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية انتهى

﴿ذكر قصة الخضر عليه السلام﴾ قال السدى اختلف جماعة من العلماء فى أمر الخضر عليه السلام قال ابن عباس انه من ولد شالخ بن أرنخشد بن سام بن نوح عليهم السلام وقال ابن اسحق

انه من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام وقال النقاش انه ابن فرعون صاحب موسى ولم يصحح الطبري ذلك وأبطله وقال آخر هو اليسع صاحب الياس ولم يصحح ذلك وقال آخر هو أرمياء ولم يصحح ذلك وقال الاستاذ الحافظ أبو القاسم عبد الله بن الحسن الخثعمي في كتاب التعريف ان الخضر عليه السلام ابن ملك يقال له عاميل وهو من ولد العيص بن اسحق وأمه بنت ملك يقال له فارس وكان اسمها الها وانها ولدته في مغارة وكان بها شاة فصارت ترضعه كل يوم فأخذه الراعي ورباه حتى كبر وشب وصار ماهرا جيد الخط قارئا للصحف التي أنزلت على ابراهيم عليه السلام وقال ابن اسحق ان أبا الخضر عاميل طلب كاتبا جيد الخط ليكتب له الصحف التي أنزلت على ابراهيم وشيث فقدم عليه جماعة من الكتاب وابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما عرضوا خطوطهم على الملك استحسن خط ولده الخضر فوقع في قلبه محبته واستحسن شكله وعبارته في الكلام ثم انه بحث عن حقيقة نسبه فتبين انه ابنه فقام اليه واعتنقه وضمه الى صدره ثم انه نزل له عن الملك وولاه على رعيته عوضا عن نفسه واستمر على ملك أبيه وهو يقضي بين الناس بالحق الا أنه فر من الملك لاسباب يطول شرحها واستمر سائحا في الارض الى أن وجد عين الحياة فشرب منها كما سيجيء الكلام على ذلك فهو حي الى أن يخرج الدجال و يقتله ثم يحييه الله تعالى بحضرة الدجال بعدما يقطعه قطعا قال جماعة من العلماء انه لم يدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لم يصح وقال البخاري وطائفة من أهل الحديث منهم الشيخ أبو بكر ابن العربي ان الخضر قد مات قبل انقضاء المائة من عمره لقوله عليه السلام الى رأس مائة عام لا يبقى على الارض ممن هو عليها أحد يعني ممن كان حيا حين قال هذه المقالة والصواب مارواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الهواتف بسند يرفعه الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما مات النبي صلى الله عليه وسلم سمع هاتف يقول السلام عليكم أهل البيت ان في الله خلفا من كل هالك وعوضا من كل فائت وعزاء من كل مصيبة فعليكم بالصبر فاصبروا فكانوا يسمعون صوته ولا يرون شخصه فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الخضر عليه السلام فهو دليل على حياته وأما سبب تسميته بالخضر ففي ذلك عدة أقاويل قال وهب بن منبه كان اسم الخضر بليا وكنيته أبو العباس وانما سمي بالخضر لانه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء وقيل ان الفروة هي الارض وقال الخطابي انما سمي الخضر خضرا لاشراق وجهه قال مجاهد كان اذا صلى اخضر مكان سجوده وقال آخر كان اسمه خضرون والله أعلم وأما أمر نبوته فالجمهور من العلماء أجمعوا على أنه كان نبيا وقال بعضهم كان نبيا ورسولا يوحى اليه وقال جماعة من العلماء انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا وهو قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وأما قول الخضر لموسى وما فعلته عن أمري فهذا يدل على أنه كان رسولا يوحى اليه والصحيح أنه نبي لا رسول

كما رجحه العلماء وقد مرت قصته فى ذلك عند قصة موسى عليه السلام وأما قول من قال انه باق الى اليوم فقال عمرو بن دينار ان الخضر والياس فى قيد الحياة مادام القرآن موجودا فى الارض فاذا رفع القرآن يموتان أى الخضر والياس وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان الخضر والياس يجتمعان كل سنة على جبل عرفات مع الحجاج وفى مسجد الخيف فى منى وذكر أن كل واحد منهما يحلق رأس صاحبه هناك ويأخذ كل واحد منهما شعر صاحبه ويمضيان ويقولان عند تفرقهما الدعاء المشهور (وروى) عن بعض الصالحين انه رأى الخضر عليه السلام وذكر صفته أنه أشهل العينين ضخم الجسد طويل القامة أبيض اللحية أحمر الوجه زاهى المنظر فصيح اللسان يتكلم باللغة العربية انتهى ما أوردناه من أخبار الخضر على سبيل الاختصار ﴿ذكر حرب طالوت مع جالوت﴾ قال وهب بن منبه ان الله تعالى أنزل على شمعون عصا من الجنة وقال له ان الملك الذى أبعثه الى بنى اسرائيل يكون طوله على طول هذه العصا قال عكرمة ان الملك طالوت كان أصله سقاء يسقى الماء من بحر النيل على حمار له فضاع ذلك الحمار منه فخرج فى طلبه فمر على باب شمعون النبى فدخل عليه وقال له يانبى الله ادع لى بان يرد الله على حمارى فقال شمعون نعم ثم رأى أمارات تدل على ما أوحى الله به اليه من أمر الملك الذى يرسله الى بنى اسرائيل فاخرج تلك العصا المتقدم ذكرها فقاسها على السقاء فجاءت طوله سواء وكان طالوت طويلا جدا ولذلك سمى طالوت فقال له شمعون ان الله تعالى قد أمرنى أن اجعل ملكا على بنى اسرائيل وقد ملكتك عليهم فلما خرج الى بنى اسرائيل قال لهم قد ملكت عليكم هذا الرجل فاطيعوه فغضب بنو اسرائيل وقالوا له كيف تولى علينا مثل هذا وفينا من هو أحق بالملك منه لان النبوة كانت فى سبط لاوى بن يعقوب والملك فى سبط يهوذا وطالوت كان من سبط بنيامين فقال لهم شمعون ان الله قد اصطفاه عليكم فقال رجل من بنى اسرائيل وكان من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام هذا رجل فقير لا مال له وهو سقاء يحمل الماء الى بيوت بنى اسرائيل فقال لهم شمعون ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت على يده كما أخبرنى الله به وكان طالوت أحفظ الناس للتوراة ثم ان بنى اسرائيل ملكوا عليهم طالوت ثم انه خرج الى قتال العمالقة وكانوا يسكنون بقرى حول فلسطين فلما خرج اليهم جاء بهم على تابوت السكينة لان العمالقة كانوا سلبوه من بنى اسرائيل قبل ذلك واستمر عندهم مدة طويلة حتى رده الله تعالى عليهم على يد طالوت قال السدى ان تابوت السكينة كان طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين وهو من خشب الشمشاد ويقال ان فيه نعلى موسى وقطعة من عصاه وعمامة هرون وقطعة من المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل وهم فى التيه وكان هذا التابوت اذا قدموه أمامهم فى الحرب ينتصرون على عدوهم فلما سلبه العمالقة منهم أقام عندهم نحوا من عشرين سنة فكان كل

من دنا اليه يحترق فقال لهم رجل صالح مادام عندكم التابوت لم تفلحوا أبدا فاخرجوه من بينكم فقالوا له كيف العمل فى اخراجه وكل من دنا منه يحرق فعمدوا الى عجلة ووضعوا التابوت عليها ثم علقوا ذلك التابوت على ثورين وساقوهما من غير أحد معهما من الناس حتى أخرجوه من أرضهم فسارا الثوران الى أرض بنى اسرائيل ووقفا هناك ومضى من كان معهما من العمالقة فلم يشعر بنو اسرائيل الا وتابوت السكينة عندهم فكبروا تكبيرا عظيما قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الملائكة أخذوا ذلك التابوت من أعلى العجلة ورفعوه بين السماء والارض والناس ينظرون اليه حتى وضعوه فى دار طالوت وهو قوله تعالى تحمله الملائكة فلما عاين بنو اسرائيل ذلك علموا أن الله تعالى قد اختار طالوت أن يكون ملكا عليهم قال السدى ان تابوت السكينة مدفون فى بحيرة طبرية الى أن يخرج عيسى بن مريم عليه السلام فيخرجه انتهى ذلك

﴿ذكر قصة النهر وتابوت السكينة﴾ قال قتادة لما أوحى الله الى نبيه شمعون المتقدم ذكره بان يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت ملك العمالقة وكان جالوت فى بيت المقدس فجمع طالوت الجنود من بنى اسرائيل فكان عدتهم نحوا من ثمانين ألف مقاتل فخرج طالوت بالجنود حتى قارب النهر وكان وقت القائلة فشكوا من شدة الحر وقلة الماء فقال لهم نبيهم ان الله مبتليكم بنهر قال ابن كثير النهر هو الشريعة ثم قال فمن شرب منه فليس منى أى ليس من أهل دينى ولا طاعتى ثم استثنى بقوله الا من اغترف غرفة بيده ملء كفه وقال البراء ابن عازب ان أصحاب طالوت هم الذين جاوزوا معه النهر وكانوا نحو ثلثمائة انسان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوم وقعة بدر أنتم على عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر قال السدى فلما جاوزا أصحاب طالوت النهر شربوا منه وسقوا دوابهم ولم يغترفوا منه كما أمرهم الله تعالى فقوى عليهم العطش واسودت شفاههم فقال الذين شربوا من النهر وخالفوا أمر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت وتجنبوا عن أمر القتال فلم يبق مع طالوت الا القليل من الجنود وكان معه رجل يقال له ايشا وهو أبو داود نبى الله وكان له ثلاثة عشر ولدا وكان داود أصغرهم فقال يوما لابيه ايشا يا أبت انى لم أرم قط بقدحى شيأ الا صرعته فى الحال فقال أبوه أبشر يا بنى فان الله تعالى جعل رزقك فى قدحك ثم قال لابيه مرة أخرى يا أبتاه انى دخلت بين الجبال فرأيت أسدا عظيما فخضع لى حتى ركبته ثم قبضت بيدى على منكبيه فتركته هناك ميتا فقال له أبوه أبشر يا ولدى فان سعدك أقبل ثم قال لابيه مرة أخرى يا أبتاه انى اذا سبحت فى الليل أسمع الجبال تسبح معى فقال له أبوه أبشر يا بنى فهذا دليل نبوتك فلما تلاقى طالوت مع جالوت أرسل جالوت يقول لطالوت ان أبرزت لى من يقاتلنى فان قتلنى فله ملكى وان أنا قتلته فلى ملكه فشق ذلك على طالوت ونادى فى جنوده من برز الى جالوت وقتله أعطيته

نصف ملكي وزوجته بابنتي فلم يجبه أحد من أجناده وكان في صحبته شمعون النبي فقال له طالوت ياشمعون ادع الله تعالى أن يأتينا بمن يبرز لجالوت ويقتله فدعا شمعون الله تعالى أن يأتيه بمن يقتل جالوت فقال شمعون لايشار اني أريد أن تعرض علي أولادك فلما عرضهم عليه وكانوا اثني عشر ولدا وهم أمثال الاسود فقال له شمعون هل بقي منهم أحد فقال ايشا بقي لي ولد صغير يرعى الغنم واسمه داود وهو في الوادي عند الغنم فمضى اليه شمعون فلما رآه قال هذا هو المطلوب ورأى فيه من العلامة مايدل على ماأوحى الله به اليه من أنه هو الذي يقتل جالوت فقال له شمعون ان الله قد أمرني أن أبعثك الى جالوت ويكون قتله على يدك فقال داود السمع والطاعة ثم مضى مع شمعون فبينما هو يمشي في أثناء الطريق اذ مر بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منهما أن يحمله وقال له انك تقتل جالوت بي فحملها في مخلاته ثم لما وصل الى طالوت بعثه مع الجنود الى جالوت وأركبه فرسا أدهم وألبسه درعا من الحديد وقلده سيفا وسار به صحبته الجنود الى جالوت فوقف مقابله وكان جالوت أشد الناس باسا وقوة وكان يهزم الجيوش الكثيرة وحده وكان له خودة من فولاذ وزنها نحو ثمانمائة رطل بالمصري وكان له فرس أبلق عظيم الخلقة فلما برز اليه داود وكان صغير السن ألقى الله تعالى الرعب في قلب جالوت من داود فقال له جالوت ياهذا الصبي أنت مع صغر سنك تبارزني فقال داود نعم أبارزك ثم أخرج من المخلاة الاحجار ووضعها في المقلاع فقال له جالوت تبارزني بالحجر كما يبارز الكلاب فقال داود نعم لانك أشر من الكلاب فقال جالوت لاقسمن لحمك بين الكلاب ثم قال بسم الله اله ابراهيم واسحق وموسى ويعقوب فلما وضع الاحجار في المقلاع ورمى بها جالوت وصلت مثل النار الى دماغ جالوت فنقبته وما كان عليه من الحديد حتى خرجت من قفاه فقتل جالوت فحينئذ مالت جنود طالوت على جنود جالوت بالضرب ونصرهم الله تعالى عليهم وكسروهم باذن الله تعالى ثم انه نزع خاتم جالوت من يده وجاء به الى طالوت ووضعه بين يديه ففرح طالوت بذلك وفرح بنو اسرائيل بهذه النصرة ومضوا الى أرضهم وهم سالمون وكان جالوت يسكن بيت المقدس وهو من العمالقة قديمة وكان داود لما بارز جالوت كان عمره نحو عشرين سنة وكانت وقعة جالوت مع داود بالقرب من المرج الاصفر بارض الشام انتهى على سبيل الاختصار ﴿قصة وفاة طالوت وماجرى بينه وبين داود عليه السلام﴾ قال السدي لما قتل جالوت ومضى أمره جاء داود الى طالوت وقال له أنجز لي وعدك من زواجي ابنتك فقال له طالوت أزوجك ولكن بصداق فقال داود أنت شرطت صداقها قتل جالوت ومعها نصف مملكتك فقال طالوت أصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل انجزه ماوعدته به فلما رأى طالوت ميل بني اسرائيل اليه قال ياداود اني معطيك ماتريد ولكن بقي لنا أعداء من المشركين فانطلق اليهم وقاتلهم فاذا قتلت منهم مائتي انسان أزوجك

ابنتي من غير صداق فمضى اليهم داود وتقاتل معهم فصار كلما قتل منهم رجلا نظم قلفته بخيط فأكمل من قلفهم نحو مائتي قلفة فأتى بها الى طالوت وألقاها بين يديه فقال له هذا ماشرطت فقال بنو اسرائيل انجز له شرطه وماوعدته به فلما رأى طالوت قوة داود وميل الناس اليه خشي من سطوته فاراد قتل داود وكان من عادة الملوك يتوكئون على عصا في طرفها زج من حديد فرأى داود جالسا في بيت فرماه طالوت بتلك العصا فلاداود عنها فلم تصبه فأصابت الحائط فدخلت فيه فقال له داود عمدت الى قتلي فقال طالوت لا ولكن اختبرت ثباتك للطعان فعند ذلك قام داود وأخذ العصا وهزها نحو طالوت فقال طالوت بالحرمة التي بيني وبينك أن تكف عني فقال له داود ان الله كتب في التوراة ان جزاء السيئة بمثلها والبادي أظلم فقال طالوت أفلا تقول قولها بيل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك فقال داود اني عفوت عنك ثم ان طالوت زوجه بنته ومازال يتفكر كيف يقتل داود فصمم على أن يصنع لداود وليمة في داره ويغافله ويقتله فكانت ابنة طالوت علمت بما احتال أبوها به على قتل داود فارسلت الى داود وأعلمته بان أباها عزم على قتله فأخذ داود حذره منه ثم ان طالوت صنع الوليمة ولم يبق شيء من أمر الوليمة فارسل الى داود ليحضر فلما حضر داود بين يدي طالوت قام له وأكرمه وكان داود بشاشا ظريفا عارفا بفنون الالحان (قال) الثعلبي ان داود كان قبل بلوغ النبوة يوقع بالعود لطالوت لما تغلظ عليه الاخلاط الرديئة فكان داود يعلى اكل خاط نغمة لمعرفته بذلك فلما أقبل الليل وانتهى أمر الوليمة وانصرفت الناس نحو أربعة آلاف انسان قال طالوت لداود اصعد على السرير ونم عليه وانصرف طالوت الى نسائه فعمد داود الى زق خمر ووضعه على السرير مكانه وغطاه باكسية النوم وذهب داود واختبأ في مكان ينظر مايصنع طالوت فلما انتصف الليل دخل طالوت خفية يتسلل الى أن جاء الى السرير وظن أن داود عليه فرفع سيفه وضربه ضربة محكمة فقطع الكساء والزق وسال الخمر فقال طالوت ما أكثر ما كان يشرب داود من الخمر فلما أصبح طالوت وعلم أنه لم يقتل داود أكثر من الحراس والحجاب وصار يحتجب عن الناس خوفا من داود ثم ان داود دخل على طالوت ليلا وقد أعمى الله بصر الحراس فلما دخل داود وجد طالوت ملقى على سريره وهو نائم فوضع داود سهمين من سهامه عند رأس طالوت وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن يساره ثم خرج داود وتركه فلما استيقظ طالوت من منامه رأى السهام حوله فعرف ان ذلك من فعل داود ورأى عفوه بعد الظفر فقال داود أحلم مني ثم ان طالوت خرج يوما الى الفضاء وحده واذا بداود قابله من غير ميعاد فأخذا يمشيان وكان طالوت فارسا وداود راجلا فخاف داود على نفسه فدخل غارا واستتر فيه فلما أدرك طالوت الغار أعماه الله عن المكان الذي اختفى فيه داود ورجع طالوت فقتل جماعة من المؤمنين من أصحاب داود ممن كانوا يحبونه ثم ندم طالوت على

قتلهم وتاب وأراد أن يعلم هل قبلت توبته أم لا فجاء الى قبر شمعون ونادى يانبي الله شمعون فأجابه من القبر باذن الله تعالى فقال طالوت انى فعلت كذا وكذا فى المؤمنين فهل من توبة فقال شمعون ياطالوت سر أنت وأولادك وكانوا عشرة وقاتل فى سبيل الله حتى تقتلوا فيتوب الله عليكم وتكونوا من الصالحين فأخذ طالوت فى البكاء وتجهز هو وأولاده ومضى الى الجهاد وقاتل هو وأولاده فكان يرى مصارع أولاده واحدا بعد واحد حتى قتلوا كلهم ثم نزل هو للجهاد فقتل ثم أتى رجل الى داود وقال له ان طالوت قد قتل هو وأولاده فاستخلف على بنى اسرائيل كما سيأتى فى الكلام عليه فى موضعه ان شاء الله تعالى انتهى على سبيل الاختصار

﴿ ذكر قصة داود عليه السلام ﴾

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض الآية (قال وهب بن منبه) هو داود بن ايشا بن عوفد من ذرية ابراهيم الخليل عليه السلام (قال ابن كثير) لما قتل طالوت استخلف بعده داود وقد جمع الله له بين الملك والنبوة وكان قد مضى لداود من العمر نحو أربعين سنة وقد قال الله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب فلما تم أمره فى الملك رحل الى بيت المقدس وكان عامة الفتوحات فى أيامه ففتح الشام وأرض فلسطين ومدينة عمان وحلب ونصيبين وحماة وعنتاب والاردن وكانت هذه بأيدى الجبارين (قال السدى) ان الله تعالى خص داود عليه السلام بالفضائل والكرامات والنبوة وأنزل عليه الزبور وخصه بالصوت الحسن وكان يقرأ الزبور بسبعين نغمة من الانغام فكان اذا سمعه المحموم يعرق والعليل يشفى وكان اذا قرأ فى الفضاء تجتمع اليه الانس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان الريح يسكن عند صوته ويركد الماء الجارى أيضا عند صوته فحسده ابليس على ذلك فصنع آلات الالحان والطرب مثل العود ونحوه فاشتغل الناس بذلك عن صوت داود عليه السلام قال أفلاطون من حزن فليسمع الالحان يزل حزنه فان الحزن خمود النفس واذا سمعت ما يطرب شعشعت وأثارت (قال الرواة) ان الفيل اذا اصطادوه يموت قهرا لمفارقة وطنه الا اذا أطربوه بالملاهى فانه يعيش ومن فضائل داود أنه كان اذا سبح يسبح الطير معه والوحوش والجبال والشجر والحجر وكان يفهم تسبيحهم قال ابن عباس رضى الله عنهما ومما خص الله تعالى به داود السلسلة التى كان يعرف بها الحق والباطل (قال السدى) كانت هذه السلسلة موصولة بالمجرة وكانت معلقة بمحراب داود يتحاكم الناس عندها وكانت من عجائب الدنيا الطاقوة كقوة الحديد ولونها كلون النار مرصعة بالجواهر واليواقيت والزمرذ فكان اذا حدث فى الدنيا حادث تصلصل فيعلم بذلك الحادث وكان لا يمسها ذو علة الا برئ لوقته واذا مسها مشرك ذهب منه غل الشرك وكان المنكر لحق صاحبه اذا مد يده اليها لا يصل اليها واذا كان صادقا مد يده اليها فيصل

ويمسكها وكانت ترفع عند الباطل وتتدلى عند الحق واذا قصد أحد أخذ شيء منها ترتفع قال الثعلبي ان رجلا أودع جوهرة عند رجل آخر فلما جاء ليطلبها منه أنكرها فقال له صاحب الجوهرة نمضي أنا وأنت الى السلسلة وكان الذي استودع الجوهرة وضعها في عكازه وكان لا يفارقه من يده قال فمضى الرجلان الى السلسلة فوصلا اليها فقال صاحب العكاز لصاحب الجوهرة خذ اليك هذا العكاز لاحلف لك فأخذه فتقدم وقال اللهم انك تعلم ان هذه الجوهرة قد أعطيتها لصاحبها هذا ومد يده الى السلسلة فتناولها ثم أخذ عكازه من صاحب الجوهرة فتعجب صاحب الجوهرة فلما أصبح الصباح وجدوا السلسلة قد ارتفعت وغيبها الله عن الناس الى الآن قال ابن عباس كان داود أشد ملوك الارض سلطانا فكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف انسان من شجعان بني اسرائيل * ومن معجزات داود عليه السلام ان الله تعالى ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده مثل العجين فكان يصنع منه دروع الزرد وهو أول من اصطنع دروع الزرد وكانوا من قبله يستعملون دروع الصفائح فكان داود يصنع كل يوم اذا شاء درعا يبيعه بستة آلاف درهم وينفق من ثمنه على عياله ويتصدق بالباقي ولا يدخر منه شيأ قال السدي كان داود يتنكر ويمشي في الاسواق ويسأل الناس عن سيرة نفسه حتى لقيه جبرائيل فسأله عن سيرة نفسه فقال له جبرائيل ان داود نعم العبد الا أنه يأكل من بيت المال فقال داود عند ذلك اللهم علمني صنعة أنفق على نفسي منها فعلمه الله صنعة الزرد وألان له الحديد فكان يأكل من ذلك قال الله تعالى (وألنا له الحديد) وقال تعالى (وعلمناه صنعة لبوس لكم) الآية

﴿ذكر وقوع داود في الخطيئة﴾ قال وهب بن منبه بينما داود يقرأ في محرابه اذ دخل عليه طائر في محرابه من الكوة وكان ذلك الطائر على صفة الحمامة ريشها من الذهب وجناحها مكلل بأنواع الجواهر الملونة ومنقارها من الزمرذ الاخضر ورجلاها من الياقوت الاحمر فلما رآها داود شغلته عن القراءة فتأملها فظن أنها من الجنة فمد يده اليها ففرت من بين يديه الى جانبه فقام اليها ففرت الى الكوة * وقيل كان سبب ذلك ان داود قال يارب ان جميع الانبياء ابتليتهم لتعظم لهم الاجور فهلا ابتليتني لتعظم أجري فأوحى الله اليه ياداود استعد للبلاء في يوم كذا وكذا فلما كان الميعاد أتى اليه ابليس اللعين في صفة الطائر المذكور * قال فتقدم داود الى الطائر ففر من الكوة الى بستان تحت قصر داود فنظر داود الى البستان لاجل الطائر واذا في البستان امرأة جميلة ذات حسن فائق على أهل زمانها وهي تغتسل فلما نظر داود اليها خجلت وأسبلت شعرها فغطى سائر جسدها فوقع حبها في قلبه وشغف بها وفي المعنى يقول القائل

نضت عنها القميص لصب ماء * فورد وجهها فرط الحياء

فقابلت الهواء وقد تردت * بمعتدل أرق من الهواء
وبدت معصما كالماء منها * الى ماء معيد في اناء
رأت عين الرقيب على تدان * فاسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

قال فلما افتتن بها وسأل عن أمرها فقيل انها متزوجة برجل من الجند وهو مسافر وله ستة أشهر فى الغزو فعند ذلك كتب الى أمير الجيش يقول قدم أوريا ابن حنا أمام الجيش وأعطه الراية بيده وكان أوريا زوج المرأة وكان المتقدم بالراية قليلا ما يسلم فلما وصل الكتاب فعل أمير الجيش ما أمره داود فسلم الراية الى أوريا وتقدم فقتل فكتب أمير الجيش يخبره بموت أوريا فعند ذلك خطب داود امرأته فتزوج بها فحملت منه بولده سليمان عليهما السلام وكان اسم المرأة تشايع بنت صورى فأقام معها أياما وكان لداود اذ ذاك تسع وتسعون امرأة وقد تكمل بأم سليمان المائة وهى تشايع فعند ذلك أرسل الله له ملكين بصفة رجلين فدخلا عليه من غير اذن ففزع منهما داود فقالا له لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وهو قوله تعالى (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب) الآية فقال داود قصا على قصتكما قال ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال له داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فضحك المدعى عليه فقال له داود تظلم وتضحك فارتفعا وهما يقولان قضى داود على نفسه فعلم داود أنه وقع فى الخطيئة فخر ساجدا أربعين ليلة وهو يبكى ولا يرفع رأسه حياء من الله تعالى حتى غرقت الارض من دموعه وأكلت الأرض جبهته فرفع رأسه وقام فلبس المسوح وافترش الرماد تحت وجهه وعاد الى ما كان عليه فانقطع عنه الوحى وكان يقول فى سجوده سبحان خالق النور رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه والاصار حديثا فى الخلق الى يوم القيامة ولم يزل ساجدا وهو يبكى ويتضرع الى الله تعالى حتى انشعب رأسه فجاء اليه جبرائيل وقال يا داود ان الله غفر خطيئتك فاذهب الى قبر أوريا ابن حنا واسأله بان يحالك فانطلق الى قبر أوريا وقال يا أوريا فقال من قبره لبيك يا داود فقال داود اجعلنى فى حل مما كان منى اليك فقال أوريا وما كان منك فقال عرضتك للقتل بسبب الزوجة فقال قد حالتك من ذلك فأوحى الله اليه يا داود هلا قلت له عرضتك للقتل حتى قتلت فتزوجت بزوجتك من بعدك فعاد اليه وقال له داود يا أوريا فلباه من القبر ثانيا فقال داود يا أوريا عرضتك للقتل حتى تزوجت بزوجتك من بعدك فلما سمع أوريا بذلك سكت فناداه مرارا فلم يجبه أوريا فبكى داود وحثا التراب على رأسه فأوحى الله تعالى اليه يا داود اذا كان يوم القيامة أعطى أوريا الثواب الجزيل حتى أرضيه وأستوهبك منه فقال داود الهى الآن طاب قلبى بمغفرتك

وكرمك وذلك قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب فكان داود لا يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى وكان لا يأكل خبز الشعير الا وهو ممزوج بدموع عينيه ويذر عليه الملح وكان لا يأكله حتى يضنيه الجوع ويقول هذا أكل الخاطئين قال عطاء الخراسانى ان داود عليه السلام نقش خطيئته فى كفه لئلا ينساها فكان كلما نظرها بكى * قال وهب بن منبه لما وقع داود فى الخطيئة اشتغل بالبكاء والندم عن النظر فى أحوال الرعية من بنى اسرائيل فعند ذلك اجتمعوا وجاؤا الى ابنه سليمان عليه السلام وقالوا ان أباك كبر سنه واشتغل بخطيئته عن النظر فى أحوال الرعية والحق أن تكون أنت متوليا على بنى اسرائيل ودخلوا على داود وتكاموا معه فى ذلك ومازالوا به حتى خلع نفسه من الملك وولى ابنه سليمان ثم ان داود خرج من بنى اسرائيل ولحق بالجبل فاجتمع أعيان بنى اسرائيل وجاؤا الى سليمان وأشاروا عليه بقتل أبيه فلما بلغ داود أرسل يقول لابنه سليمان هل سمعت قط بابن قتل أباه قبلك ولكن ان جعل الله قتلى على يد بنى اسرائيل فلا تحضر أنت قتلى فانه يصير ذلك سنة من بعدك فلما بلغ سليمان ذلك لم يوافق بنى اسرائيل على قتل أبيه * قال السدى لما تاب الله على داود وأراد أن يرجع الى ملكه ركب وحارب ابنه سليمان حتى هزمه عن المدينة وقتل فى هذه الوقعة نحو العشرين ألفا من بنى اسرائيل وهرب سليمان فلحقه قائد من قواد أبيه فلما ظفر بسليمان تركه للمجاهدة والغزوات هكذا نقله ابن كثير

﴿ذكر قصة داود وسليمان فى الحرث﴾ قال الله تعالى (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث) الاية * قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الحرث زرعا وذلك أنه دخل على داود رجلان واحد صاحب زرع والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا الرجل انفلتت غنمه ليلا فوقعت فى حرثى فأكلته ولم يبق منه شئ فقال داود عليه السلام لخصمه اعطه الغنم التى أكلت الزرع فى نظير زرعه وكان ابنه سليمان حاضرا فلما سمع ذلك قال لابيه انك لم تأت بشئ فيما قضيت به فقال له داود وكيف تقضى أنت بينهما فقال سليمان آمر صاحب الغنم بان يدفع الغنم الى صاحب الزرع سنة كاملة فيكون له نسلها ولبنها وأصوافها فاذا كان العام القابل وصار الزرع كهيئته يوم أكل سلمت الزرع الى صاحبه والاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء على ماقضيته أنت وحكم داود بما قاله ابنه سليمان ثم ان داود استخلف ابنه سليمان على بنى اسرائيل وكان لسليمان يومئذ ثلاث عشرة سنة فشق ذلك على بنى اسرائيل وقالوا كيف يستخلف علينا غلاما صغير السن وفينا من هو أعلم منه فلما بلغ داود ذلك جمع أعيان بنى اسرائيل من أسباط أولاد يعقوب عليه السلام فلما اجتمعوا قال لهم كيف تقولون فى أمر سليمان فليجئ كل منكم بعصا ويكتب اسمه عليها ويجئ سليمان بعصا ويكتب اسمه عليها ثم ادخلوا العصى كلها فى بيت واقفلوا بابه فمن أورقت عصاه فهو أحق بالخلافة فقالوا كلهم رضينا

ذلك فادخلوا عليهم كلها ووضعوها فى بيت وقفلوه كما أراد فلما أصبحوا وجدوا العصى كلها على حالها الا عصا سليمان فانها صارت مورقة فلما رأت بنو اسرائيل ذلك علموا أن سليمان هو الخليفة عليهم من بعد أبيه داود واستمر على عبادة الله تعالى معتكفا حتى مات قال ابن كثير لما مات داود مشى فى جنازته أربعون ألف راهب وعليهم البرانس السود ودفن فى خارج بيت المقدس عند بيت لحم وقيل دفن فى عنتاب وقبره مشهور يزار عليه السلام انتهى على سبيل الاختصار

﴿ذكر قصة نبى الله سليمان عليه السلام﴾ قال الله تعالى (وورث سليمان داود) قال الثعلبى كان لداود عليه السلام تسعة عشر ولدا وكان سليمان أصغر أولاده قال السدى كان سليمان أفقه من أبيه وأقضى منه فى الحكم ولكن كان داود أشد تعبدا قال السدى والثعلبى لم يملك الدنيا كلها سوى أربعة مؤمنين وكافرين فاما المؤمنان فهما سليمان بن داود وذو القرنين وأما الكافران فهما النمروذ بن كنعان وشداد بن عاد قال الله تعالى حكاية عن سليمان (قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) فاجاب الله دعاءه وأعطاه * سؤال لطيف قال بعض العلماء كيف طلب سليمان ملكا لا ينبغى لاحد من بعده والانبياء من شأنهم الزهد فى الدنيا * الجواب اعلم أن سليمان عليه السلام علم بذلك فقال أولا رب اغفر لى ثم طلب الملك بعد طلب المغفرة فقال وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى * قال السدى سبب طلب سليمان الدنيا أن جبرائيل عليه السلام جاء الى سليمان وقال ان الله تعالى يأمرك أن تمضى الى مكان كذا وكذا فان هناك امرأة أرملة ولها عند الله منزلة فامض اليها وارفع عنها حوائج الدنيا وجميع ما تحتاج اليه من أكل وكسوة وغير ذلك فقال سليمان لجبرائيل ان الله تعالى يعلم أنى عبد فقير لا أملك من الدنيا شيأ وكان سليمان يصنع القفف بيده ويبيعها ويأكل من ثمنها هو وعياله ولا يقرب بيت مال المسلمين فاوحى الله الى سليمان اطلب منى ما تريد فلما رأى الاذن من الله فى الطلب طلب وما قصر فطلب المغفرة والملك فاستجاب الله دعاءه وأعطاه الدنيا من مشرقها الى مغربها * وهب بن منبه ان سليمان لم يطلب الدنيا لنفسه وانما طلب أن يكون أمورها اليه حتى يعدل بين الناس وينصف المظلوم من الظالم ويجود على الفقراء والمساكين فان الدنيا مع العبد الصالح فى يده لا فى قلبه فان كان بالعكس فلهوى النفس وقول سليمان لا ينبغى لاحد من بعدى لان الله ألهمه العدل فى الرعية فعلم أن غيره لا يقدر على مثل عمله وكان سليمان متواضعا يجالس الفقراء والمساكين ويأكل معهم ويحدثهم كأنه منهم وكان لا يشبع بطنه من خبز الشعير ولا يلبس الا الصوف مع سعة ملكه ولا ينفق الا من عمل يديه قال وهب بن منبه ان الله تعالى سخر لسليمان الانس والجن والوحوش والطيور والريح فكانت الريح تحمل بساطه الى مسيرة شهر فى غدوة من النهار وهو قوله تعالى (غدوها شهر ورواحها شهر) قال السدى كان طول بساط سليمان فرسخا وعرضه فرسخا وهو

مركب على أخشاب * قال مقاتل ان الجان نسجت له البساط من حرير ملون وهو مرقوم بالذهب وكان يحمل عليه جنوده ودوابه وخيوله وسائر الانس والجن والوحش والطير وكان جيش سليمان ألف ألف انسان ويتبعها ألف ألف من الجان وغيرهم وكان هذا البساط يسير بين السماء والارض مثل السحاب ودونه الى الارض فان أراد أن يسيره بسرعة أمر الريح العاصف بحمل ذلك البساط فيسير كالبرق الى حيث شاء وكان البساط اذا سار لم يحرك انسانا ولا دابة ولا شجرة واذا مر على الزرع فى الارض لا يتحرك منه ورقة وكانت ريح الصبا واقفة بين يديه فاذا تكلم أحد من المشرق أو المغرب تحمل الريح ذلك وتلقيه فى أذن سليمان * قال الزمخشرى كان لسليمان كرسى من الذهب والفضة برسم الامراء والاعيان وحول ذلك الكرسى ثلاثة آلاف كرسى من الذهب والفضة * قال السدى كان لسليمان ألف قصر مبنية من قوارير وفيها ثلثمائة امرأة وألف سرية * قال كعب الاحبار كان جيش سليمان اذا نزل فى الفضاء يملأ مائة فرسخ فكان منها خمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان الطير يظله من حر الشمس وقت القائلة * قال الثعلبى كان مرتب مطبخ سليمان فى كل يوم مائة ألف شاة وأربعين ألف بقرة خارجا عن الفواكه والحلاوات وغير ذلك ومع هذا كله لم يرجع عن أكل خبز الشعير بالملح الجريش وكان الجن يغوصون له البحار ويستخرجون له منها الدرر الكبار ويجعلونها بين يديه وذلك قوله تعالى (ومن الشياطين من يغوصون له) الآية * قال الثعلبى ان سليمان كان اذا جلس فى موكبه تقف الغلمان الحسان على رأسه باطباق من الذهب وهى مملوأة من المسك السحيق وفيها صحاف من الياقوت الاحمر وفيها شئ من ماء الورد وفوقها طيور صغار مثل العصافير ترفرف باجنحتها وتنزل فى ماء الورد وتمرغ فى ذلك المسك وتطير وتنتفض على الكبير والصغير من جيشه قال السدى لم يقع لاحد من ملوك الارض مثل ما وقع لسليمان وذلك أن الريح مركبه والبحار خزائنه والجن خدمه والملائكة حفظته والطير من الشمس تظله والوحوش تحرسه وآصف بن برخيا وزيره والاسم الاعظم مكتوب على خاتمه * وقيل ان سليمان تأمل ذلك وأعجب بنفسه فمال البساط من تحته فى قوة سيره فهلك من جيشه نحو اثنى عشر ألف انسان فى ساعة واحدة فلما رآى سليمان ذلك ضرب البساط بقضيب كان فى يده وقال اعتدل أيها البساط فاجابه البساط من تحته وقال له اعتدل أنت ياسليمان حتى أعتدل أنا فعلم أن البساط مأمور فخر سليمان ساجدا * قال وهب بن منبه فلما اتسعت الدنيا عليه نسى الارملة التى تقدم ذكرها فلما تذكرها اضطرب وتوجه اليها وهو ماش على قدميه فوقف على بابها فاذنت له بالدخول فدخل فوجد المرأة عمياء وحولها ثلاث بنات فقالت ياسليمان يوصيك الله بى وتغفل عنى هذه المدة الطويلة فاعتذر لها سليمان من ذلك وقال لها منذ كم وأنت عازبة فقالت له منذ

عشر سنين ومعي ثلاث بنات ولم يكن لي ما يكفيهم من القوت فلما سمع سليمان ذلك حمل اليها مائة رحل ما بين قماش ومال وغير ذلك وقال لها متى فرغ من عندك شيء فارسلي أعلميني حتى أرسل اليك عوضه فان الله أمرني أن أكفيك هم الدنيا وأمر المعيشة قال أبو عمران الجوني بينما سليمان سائر على بساطه بين السماء والارض اذ مر برجل راع فلما رأى الراعي البساط وسليمان وجنوده ركوبا عليه قال لقد آتاك الله يا ابن داود ملكا عظيما لم ينله أحد قبلك فالقت الريح كلام الراعي الى سليمان فاحضر سليمان الراعي وقال له ان تسبيحة من مؤمن أفضل مما أوتي سليمان من هذا الملك كله * ومن لنكت الغريبة ما نقله الشيخ عبد الرحمن بن سلام المقري في كتاب الحقائق ان سليمان لما رأى أن الله تعالى أوسع له الدنيا وصارت بيده قال الهي لو أذنت لي أن أطعم جميع المخلوقات سنة كاملة فاوحى الله اليه انك لن تقدر على ذلك فقال الهي أسبوعا فقال الله تعالى لن تقدر فقال الهي يوما واحدا فقال تعالى لن تقدر فقال الهي مقصودي ولو يوما واحدا فاذن الله تعالى له في ذلك فامر سليمان الجن والانس بان يأتوا بجميع ما في الارض من أبقار وأغنام ومن جميع ما يؤكل من أجناس الحيوانات من طير وغير ذلك فلما جمعوا ذلك اصطنعوا له القدور الراسيات ثم ذبح ذلك كله وطبخه وأمر الريح ان تهب على الطعام لئلا يفسد ثم مد ذلك الطعام في البرية فكان طول ذلك السماط مسيرة شهرين وعرضه مثل ذلك ثم أوحى الله اليه يا سليمان بمن تبتدئ من المخلوقات فقال سليمان أبتدئ بدواب البحر فامر الله حوتا من البحر المحيط أن يأكل من ضيافة سليمان فرفع ذلك الحوت رأسه وقال يا سليمان سمعت أنك فتحت باب الضيافة وقد جعلت عليك ضيافتي في هذا اليوم فقال سليمان دونك والطعام فتقدم ذلك الحوت وأكل من أول السماط فلم يزل يأكل حتى أتى آخره في لحظة ثم نادى أطعمني يا سليمان وأشبعني فقال له سليمان أكلت الجميع وما شبعت فقال الحوت أهكذا يكون جواب أصحاب الضيافة للضيف اعلم يا سليمان أن لي في كل يوم مثل ما صنعت ثلاث مرات وأنت كنت السبب في منع راتبي في هذا اليوم وقد قصرت في حقي فعند ذلك خر سليمان ساجدا لله تعالى وقال سبحان المتكفل بارزاق الخلائق من حيث لا يعلمون وقد قيل في المعنى

رزقي يأتي وخالقي يكفله * لا أقصد غيره ولا أسأله

ان كنت أظن أنه من بشر * لا قدره الله ولا يسره

ومن النكت اللطيفة ما ذكره ابن الجوزي في كتاب الاذكياء ان الهدهد قال يوما لسليمان أريد أن تكون في ضيافتي يوم كذا وكذا فقال له سليمان أنا وحدي قال لا بل أنت وجنودك فلما جاء يوم الميعاد توجه سليمان هو وجنوده الى ضيافة الهدهد ونزل بجزيرة الهدهد فطار الهدهد الى الجو وغاب ساعة ثم أتى وفي فمه جرادة فخنقها ورمى بها في البحر وقال له يا نبي الله تقدم وكل أنت وجنودك ومن

فانه اللحم فعليه بالمرقة فضحك عليه سليمان فصار كلما تذكر تلك الضيافة سليمان يضحك ومن النكت مثل ذلك القنبرة أضافت سليمان وأتته ببعض جرادة فقيل فى معناها

أتت سليمان يوم العرض قنبرة * تهدى اليه جرادا كان فى فيها
وأنشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا وما فيها

﴿ذكر قصة تزويج سليمان ببلقيس﴾ قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه الصلاة والسلام جالسا على سرير مملكته اذ وقع عليه ضوء الشمس وكان الطير يظله من حر الشمس فكان ذلك المكان الذى وقع منه البعض من نور الشمس مكان الهدهد لانه تفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد ودعا بالعقاب وكان عريف الطير فقال له أين الهدهد فارتفع العقاب ونظر يمينا ويسارا فلم يره فعاد وقال انه غائب وفى المعنى أنشد بعضهم

ومن عادة السادات أن يتفقدوا * أصاغرهم والمكرمات عوائد
سليمان ذو ملك تفقد طائرا * وكان أقل الطائرات الهداهد

فعند ذلك قال سليمان قاصدا الهدهد لأعذبنه عذابا شديدا الآية قال بعض العلماء فى المعنى عذابه الشديد ماهو فقيل بان ينتف ريشه ويسلمه الى النمل فى القيلولة أو يضعه مع غير جنسه أو يذبحه فلما أقبل الهدهد تلقاه العقارب وأخبره بما قاله سليمان فلما وصل اليه وقف بين يديه وخفض جناح الذل فلما رأى سليمان ذلك منه رق له ولم يعجل عليه وسأله عن سبب غيابه وقال الهدهد أحطت بما لم تحط به علما فقال سليمان وما هذه الدعوى العريضة قال انى وجدت امرأة بارض اليمن لم يكن فى قصرك مثلها ولم تقع العيون على أحسن منها واسمها بلقيس ولها عرش عظيم أى أكبر من عرشك وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله تعالى قال الطبرى ان اسم بلقيس بلقمة وهى بنت هداد بن شرحبيل فلما بلغ سليمان سيرة بلقيس وانها تسجد للشمس من دون الله أخذ سليمان يدعوها للاسلام فقال للهدهد سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون وكان مضمون كتاب سليمان انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وائتونى مسلمين فاخذ الهدهد كتاب سليمان ومضى به الى أرض سبأ وهو قوله وجئتك من سبأ أى من نواحى اليمن فسار الهدهد والطيور حوله وألبسه سليمان التاج على رأسه فحمل الكتاب فى منقاره وصار يدعى من يومئذ رسول سليمان فلما وصل الى قصر بلقيس وكان وقت القائلة وجدها على سريرها نائمة وكان فى قصرها ثلاثمائة وستون كوة تشرق الشمس كل يوم من كوة فلا تعود اليها الا فى سنة أخرى فى مثل ذلك اليوم وكان لذلك القصر سبعة أبواب فلما أتى

الهدهد بالكتاب دخل به من الكوّة التي تقابل وجه بلقيس وألقى الكتاب على صدرها ثم رجع الى تلك الكوّة التي دخل منها لينظر ماذا تصنع فلما انتبهت من منامها وجدت الكتاب على صدرها فلما قرأته قبلته ووضعته على رأسها قال السدي لما ألقى الهدهد الكتاب على صدر بلقيس طار الشرك من قلبها ومالت الى الاسلام ثم انها أمرت باحضار قومها وقالت يا أيها الملأ اني ألقي الى كتاب كريم قيل كرامته ختمه فاعلمتهم بما في الكتاب فلما سمعوا ذلك قالوا نحن أولو قوّة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين وكانت بلقيس تحكم على اثنى عشرة قبيلة من قبائل اليمن فلما قال قومها نحن أولو قوّة وأولو بأس شديد قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون وكانت بلقيس من ذوات العقول فدبرت ملك اليمن وساست الرعية أحسن سياسة قال قتادة ان بلقيس أرسلت الى سليمان هدية حافلة أرسلت خمسمائة لبنة من الذهب ومثلها من الفضة وزن كل لبنة مائة رطل وخمسة أسياف من الصواعق وتاجين من الذهب فيهما من الجواهر النفيسة واليواقيت والزبرجد وأرسلت اليه حقه فيها درة ثمينة وخرزة من الجزع وهي معوجة الثقب وأرسلت خمسمائة جارية وخمسمائة غلام مرد وألبست الغلمان لبس الجواري والجواري لبس الغلمان ثم أمرت الغلمان أن يتكلموا بكلام لين والجواري تتكلمن بكلام غليظ وأرسلت مع تلك الهدية رجلا من عقلاء قومها يقال له المنذر بن عمرو وكتبت له كتابا بشرح الهدية وقالت ان كنت نبيا فميزلنا بين الجواري والغلمان وأخبر بما في الحقة قبل أن تفتحها واثقب الخرزة ثقبا مستويا من غير علاج انس ولا جان وانظم الخرزة كذلك ثم قالت للرسول انظر اليه فان كان نظره اليك بغير غضب فهو نبي والا فهو ملك فلا يهولنك أمره وافهم قوله ورد على الجواب كما تسمعه منه فلما توجه الى سليمان سبقه الهدهد وأخبر سليمان بالهدية وبما قالته بلقيس جميعه فلما سمع سليمان بذلك رضي على الهدهد وصارت له فضيلة على سائر الطيور وصار يرى الماء تحت الارض فكان دليل سليمان الماء في سفره وصار من الطيور المباركة ثم ان سليمان أمر الجن أن يعملوا لبنا من ذهب وفضة ويفرشوها على طريق جماعة بلقيس فلما فرشوها كانت مقدار سبع فراسخ ثم أمرهم أن يجعلوا بين اللبنات موضعا خاليا على قدر اللبنات التي مع رسول بلقيس قدرا وعددا وجلس سليمان على كرسيه فامر الجن أن يأتوه باحسن دواب البر والبحر فيجعلوها عن يمين الديوان وعن شماله وجعل من حوله الانس والجن والطيور عاكفة فوق رأسه والوحوش حول ذلك كله فلما وصل رسول بلقيس ومر على تلك اللبنات الذهب والفضة ورأى المحل الخالي بين اللبنات خاف أن يتهم فوضع الخمسمائة لبنة في ذلك المحل الخالي الذي جعله سليمان قصدا ومازال بعد ذلك سائرا حتى دخل الرسول على سليمان فنظر اليه

نظرة البشاشة وقال له أين الحقة التي معك فاتاه بها فقال قبل أن يفتحها سليمان للرسول ان فيها درة مثمنة من غير ثقب وفيها خرزة من جزع وهي معوجة الثقب فقال الرسول صدقت يا نبي الله ثم ان سليمان أمر الارضة وهي دويبة صغيرة فاخذت شعرة في فيها ودخلت في تلك الخرزة وخرجت من الجانب الآخر وأمر دودة بيضاء أن تثقب تلك الدرة فثقبتها ثقبا مستويا ثم نظمها وأعطاهما للرسول ثم أمر الجواري والغلمان بان يغسلوا وجوههم بين يديه بايديهم فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها الواحدة ثم تجعله في الاخرى فتضرب بها وجهها والغلام ياخذ الماء من الاناء دفعة واحدة ويضعه على وجهه * قال الثعلبي كانت الجارية تصب الماء على باطن كفها والغلام يصب الماء على ظاهر كفه فعند ذلك ميز بين الجواري والغلمان ثم رد جميع الهدية الى الرسول فلما رجع الرسول الى بلقيس أخبرها بجميع ما رأى وبما سمع وبما شاهده من عظيم ملكه فقالت بلقيس هو نبي وليس لنا بحربه طاقة ثم انها أرسلت تقول لسليمان انى قادمة اليك أنا وقومي لانظر ما الذي تدعونا اليه من دينك وعزمت على التوجه اليه وجعلت عرشها في قصرها واغلقت عليه الابواب وجعلت عليه حراسا وأوصتهم بحفظه ثم انها توجهت الى سليمان في اثنى عشر ألفا من قومها فلما نزلت على مقدار فرسخين من مدينة سليمان بلغه ذلك فاراد أخذ عرش بلقيس قبل أن تصل اليه ليريها قدرة الله تعالى وما أعطاه من المعجزات فجمع أهل المعارف من قومه وقال أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين أي قبل أن يؤمنوا بالله فيحرم علينا أخذ أموالهم ثم انه أحضر الجن وقال لهم ذلك وكان فيهم عفريت من الجن يقال له صخر الجني قال له أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك هذا أي من مجلسك الذي تقضي فيه بين الناس وهو من أول النهار الى نصفه وهو وقت الزوال وقال العفريت واني عليه لقوي أمين أي أمين على الجواهر التي هي مرصعة به فقال سليمان أريد أسرع من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال مقاتل هو جبرائيل عليه السلام وقال السدي هو أبو العباس الخضر عليه السلام وقال مجاهد هو آصف ابن برخيا وكان يحفظ الاسم الاعظم فقال انظر يا نبي الله الى جهة اليمين فنظر فارجع نظره الا والعرش قد ظهر قدام كرسي سليمان وكان مجيئه من مسيرة شهرين فلما رآه مستقرا عنده في أيسر مدة قال هذا من فضل ربي فلما وصلت بلقيس ودخلت على سليمان قال أهكذا عرشك قالت كأنه هو فعلم سليمان انها امرأة عاقلة حيث لم تثبت أنه هو ولم تنفه لاشتباهه عليها فشبهت عليه كما شبه هو عليها ثم قال لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة أي ماء وكشفت عن ساقيها فرأى سليمان على ساقيها شعرا مثل شعر المعز فصرف وجهه عنها وقال انه صرح ممرد من قوارير أي زجاج مستور وليس ماء ثم انه دعا بلقيس الى الاسلام فاسلمت على يده فاراد سليمان أن يتزوج بها ولكن كره منها ذلك الشعر فشكا ذلك الى بعض

الجن فصنع لها النورة فزال ذلك الشعر من بدنها جميعه فهي أول من استعمل النورة ثم ان سليمان تزوج بها وأحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها باليمن وأمر الجن أن يبنوا لها ثلاثة قصور في بلاد اليمن أحسن من قصورها وكان سليمان يزورها في الشهر مرة وأقامت معه الى أن ماتت بعده بمدة يسيرة وكان لسليمان من الزوجات نحو ثلاثمائة ومن السراري نحو سبعمائة فقام في ذهنه يوما أن يطوف على نسائه كلهن فتحمل كل واحدة بغلام فيجاهدون كلهم في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن في تلك الليلة فلم تحمل منهن امرأة سوى واحدة قد جاءت بولد بنصف جسد (قال النبي صلى الله عليه وسلم) والذي نفسي بيده لو قال أخي سليمان ان شاء الله لجاءت له فرسان يجاهدون في سبيل الله كلهم قال العزيزي بينما سليمان سائر في بعض الغزوات اذ مر بواد النمل فرأى نملة قدر الذئب العظيم وهي عرجاء ولها جناحان فدنا منها سليمان فسمعها تقول لبقية النمل يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها ثم قال ائتوني بها فقال لها أيتها النملة لم حذرت النمل مني ومن جنودي أما علمت أني نبي لم أظلم فعفا عنها ولم يدخل الوادي الذي فيه النمل قال بينما سليمان جالس في وقت القائلة واذا بخيل أسرع من الهواء وردت الماء وشربت منه ثم أدبرت مسرعة كالريح فجمع سليمان الجن وقال أريد أن تحضروا الى هذه الخيل فقال بعضهم لا طاقة لنا بها وقال بعض الجن نتحايل في قبضها فوضعوا خمرا في ذلك المكان بعد أن صرفوا الماء فلما جاءت الخيل لتشرب نفرت من رائحة الخمر ثم جاءت ثانيا فشمت رائحة الخمر فصارت تأبى وتنفر حتى أضرها العطش فشربت من ذلك الخمر فسكرت فأتتها الجن ومسكوها ووضعوا اللجم في أفواهها وركبوها فلما أفاقت من السكر أرادت أن تنفر فلم تقدر أن تنفر من اللجم فعرضوها على سليمان فاشتغل بها ففاتته صلاة العصر فلما رأى أن العصر قد فاته بكى وجعل يستغفر الله فرجعت الشمس له حتى صلى العصر حاضرا فلما فرغ من صلاته قال ردوها على وطفق يقطع رؤسها وسوقها أي قوائمها لانها كانت سبب المعصية وفي شريعته يلزم زوال ذلك السبب الذي حصلت به المعصية فقتل نحو سبعمائة فرس وهرب البعض وبقي البعض وقد استمرت تلك الخيول تتناسل من ذلك اليوم فكان من نسلها الخيول الجياد السوابق الى الآن المعروفة بالاصايل

﴿ذكر قصة خاتم سليمان بن داود عليهما السلام﴾ قال وهب بن منبه كان سليمان لا يزال الخاتم معه في أصبعه دائما لا يفارقه ليلا ولا نهارا وكان اذا دخل الخلاء نزعه من أصبعه ووكل به أحدا ممن يثق به وكان على ذلك الخاتم مكتوب الاسم الاعظم ففي مرة دخل الخلاء وكان قد نزعه وأعطاه لجارية فجاء بعض الشياطين الى تلك الجارية على صورة سليمان ولم تشك فيه الجارية فأخذ الخاتم منها

ووضعه فى أصبعه وخرج الى الديوان وجلس على الكرسى فجاءت الجنود من الانس والجن والطيور ووقفت بين يديه على عادتها ويظنون أنه سليمان فلما خرج سليمان من الخلاء طلب الخاتم من الجارية فنظرت اليه فرأت هيئته تغيرت فقالت له ومن أنت فقال لها أنا سليمان بن داود فقالت له سليمان أخذ خاتمه وذهب وجلس على كرسيه فعلم سليمان أن شيطانا احتال عليها فأخذ منها الخاتم ففر سليمان الى البرارى والقفار وقد زاد به الجوع والعطش فكان بعض الاحيان يسأل الناس ليطعموه ويقول أنا سليمان بن داود ولم يصدقه الناس فاقام على هذه الحالة أربعين يوما جائعا بأثواب خلقة مكشوف الرأس ثم انه أتى الى ساحل البحر فرأى جماعة من الصيادين فاصطحب بهم وعمل صيادا معهم ثم ان آصف بن برخيا قال يامعشر بنى اسرائيل ان خاتم سليمان قد احتالت الشياطين عليه فسرقوه وان سليمان خرج هاربا على وجهه فلما سمع الشيطان الذى على الكرسى ذلك الكلام خرج هاربا الى البحر وألقى فيه الخاتم فالتقمه حوت من حيتان البحر ثم ان سليمان اصطاد ذلك الحوت بامر الله تعالى فشق بطنه واذا هو بالخاتم فوضعه فى أصبعه وسجد لله شكرا ثم انه قام من وقته ورجع الى كرسيه وجلس عليه وذلك قوله تعالى ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا الآية (قال وهب بن منبه) وكان سبب أخذ الخاتم وعوده اليه أن سليمان خرج فى بعض الغزوات فظفر بملك من ملوك اليونان فقتله واحتوى على ملكه وأمواله وأسر أولاده وكان فى أولاده جارية حسناء لم تر العيون أحسن منها فاحبها سليمان حبا شديدا فكان لا يصبر عنها ساعة وكان يؤثرها بالمحبة على سائر نسائه فدخل عليها يوما فرآها مهمومة فقال لها مابالك قالت قد تذكرت أبى وما كان عليه من الملك وأريد منك أن تأمر بعض الشياطين بان يصور لى صورة أبى وهيئته حتى يذهب عنى الحزن كلما نظرت اليه فامر سليمان عفريتا من الجن يقال له صخر المارد بان يصور لها هيئة أبيها فصنع لها صخر صنما كهيئة أبيها يكاد أن ينطق فزينته وألبسته التاج والحال وصارت اذا خرج سليمان الى جنوده تسجد لذلك الصنم هى وجميع من عندها من الجوارى فدامت تلك الجارية على ذلك أربعين يوما وسليمان لا يعلم بالسجود لذلك الصنم فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا لسليمان فجلس على كرسى سليمان وجعل يعظ الناس فأثنى على من مضى من الانبياء عليهم السلام جميعهم الا سليمان فلم يذكره بشئ فتغير سليمان بسبب ذلك فلما فرغ آصف من المجلس وقام وتفرقت بنواسرائيل قال سليمان لآصف لم تذكرنى مع جملة من ذكرت فقال آصف وكيف أذكرك وقد عبد فى ادرك صنم من منذ أربعين يوما لاجل امرأة ثم ان سليمان أمر بكسر ذلك الصنم وعاقب تلك الجارية ودخل الى معبده وصار يبكى ويتضرع الى الله تعالى فابتلاه الله بذهاب الخاتم ونزع الملك منه مقدار ما عبد الصنم فى داره (قال أبو بكر الحافظ) كان قد وقع قحط فى بنى

اسرائيل زمن سليمان عليه السلام فخرجوا يستسقون فرسليمان بنملة ملقاة على قفاها رافعة يديها نحو السماء وهى تقول اللهم نحن خلق من خلقك ضعاف لاقوة لنا فلا تهلكنا ولا تؤاخذنا بذنوب غيرنا فلما سمعها سليمان قال ارجعوا فقد سقيتم بدعاء غيركم

﴿ذكر وفاة سليمان عليه السلام﴾ قال العزيزى ان ملك الموت أتى الى سليمان وكان صديقاله وكثيرا مايزوره فقال سليمان متى موتى فقال له عزرائيل عليه السلام وقت موتك اذا نبت من موضع سجودك شجرة الخروب فاذا رأيتها فهو وقت وفاتك وكان سليمان اذا صلى ببيت المقدس ينبت فى مكان سجوده شجرة فيسأل الشجرة عن اسمها فتقول اسمى كذا ومن منافعى كذا ومن مضارى كذا فيكتب ذلك ويأمر بغرسها فى بستان له فبينما هو يصلى ذات يوم اذ رأى شجرة نبتت بين يديه فقال لها ما اسمك فقالت له اسمى الخروبة قد جئتك بالاشارة لموتك وخراب هذا المسجد يعنى بيت المقدس فلما سمع سليمان كلامها أمر بغرسها فى حائط البستان وكتب منافعها ومضارها ثم لبس أكفانه ودخل الى محرابه واتكأ على عصاه وقال اللهم اكتم موتى عن الجن حتى يعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب فاتاه ملك الموت وقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يزل كذلك سنة كاملة ولم يشعر أحد من الانس والجن بموته وقد سلط الله تعالى الارضة على العصا فاكلتها شيأ فشيأ فخر ملقى على الارض لما سقطت به العصا فعلموا أنه قد مات من سنة مضت وهو قوله تعالى مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبين للانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين من بناء بيت المقدس وغيره (قال) وهب بن منبه لما تولى الملك سليمان من أبيه داود كان عمره يومئذ ثلاثا وعشرين سنة وتوفى سليمان وله من العمر مائة وثمانون سنة واختلفوا فى مكان قبره قيل دفن فى طبرية وقيل ببيت لحم وقيل عند أبيه داود ببيت المقدس فى المسجد وقبره هناك مشهور يزار والله أعلم انتهى على سبيل الاختصار

﴿ذكر خبر بلوقيا وبناء بيت المقدس﴾ قيل ان بلوقيا الاسرائيلى طاف فى الارض فمر بالبحر الثانى فرأى جبلا فيه كهف فدخل فى ذلك الكهف فرأى سريرا من الذهب وعليه رجل ملقى على قفاه ويده على صدره والاخرى على بطنه وهو كالنائم وفى أصبعه خاتم عليه أربعة أسطر ورأى عند رأسه تنينين عظيمين فاراد بلوقيا أن يأخذ الخاتم من أصبعه فقام اليه التنينان وصعدت من أفواههما النار وسمع قائلا يقول ويلك يابلوقيا أتجسر على نبى الله سليمان وتنزع خاتمه من أصبعه فخرج بلوقيا وهو مرعوب (قال الثعلبى) أوحى الله الى داود عليه السلام أن يتخذ فى بيت المقدس مسجدا فشرع فى بنائه ومات قبل أن يستكمله فلما توفى داود أوصى ابنه أن يتمه فجمع سليمان الانس والجن وقسم عليهما الاعمال فى البناء والسقوف والرخام ثم انه جعل فيه اثنى عشر رباطا وأنزل كل سبط فى رباط

وأمر الجن أن يأتوه بمعادن الذهب والفضة والرخام الملون ومعادن الحديد والنحاس والخشب وغير ذلك ثم جعل فى وسط المسجد قبة وجعل فيها عمودا أحمر من الذهب يتلألأ كالشمس فتستضيء به المسافرون فى الليل وجعل تحت القبة اصطبلا لدوابه ووضع فيه المعالف لخيوله وهى باقية الى الآن تزار وجعل طول ذلك المسجد سبعمائة ذراع بذراع العمل وجعل عرضه أربعمائة وخمسين ذراعا ثم سقفه بخشب الساج وصفحه بالذهب والفضة ووضع فيه الجواهر واليواقيت من سائر المعادن وجعل فوق ذلك السقف ألواحا من الرصاص لاجل حفظه من الامطار وفرش أرض المسجد بالرخام الملون فلم يكن يومئذ أحسن منه بناء فلما فرغ من بنائه صنع لجنوده وليمة حافلة * قال السدى وكان بهذا المسجد من العجائب لوح من الرخام الابيض اذا نظر فيه انسان وكان ولد زنا اسود وجهه فيفتضح بين الناس وكان به عصا من الآبنوس اذا مسها أحد وكان من أولاد الانبياء لم تضره واذا مسها أحد وكان من نسل غير الانبياء احترقت يده وكان كلب من الخشب اذا مر به من كان عنده شئ من علم السحر نبح عليه فيعلم الناس أنه ساحر ويسلب منه علم السحر وكان فى المسجد باب اذا دخل منه ظالم ضاق عليه ذلك الباب حتى يتوب وكان بهذا المسجد السلسلة المقدم ذكرها وكان به عجائب كثيرة لا يسمع بمثلها قال العزيزى أقام سليمان فى بناء هذا المسجد أربعين سنة وكان فيه من البنائين سبعون ألف بناء ومن النجارين ثمانون ألفا وكان له فى كل ليلة ألف رطل دمشقى من الزيت برسم القناديل (قال) كعب الاحبار كان يجيء لهذا المسجد من البلاد كل سنة ستمائة قنطار من الذهب والفضة لاسيما من بلاد الروم (وروى) فى بعض الاخبار ان صخرة بيت المقدس يخرج من تحتها ماء عذب من سائر البحار العذبة ثم تتفرق فى الارض وفيه دفن كثير من الانبياء ولم يزل هذا المسجد عامرا حتى ظهر بختنصر وخرب البلاد فخربه فى جملة ما خربه قال الثورى لما خرب بختنصر المسجد حمل منه ألف جمل من الذهب والفضة والجواهر انتهى

﴿ذكر بختنصر البابلى﴾ وقيل اسمه بخت فارسى وذكر ما وقع له مع أرمياء عليه السلام قال وهب بن منبه كان أرمياء من سبط أولاد يعقوب عليه السلام (قال) السدى أرمياء استخلف على بنى اسرائيل فاوحى الله اليه ان هلاك بنى اسرائيل على يد رجل يقال له بختنصر وهو من ملوك بابل وكان بختنصر المذكور من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان قد عمر دهرا طويلا قيل انه عاش ألفا وخمسمائة سنة فلما سمع أرمياء ما أوحى الله تعالى اليه بكى وصاح وأتى الى ملك بنى اسرائيل وكان رجلا مؤمنا صالحا فاخبره بما أوحى الله اليه فلما سمع ذلك جمع أعيان بنى اسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى الى أرمياء وحذرهم من نزول هذه النقمة بهم وكان يحذرهم من أمور كثيرة وابعد ذلك الوحى ثلاث سنين وهم لا يزدادون الا طغيانا وفسقا ومعاصى فلما حلت بهم نقمة الله خرج

بختنصر عليهم وأتى من نحو بابل وكان صحبته ستمائة ألف أمير من أمرائه واقفون بالرايات عند الجند والعشائر فلما زحفوا على البلاد ووصلوا الى بيت المقدس قال أرمياء اللهم ان كان بنو اسرائيل على طاعتك فابقهم وان كانوا عاصين فاهلكهم بشئ من قدرتك فحين دعا أرسل الله صاعقة من السماء على بيت المقدس فاهلكت من بنى اسرائيل جانبا عظيما وأحرقت مكان القربان ثم دخل بختنصر الى بيت المقدس بمن معه من الجنود فهدم مسجد سليمان بن داود وأمر رجاله أن يرموا فيه ترابا فملؤه بالتراب ثم بالجيف وذبحوا فيه الخنازير وأحرقوا التوراة التى كانت به ثم شرعوا فى القبض على بنى اسرائيل من كبير وصغير وصاروا يقتلونهم واستمر بختنصر ينهب ويقتل ويخرب فى البلاد والجوامع ويقتل الناس من الفرات الى العريش وهو على ما ذكرناه من القتل والنهب والخراب ولم يرحم كبيرا لكبره ولا صغيرا لصغره (قال) قال الثعلبى ولم يبق من بنى اسرائيل رجل الا وقتله وأما الاطفال ففرقها على جنوده فاصاب كل رجل أربعة أولاد (قال) وكان فى هذه الاطفال جماعة من الاسباط من أولاد يعقوب ويوسف عليهما السلام وكان فيهم جماعة من أهل بيت داود وكان فيهم دانيال عليه السلام وكان يومئذ صغيرا لم يبلغ الحلم وهو قوله فجاسوا خلال الديار ثم ان بختنصر جعل الاسارى على ثلاث فرق فالشيوخ والعجائز لم يترك منهم وجعل النساء الشابات فى الاسواق للبيع والشراء وفرق الاطفال وقتل الشبان والشجعان وحمل الاموال والتحف ورحل ورجع الى الشام ثم توجه الى مصر ففتك فى القبط بالسيف وخرب ما كان بها من العمارات العجيبة والطلسمات وأخذ الاموال والتحف ورحل عنها وتركها خرابا بلقعا وبقيت مصر خرابا مدة أربعين سنة لاساكن بها فكان النيل ينفرش على الارض ويذهب ولا يزرع أحد عليه ثم ان بختنصر توجه الى بلاد الغرب ففعل كذلك ثم توجه الى بلاد السودان وفعل كذلك وهو أوّل من أحدث الكمين من العساكر فى الحرب فكان بختنصر نقمة فى الارض وجعله الله كالطاعون فى الارض وقد ورد فى الاخبار عن الله عز وجل أنه قال من عصانى ممن يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى ثم رجع بعد ذلك بختنصر الى بابل قال الله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة الآية فمن يومئذ تفرقت بنو اسرائيل فى البلاد خوفا من بختنصر فنزلت طائفة بيثرب وطائفة ببابلة وغير ذلك من الاماكن واستمر بيت المقدس خرابا مدة سبعين سنة حتى عمره شخص من ملوك الفرس يقال له كيرش (قال) فمن يومئذ فقدت التوراة ونسى أمرها وصار بنو اسرائيل لا يعرفون منها حرفا واحدا حتى ردها الله تعالى على لسان العزير عليه السلام (قال) السدى ان بختنصر خرب بهذه الحركة نصف الدنيا انتهى ما أوردناه على سبيل الاختصار

﴿ذكر قصة العزير عليه السلام﴾ قال الله تعالى أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها

قال أنى يحيي الله هذه بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه أى لم يتغير (قال) قتادة طعامه من التين الاخضر (قال) الطبرى كان طعامه من العنب الاسود وقد أتى عليه مائة عام ولم يتغير قال الله تعالى (وانظر الى حمارك) وكان حماره قد أماته الله بعده فأحيا الله أولا رأس العزير فصار ينظر الى العظام وكيف يكسوها الله لحما وأحيا له الحمار فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير (قال) السدى جاء بعد بختنصر ملك من الجبابرة يقال له برداس وكان بمدينة أذربيجان وكان على دين المجوس فاباح للناس نكاح الامهات والاخوات وعبادة النيران ولم يزل هذا الحل معمولا به عند الفرس الى زمن كسرى أنوشروان فابطله فى أيامه انتهى

﴿ذكر قصة دانيال عليه السلام﴾ قال الثعلبى لما أسر بختنصر الاطفال كما تقدم وأسر من جملتهم دانيال وأخذه معه الى أرض بابل فسجن دانيال وسجن معه جماعة من الاسباط ثم ان بختنصر رأى فى منامه رؤيا أفزعته فسأل الكهان عنها فلم يجيبوه بشئ فجاء السجان وقال لبختنصر ان عندنا فى السجن شابا يدعى أنه يفسر ما رأيت فقال ائتونى به فلما حضر بين يديه لم يسجد له فقال لاى شئ لم تسجد لى فقال دانيال لا ينبغى السجود لغير الله فعجب منه وقص عليه ما قد رآه قال دانيال هذا أمر سهل وكانت الرؤيا أنه رأى صنما رأسه من نحاس ونخذه من حديد وساقه من فخار ورأى حجرا نزل من السماء على ذلك الصنم فكسره ثم انتشر ذلك الحجر حتى ملأ المشرق والمغرب ورأى شجرة أصلها فى الارض وفرعها فى السماء ورأى عليها رجلا وبيده فاس يقطع بها فروع تلك الشجرة ثم ترك أصلها قائما على حاله فلما سمع دانيال فسر له ذلك على أحسن وجه ثم ان بختنصر أكرم دانيال وقربه وصار لا يتصرف فى شئ الا برأيه فلما رأى المجوس ذلك نموا لبختنصر عنه وحسدوه منه فأمر بقتله فحفر له أخدودا فى الارض وألقاه فيها وألقى معه سبعين ضاريين فلما بات تلك الليلة وأصبح وجده بختنصر لم تضره السباع فقربه الملك بختنصر فحسده المجوس واتهموه فقالوا لبختنصر ان دانيال يقول انك تبول فى الفراش كلما نمت وكان ذلك عارا عند الملوك فأمر بختنصر بوليمة وأحضر دانيال اليها فلما جاء الليل أمر بختنصر دانيال أن ينام عنده تلك الليلة على فراشه وقال بختنصر للبوابين اذا خرج عليكم من يريد أن يبول فاقطعوا رأسه ولو كنت أنا فلما نام دانيال هو وبختنصر على فرش واحد حبس البول عن دانيال وانطلق على بختنصر فكان هو أول من قام يريد الخلاء فمضى وهو يسحب أذياله ولا يستطيع أن يرفع قامته من البول فرآه الحجاب فقاموا اليه بالسيوف فقال أنا بختنصر فقالوا كذبت انه أمرنا أن نقتل من خرج يريد البول فقتلوه بما اختاره وأهلكه الله لدانيال وأنجى الله دانيال ﴿ذكر﴾ بعض المؤرخين أن بختنصر مسخه الله وأقام ممسوخا سبع سنين على

صورة نور فكان ذلك تأويل رؤياه فلما مات تولى بعده ابنه بلسطاس فاقام بعد أبيه أربعين سنة ثم ان دانيال توجه الى جهة اسكندرية وأقام بها الى أن مات ودفن هناك وقبره مشهور يزار عليه السلام وهو أول من فرق بين الشهود عند الشهادة قال العزيزى لما فتحت مدينة الاسكندرية فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يد عمرو بن العاص ودخلها المسلمون رأوا مخباة مقفولة باقفال من الحديد ففتحوها فوجدوا فيها حوضا من الرخام الاخضر مغطى برخامة خضراء فكشفوها فاذا فيها رجل عليه أكفان منسوجة بالذهب عظيم الخلقة فقاسوا أنفه فزاد على شبر فارسلوا ليعلموا عمر بن الخطاب فاحضر عليا رضى الله عنهما وأخبره بذلك فقال على رضى الله عنه هذا نبى الله دانيال فارسل عمر رضى الله عنه بان يجددوا له أكفانا فوق ماعليه من الاكفان وان يحصن قبره حتى لا يقدر أحد على حفره فحفروا له قبرا فى مدينة الاسكندرية

﴿ذكر قصة لقمان الحكيم عليه السلام﴾ قال وهب بن منبه كان لقمان عبدا صالحا ولم يكن نبيا وقال عكرمة كان نبيا من أنبياء بنى اسرائيل وكان أصله عبدا حبشيا وقيل نوبيا وكان اسمه لقمان ابن سرون وكان لرجل قصار من بنى اسرائيل من أهل مدينة أيلة فاشتراه بثلاثين دينارا فاقام عنده مدة ثم أعتقه وكان ينطق بالحكمة وكان مقيما بمدينة الرملة قريبا من بيت المقدس فكان بنو اسرائيل يأتون اليه ليسمعوا منه الحكمة والموعظة فلما اشتهر بالحكمة جاء اليه رجل من عظماء بنى اسرائيل وقال يا لقمان ألم تكن عندنا بالامس عبدا لفلان قال نعم فقال من أين لك هذه الحكمة قال بصدق الكلام وبترك مالا يعنى وكان نبى الله داود عليه السلام يأتى اليه ليسمع منه الحكمة ولم يزل لقمان بمدينة الرملة حتى مات بها ودفن بين المسجد الذى بها وبين السوق قال السدى دفن حول قبر لقمان سبعون نبيا ماتوا كلهم فى يوم واحد بالجوع والعطش وكان قد حاصرهم ملك من بنى اسرائيل حتى ماتوا وقد ذكر الله لقمان فى القرآن العظيم حيث قال ولقد آتينا لقمان الحكمة الآية (قال) وهب بن منبه كان من الانبياء ثلاثة سود الالوان لقمان وذو القرنين ونبى الله صاحب الاخدود

﴿ذكر قصة صاحب الاخدود﴾ قال وهب بن منبه كان ملك من ملوك الفرس جبارا عنيدا سكر ذات ليلة فنكح أخته فلما أفاق من سكره جمع العلماء الذين فى زمانه وقال لهم كيف الخلاص مما وقعت فيه فلم يجيزوا له ذلك فقالت أخت الملك ان من الرأى ان تخرج الى أهل مملكتك وتخبرهم بان الله قد أحل نكاح الاخوات ففعل فانكر عليه نبى ذلك الزمان الذى بعثه الله اليهم فلما بلغ الملك انكار النبى عليه أحضره بين يديه وقال له أخبر الناس بان الله قد أحل نكاح الاخوات فامتنع من ذلك وقال ان هذا لا يجوز ولا يحل ولا نكذب على الله فامر الملك بان يقتل فحفر له اخدودا فى الارض

وجعل فيها نارا موقدة وقذفه في تلك النار وقذف معه اثني عشر ألف انسان من العلماء من بني اسرائيل ممن خالف أمره انتهى

﴿ذكر قصة بلوقيا﴾

قال الثعلبي كان في زمن بني اسرائيل رجل يقال له ايشا وكان من علماء بني اسرائيل وكان يقرأ في الكتب القديمة فرفيها على نعت محمد النبي صلى الله عليه وسلم فجمع ذلك كله في صحيفة وخباها عنده في صندوق وقفل عليها قفلا وخبأ مفتاحه في مكان غني عنه وكان له ولد صغير يقال له بلوقيا فلما مات أبو بلوقيا أوصى ابنه بان يقضي في بني اسرائيل من بعده فلما كان في بعض الاوقات اذ رأى بلوقيا الصندوق فوجده مقفولا فسأل أمه فقالت لا أدري ما فيه ولا أعلم أين مفتاحه ثم ان بلوقيا كسر القفل وفتح الصندوق فرأى الصحيفة المكتوب فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه خاتم الانبياء والمرسلين وان الجنة محرمة على الانبياء حتى يدخلها هو وأمته فلما قرأ الصحيفة أخرجها لعلماء بني اسرائيل فلما سمعوا بنعت محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لبلوقيا كيف كان أبوك يعلم ذلك ولم يخبرنا فوالله لولاك لحرقناقبره لاجل أنه كتم علينا خبر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ثم ان بلوقيا ودع أمه وقال ياأماه اني قد وجدت انه سيبعث نبي آخر الزمان واني مسافر ولا أرجع حتى أقف على أخباره فقالت أمه بلغك الله مناك وسار من مصر في طلب محمد صلى الله عليه وسلم وطاف البلاد من المشرق الى المغرب حتى وصل الى البحر السابع ورأى العجائب الكثيرة التي لم يرها غيره من الناس فمن جملة ما رأى في جزائر البحر جزيرة فيها حيات كامثال البخاتي الكبار وهن يقلن لا اله الا الله محمد رسول الله فقال لهم بلوقيا السلام عليكم فقالت له الحيات ما سمعنا قط بمثل هذا فقال هذه سنة آدم فقالوا ممن أنت فقال من بني اسرائيل فقالوا لا نعرف آدم ولا بني اسرائيل فقال لهم بلوقيا وكيف عرفتم محمدا فقالوا نحن منذ خلقنا الله تعالى على هذه الصفة أمرنا بذلك ونحن من حيات جهنم فقال لهم بلوقيا وكيف أخبار جهنم فقالوا سوداء منتنة تتنفس في كل سنة مرتين مرة في الصيف فذلك الحر من نفسها ومرة في الشتاء فذلك البرد من نفسها ثم ان بلوقيا دخل الى جزيرة أخرى فرأى فيها حيات أعظم مما رأى أولا كامثال جذوع النخل ورأى بينهن حية صفراء ان مشت مشى حولها الحيات فلما رأين بلوقيا قلن له من أنت فقال أنا بلوقيا من بني اسرائيل فقلن ما سمعنا بهذا الكلام من قبل وأنا موكلة بجميع الحيات التي في الدنيا ولولاي لشردت على بني اسرائيل وقتلتهم في يوم واحد فمضى بلوقيا الى أن وصل الى البحر السابع فرأى من العجائب ما يطول شرحه فمن جملة ما رأى جزيرة فيها نخيل من ذهب اذا طلعت عليه الشمس يصير لها لمعان كالبرق فلا تستطيع الابصار رؤيته من شدة بريقه وفي هذه الجزيرة أشجار عظيم حملها فمد يده الى حمل بعض الاشجار فنادته اليك عني ياخاطئ فتأخر وجلس واذا هو بجماعة نزلوا من السماء وبايديهم سيوف مسلولة فلما رأوا بلوقيا قالوا له كيف

وصلت الى هذا المكان فقال لهم أنا من بنى اسرائيل واسمى بلوقيا ومن تكونون أنتم قالوا نحن قوم من الجن المؤمنين كنا فى السماء فانزلنا الله الى الارض وأمرنا أن نقاتل كفار الجن فى الارض فنحن نقاتلهم فتركهم بلوقيا ومضى فاذا هو بملك عظيم الخلقة واقف ويده اليمنى فى المشرق والاخرى فى المغرب وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فتقدم اليه وسلم عليه فقال له من أنت قال بلوقيا أنا رجل من بنى اسرائيل خرجت فى طلب خاتم النبيين فقال له بلوقيا ومن أنت قال أنا الملك المتوكل بظلمة الليل وضوء النهار فقال له بلوقيا ما هذان السطران اللذان فى جبينك فقال مكتوب فيهما زيادة الليل والنهار ونقصهما فما أمسك الليل الا بقدر معلوم وتقدم بلوقيا واذا بملك عظيم الخلقة وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه فرد عليه السلام فسأله بلوقيا عما هو فيه فقال أنا ملك موكل بالريح وبالبحر فلا أخرج الريح الا باذن من الله وانى ماسكه بيمينى وماسك البحر بشمالى ولولا ذلك لهلك جميع من فى الارض فتركه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جبل قاف واذا هو من ياقوتة خضراء وقد أحاط بالدنيا جميعها فمن شعاع ذلك ترى سماء الدنيا زرقاء وقد وكل الله تعالى بهذا الجبل ملكا فاذا أراد الله أن يزلزل جانبا من الارض أمر ذلك الملك أن يحرك العرق الذى يتصل بذلك الجانب الى جبل قاف فتصير الزلزلة واذا أراد الله خسف قرية أذن الله لذلك الملك أن يقطع عرقها من الارض فتنخسف فقال بلوقيا لذلك الملك وما وراء هذا الجبل قال أربعون ألف مدينة غير مدائن الدنيا وهى من ذهب وفضة وليس يغشاها الليل ولا النهار وسكان تلك المدائن ملائكة يسبحون الله لا يفترون قال بلوقيا وما وراء تلك المدن قال سبعون ألف حجاب كل حجاب قدر الدنيا ولا يعلم ما وراء تلك الحجب الا الله تعالى فتركه ومضى حتى انتهى الى جبل فوجد فيه ملائكة على هيئة الغزلان فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال لهم من أنتم قالوا نحن ملائكة من ملائكة الله نعبد الله ههنا منذ خلقنا فسألهم عن جبل يقابلهم عظيم وهو يلمع كالشمس فقالوا هذا جبل الدنيا من ذهب وجميع معادن الذهب التى فى الارض ممتدة منه ثم تركهم ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم وفيه حوتان عظيمان فسلم عليهما فردا عليه السلام وقالا له من أنت يا خلق الله قال أنا بلوقيا من بنى اسرائيل جئت فى طلب محمد خاتم النبيين هل عندكم ما تطعمونى فاخرجوا له من غيب الله رغيفا فاكله فلم يجع بعد ذلك ثم انتهى الى جزيرة فرأى فيها طيرا عظيم الخلقة حسن الهيئة وفيه ما يدهش العقول من حسن تركيبه وهو على شجرة وتحت الشجرة مائدة موضوعة وعليها سمكة مشوية فدنا من الطائر وسلم عليه وقال له من أنت قال أنا ملك من ملائكة الجنة أرسلنى الله بهذه المائدة الى آدم وحواء حين اجتمعا على جبل عرفات فاكلا منها ثم أمرنى الله أن أضعها هنا وأقف عندها الى يوم القيامة وأمرنى أن أطعم منها كل من جاء هنا فاكل منها بلوقيا ولم ينقص منها شئ وهى على حالها فسأله عن حالها فقال الطائر ان طعام

الدنيا ينقص و يتغير بالمكث وأما طعام الجنة فلا ينقص ولا يتغير فقال له بلوقيا هل يأكل من هذه أحد فقال نعم ان الخضر أبا العباس يأتى أحيانا فيأكل ثم يذهب فلما سمع ذلك بلوقيا قام ليظفر بالخضر و يجتمع معه و يسأله فبينما هو ذات يوم جالس واذا بالخضر عليه السلام قد أقبل وعليه ثياب بيض فقام اليه بلوقيا وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له بلوقيا يا أبا العباس خرجت فى طلب نبى آخر الزمان حتى انتهيت الى هذا المكان فمكثت الى قدومك لتخبرنى فقال له يا بلوقيا ان نبى آخر الزمان لم يظهر فى هذا الاوان ولم تدركه الآن يا بلوقيا أتدرى كم بينك و بين أمك قال لا أعلم قال مسيرة خمسين عاما أتحب أن أضعك عند أمك فقلت نعم قال غمض عينيك فغمضتها فلم أشعر الا وأمى بجانبى ففتحت عينى وسلمت على أمى وقلت لها من جاء بى اليك يا أمى فقالت رأيت طائرا أبيض قد وضعك وذهب سريعا فقص على أمه قصته وخرج الى بنى اسرائيل وسلم عليهم وسلموا عليه وسألوه عن حاله فى غيبته فأخبرهم فجعلوا يكتبون عنه جميع ما رأى من العجائب مدة أربعين سنة فلم يحد واما عنده مما رأى قيل انه عاش نحوا من ألف سنة والله أعلم

﴿ذكر قصة اسكندر ذى القرنين﴾ قال الله تعالى (و يسألونك عن ذى القرنين) الآية قيل هو من أولاد الضحاك وكان أصله من حمير وكان أسمر اللون وكانت أمه من بنات الروم وقيل انه اسكندر بن دارب ملك اصطخر و بابل والمدائن بالمشرق وقد كفله جده أبو أمه واسمه فيلسوف وكان ملك الروم وقال على رضى الله عنه وعكرمة كان اسكندر ذو القرنين من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام قال بعضهم كان طول أنفه ثلاثة أشبار وقس على ذلك عظم رأسه وجثته و يقال انه هو الذى بنى المنارة بالاسكندرية وقيل عاش نحو ألف سنة وزيادة واختلف فى نبوته فقال وهب بن منبه كان عبدا صالحا وقال عكرمة كان نبيا مرسلا الى أهل بابل وكان قبل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام بثلاثمائة سنة وقال الحسن البصرى كان ملكا وغزا النمروذ بن كنعان وكان مسلما على ملة ابراهيم الخليل عليه السلام وكان فى زمن ابراهيم حاكما وهو الذى قضى لابراهيم فى وادى السبع لما رحل عن قومه ومرت هذه القصة عند قصة ابراهيم الخليل وكان اسكندر اذا مر بمكان ابراهيم نزل عن فرسه حتى يفوت و يركب وهو الذى ملك البلاد وقهر العتاة من العباد وفتح المدائن والحصون والقلاع من المشرق والمغرب قال الامام على رضى الله عنه كان الاسكندر يسير والله مساعده فتطوى له الارض و يسهل الله له الامور ببركة صلاحه وحسن سيرته (وقيل فى سبب تسميته ذا القرنين) قال الامام على لما غزا ودعا الى عبادة الله ضربه قومه على جانب رأسه فأثرت تلك الضربة فغاب عنهم ثم جاءهم فضربوه على الجانب الآخر فأثرت فسمى ذا القرنين قال ابن عباس لما سار الى مغرب الشمس والى مشرقها سمى ذا القرنين وقيل انه رأى فى منامه أنه ماسك بقرون

الشمس فسماه قومه ذا القرنين لما قص رؤياه عليهم وقيل انه ملك الروم وفارس فسماه قومه ذا القرنين وقيل كان له ذؤابتان من الشعر فى رأسه فسمى بذى القرنين وقيل انه كريم الجدين فسمى بذى القرنين وقيل كان فى رأسه عظمان ناتئان مثل قرنى الكبش ويلبس عليهما عمامة فيسترهما وهو أول من لف العمامة وأول من صافح بكفه وقيل انه سلك مكان الظلمة والنور فهذه عشرة أقوال فى ذلك قال وهب بن منبه ان اسكندر كان يخفى القرنين عن الناس ولم يظهرهما على أحد الا انه ذهب يوما الى الحمام فنزع عمامته عن رأسه فرآهما كاتبه فقال لكاتبه ان ظهر أمرى يكن منك فكان الكاتب يأخذه الهيمان ليظهر الكتمان فلم يستطع الاظهار غير انه يخرج الى الفضاء وينادى ويقول اسكندر له قرنان فيذهب حال الكاتم ويأتى وكان هناك قصبتان يسمعان صوته فلما كبرت القصبتان أنطقهما الله فقالتا الاسكندر له قرنان فشاع ذلك فقال عند ذلك اسكندر هذا أمر أراد الله اظهاره ﴿ قال وهب بن منبه ﴾ أوحى الله الى ذى القرنين فى منامه انى باعثك فى الارض الى سبع أمم مختلفة الالسن والصفات أمتان يقال لهما هاويل وهى فى قطر الارض الايمن وتاويل وهى فى قطر الارض الايسر وأمتان أمة فى طول الارض عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مشرق الشمس يقال لها منسك وثلاث أمم فى وسط الارض يقال لهم يأجوج ومأجوج قال ذو القرنين يارب بهل أقدر على محاربة هذه الامم العظيمة فاوحى الله اليه انى ألبسك الهيبة وأسخر لك النور والظلمة حتى أجعلهما لك جندا (قال الحسن البصرى) كان ذو القرنين اذا ركب ركب معه فى خدمته من الجيوش ألف ألف وأربعمائة ألف انسان وكان الخضر عليه السلام وزيره ومدبر ملكه فسار ذو القرنين بهذه الجيوش العظيمة حتى بلغ مغرب الشمس وهو قوله تعالى (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) الآية قال السهيلى هم قوم ناسك وكانوا من نسل قوم ثمود فلما نزل عليهم وأحاط بهم من كل جانب بمن معه من الجيوش استدعاهم اليه وأوقفهم بين يديه ودعاهم الى توحيد الله فمنهم من آمن ومنهم من بقى على كفره فسلط الله على الذين داموا على كفرهم ظلمة شديدة بغبار عاصف ودخلت تلك الظلمة والغبار فى أفواههم وآذانهم فايقنوا بالهلاك فاجابوا الى توحيد الله فتركهم ومضى الى أهل هاويل ففعل بهم مثل ما فعل بالاولى فآمنوا ثم سار حتى أتى الى القطر الايمن فدخل على أهل منسك وهم عند مشرق الشمس ففعل بهم كما فعل بالاولى ثم تركهم ومضى الى قطر الارض الايسر فدخل على أهل تاويل وفعل بهم كما فعل بالاولى وقد قال الله تعالى (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) * قال السدى هم أهل منسك الذين هم عند مطلع الشمس * قال الامام السهيلى لما بلغ ذو القرنين مطلع الشمس رأى هناك مدينة عظيمة يقال لها جابلقا ورأى لها عشرة آلاف باب بين كل باب وباب فرسخ ووجد أهل تلك المدينة

بشعين المنظر عراة الاجساد وليس لهم من دون الشمس ستر فاذا دخلت الشمس عليهم دخلوا في أسربة تحت الارض من حر الشمس ليس لهم طعام الا ما تحرقه الشمس بحرها اذا طلعت فاذا مشت الشمس الى وسط الفلك طلعوا من الاسربة الى معاشهم فيتغدون مما أحرقته الشمس من طير ووحش وغير ذلك * قال مجاهد ان هؤلاء القوم سود الالوان عراة الاجساد حفاة الاقدام وهم من جنس الزنج الاعلى وهم أمم لا يحصون * قال السدى ان الشمس تشرق من عين ماء هناك فاذا طلعت على تلك العين تصير كهيئة الزيت في اللون من حر الشمس فتنفر من تلك العين الاسماك على وجه الارض فيخرج القوم من الاسربة فيلتقطونها ويأكلونها * قال السدى لما بلغ الاسكندر مغرب الشمس رأى هناك العين الحمئة التي ذكرها الله تعالى في القرآن واذا غربت الشمس في تلك العين يسمع لها دكدكة مثل صوت الرعد القاصف وتفور تلك العين وتغلى كغليان القدر فيفيض ماؤها على الارض مسيرة ثلاثة أيام فلا يمر ماؤها على طير أو وحش الا ويموت فتأكله أهل تلك المدينة * قال الثعلبي مر ذو القرنين على وادى النمل فرأى كل نملة كالجمل البختى فنفرت منها خيول الاجناد فجاء حتى مر بقوم آخرين فشكوا اليه وقالوا له يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين أقواما من خلق الله لا نعرف أهم من الانس أم من الجن يقال لهم يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض يفترسون الدواب والوحوش ويأكلونها وهو قوله تعالى (ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا) الآية قال بعض المفسرين ان افساد يأجوج ومأجوج للواطهم يظفرون به كبيرا وصغيرا فقال لهم ذو القرنين ما مكنى فيه ربى خير أى الذى أعطانيه ربى من المال خير فاعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتونى زبر الحديد * قال السدى وجد الاسكندر معدن الحديد فاتخذ منه لبنات من الحديد وبنى بها السد * قال الثعلبي ان ذا القرنين لما بنى السد قاس ما بين الجبلين ثم بنى ردما بلبن الحديد وجعل ارتفاعه من الارض نحو ستمائة ذراع وجعل عرضه ثلاثمائة ذراع فكان يضع اللبنتين من الحديد ويذوب النحاس ويجعله بينهما قال الثعلبي كان مقدار ما بين الجبلين مائة فرسخ فحفر أساس ذلك الردم حتى نبع الماء منه ثم ردمه بالحديد حتى ارتفع بناء السد وساوى ذلك الجبلين فصار قطعة واحدة من حديد قال الله تعالى (فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) فعند ذلك قال ذو القرنين هذا رحمة من ربى الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انى رأيت سد يأجوج ومأجوج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صفه لى فقال له الرجل انه ردم أسود وعليه صفائح من نحاس أحمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو هو * قال الثعلبي بين بناء السد الى الهجرة النبوية ألف وخمسمائة وثلاثون سنة وفي بعض الاخبار أن هذا السد يفتح في آخر

الزمان عند اقتراب الساعة و يخرج منه يأجوج ومأجوج فيسيرون في الارض و يشربون نهر سيحون وجيحون و بركة طبرية في يوم واحد و يأكلون الاشجار والنبات جميعها في يوم واحد فاذا كثر منهم الفساد في الارض وحصل منهم الضرر العام أرسل الله عليهم ريحا أسود مثل الريح الذي أرسله الله على قوم عاد فيدخل في أفواههم و يخرج من أبدانهم فيموتون أجمعون في ساعة واحدة فتجيف منهم الارض لكثرتهم فيرسل الله تعالى اليهم طيورا اسودا لهم أعناق كالبخاتي فيلتقطونهم من الارض و يلقونهم في البحر * ومن الحكايات الغريبة ما حكاه أبو الحسين ابن النادي البغدادي قال بلغني أن أمير المؤمنين الواثق بالله هرون بن المعتصم رأى في منامه شخصا فقال له ان السد الذي بناه ذو القرنين قد انفتح وخرج منه يأجوج ومأجوج فانتبه من النوم مرعوبا فاحضر سلاما الترجمان وأمره أن يسافر الى مكان السد الذي بناه الاسكندر و يكشف أخباره ثم ان الواثق دفع اليه خمسة آلاف دينار وقال له هذه ديتك ادفعها الى أولادك ثم عين معه خمسين فارسا ثم كتب معه مراسيم الى من يمر عليه من النواب في البلاد ثم ان سلاما الترجمان خرج من بغداد وسار معه الفرسان المذكورة الى أن وصل الى أرمينية فكتب له صاحب أرمينية الى ملك اللان ثم كتب له صاحب اللان الى ملك الخزر فلما وصل الى ملك الخزر أرسل معه جماعة من جنوده يدلونه على الطريق فلما سار من عنده مشي خمسة وعشرين يوما ودخل الى أرض سوداء وخمة فسار فيها عشرة أيام فرأى بها مدائن خربة فسأل عن خراب تلك المدائن فقالوا هذه المدائن التي كان يفسدها يأجوج ومأجوج حتى خربت وهي الى الآن خراب ثم سار من تلك المدائن الخراب حتى أشرف على مدينة فيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية و يقرؤن القرآن وعندهم المساجد والجوامع و يصلون الجمعة والجماعة فقال لهم صاحبها من أين أقبلتم قال لهم سلام الترجمان نحن رسل أمير المؤمنين الواثق بالله هرون فلما سمعوا انعجبوا من قوله أمير المؤمنين وهم يقولون ما سمعنا قط بهذا اللفظ الا في هذا اليوم منكم فتركهم ومضى حتى أشرف على جبل أملس وقدامه جبل منقطع و بينهما واد عرضه مائة وخمسون ذراعا * قال السدى ان يأجوج ومأجوج ليس لهم مخرج الا من بين هذين الجبلين ومن ورائهم البحر المحيط ولولا ذلك ما كان يفيد السد شيأ ثم ان سلاما رأى عضادتين مما يلي هذا الجبل من جانبي الوادي عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا وكل ذلك مبنى بلبن الحديد ورأى دروندا من حديد طرفه على تلك العضادتين مائة وعشرون ذراعا وفوق ذلك الدروند بناء السد الى رأس ذلك الجبل الاملس وارتفاعه مقدار مد البصر اليه وفوق ذلك البناء شرفات من الحديد في كل شرفة قرنان ينثني كل واحد منهما على صاحبه وفي وسط ذلك البناء باب له درفتان عرض كل درفة منهما خمسون ذراعا في مثلها ارتفاعا وعلى ذلك الباب قفل طوله سبعة

أذرع فى غلظ ذراع ونصف وله مفتاح معلق طوله ذراع ونصف وله اثناعشر سنا فى كل سن قدر يد طون وهو معلق فى سلسلة طولها ثمانية أذرع فى استدارة أربعة أشبار ولذلك الباب عتبة عرضها عشرة أذرع وطولها مائة ذراع وقد جعل لذلك السد حارس يركب كل يوم ومعه جماعة من قومه نحو عشرين فارسا وبايديهم المرزبات من الحديد فيضربون على ذلك القفل ثلاث ضربات ثم يصغون باذانهم الى ماوراء الباب فيسمعون دويا كدوى النحل فيعلم يأجوج ومأجوج ان هناك حرسة وحفظة خلف الباب قال سلام الترجمان ورأيت بالقرب من السد عين ماء تجرى وحول تلك العين آلة البناء وهى قدور من حديد ومغارف و بقية من لبن الحديد طول كل لبنة ذراع ونصف فى سمك شبرين وقد مرت عليها الدهور وصدئت والتصق بعضها على بعض قال سلام فسألت أهل تلك الحصون هل رأيتم أحدامن يأجوج ومأجوج فقالوا نعم رأيناهم مرارا عديدة فوق شرفات السدور بما يقع منهم أحد على الارض من الريح الشديد فكتب سلام ذلك جميعه مما رأى وسمع من السد وأخبار يأجوج ومأجوج فصار المكتوب درجا وعزم على الرجوع الى بغداد فسار فى برارى وقفار حتى خرج الى أرض سمرقند الى بغداد فكان مدة غيبته ثمانية وعشرين شهرا فلما دخل الى بغداد صار يحدث الناس بعجائب ما رأى وماسمع انتهى أورد ذلك ابن الجوزى فى كتابه تنوير القبس

﴿ذكر أخبار يأجوج ومأجوج﴾ قال الحسن البصرى ان يأجوج ومأجوج أصلهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام و يافث أبو الترك و يأجوج ومأجوج من الترك قال وهب ابن منبه انما سمى الترك تركا لان ذا القرنين لما بنى السد على يأجوج ومأجوج كان منهم جماعة غائبون لم يعلموا ببناء السد فتركوا خارج السد فسموا تركا وقال بعضهم ان يأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم حين فاض منيه لما أهبط الى الارض فاختلطت تلك النطفة بالتراب فخلق الله تعالى منها يأجوج ومأجوج وليس هم من حواء فانكر بعض العلماء هذا القول وقال انه ليس بصحيح * قال ابن عباس رضى الله عنهما أن يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء والعالم جميعه جزء واحد ﴿ذكر صفاتهم﴾ قال السدى انهم على ثلاثة أصناف صنف كالنخل الطويل حتى قيل ان فيهم من طوله مائة وعشرون ذراعا وصنف منهم طوله وعرضه سواء يفترش احدى أذنيه و يلتحف بالاخرى وهذا الجنس لا يترك وحشا ولا ذا روح الا و يأكله ومن مات منهم أكلوه وصنف منهم فى غاية القصر فمنهم من طوله شبر وشبران لا يموت أحدهم حتى يرى له ألف ولد وهم لا يحصون لكثرتهم * وقيل فى الاخبار ان يأجوج ومأجوج يلحسون السد بالسنتهم حتى يروا منه شعاع الشمس اذا غربت و يقولون غدا نفتحه فيأتون اليه فى اليوم الثانى فيجدونه كما كان أولا فى الشدة والسمك وهذا دأبهم الى قيام الساعة

فليحسونه فى آخر الزمان اذا جاء الوعد ويقولون غدا نفتحه ويقولون ان شاء الله فلما يعودون فى اليوم الثانى يجدونه مفتوحا فيخرجون على الناس ويسيحون فى الارض ويأكلون الاشجار ويشربون الانهار ويرمون الناس بسهامهم ويفسدون على الناس معيشتهم ويأكلون زروعهم ويرسل الله عليهم الريح التى أهلك الله بها قوم عاد فيموتون فى ساعة واحدة وتنتن الارض من جيفهم فيرسل الله تعالى طيورا فتلتقطهم وتلقيهم فى البحر كما تقدم قال الثعلبى ان الناس يلتقطون أسلحتهم من الارض ولا يزالون يلتقطون ذلك سبع سنين

﴿قصة دخول ذى القرنين الى الظلمات﴾ روى الثعلبى عن الامام على رضى الله عنه أنه قال لما سار ذو القرنين فى الارض أراد أن ينتهى الى جانب الارض وكان الله تعالى قد وكل بذى القرنين ملكا من الملائكة يقال له رفائيل فكان يسير معه أينما سار فبينما هو يتحدث مع ذلك الملك فقال له ذو القرنين يارفائيل حدثنى عن عبادة الملائكة فى السماء فقال ان فى السماء من هو قائم لا يرفع رأسه ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ومن هو راكع لا يرفع رأسه دائما أبدا فقال ذو القرنين أحب أن أعيش دهرا طويلا وأنا فى عبادة ربى فقال له الملك ان الله خلق عين ماء فى الارض سماها عين الحياة فمن شرب منها شربة لم يمت الى يوم القيامة أو حتى يسأل ربه الموت فقال له ذو القرنين هل تعلم أنت مكان هذه العين فقال الملك لا أعلم مكانها ولكن كنت أسمع عنها فى السماء انها فى الارض المظلمة فلما سمع ذو القرنين ذلك من الملك جمع علماء زمانه جميعهم وسألهم عن هذه العين فقالوا لا نعلم لها خبرا فقال عالم منهم انى قرأت فى وصية آدم عليه السلام قال ان الله تعالى وضع فى الارض ظلمة وفى تلك الظلمة عين الحياة فقال ذو القرنين أين موضعها من الارض قال فى مطلع الشمس فاستعد ذو القرنين فى المسير اليها وقال لاصحابه أى الدواب أبصر فى الظلمة قالوا الحجورة البكارة فجمع ذو القرنين ألف حجرة بكارة ثم انتخب من جيشه ستة آلاف انسان من أهل العقول وأهل الجلد وكان الخضر أبو العباس وزيره فسار الخضر أمام الجيش وجدوا فى المسير نحو مطلع الشمس جهة القبلة فلازالوا يجدون فى السير نحو اثنتى عشرة سنة حتى بلغ طرف الظلمة فاذا هى ظلمة تفور مثل الدخان لا كظلمة الليل فنهاه عقلاء جيشه عن الدخول فيها وقالوا له أيها الملك ان الملوك السابقة لم يدخلوها لانها مهلكة فقال لا بد من ذلك فلما رأوه عازما على الدخول تركوه فقال لهم أقيموا مكانكم هذا مدة اثنتى عشرة سنة فان جئتكم فيها ونعمت والا فامضوا الى بلادكم ثم قال ذو القرنين للملك رفائيل اذا سلكنا هذه الظلمة هل يرى بعضنا بعضا فقال لا ولكن أنا أدفع اليك خرزة اذا طرحتها على الارض تصيح بصوت عال فيرجع اليكم من يضل عنكم من رفقائكم ثم ان ذا القرنين دخل الى تلك الظلمة ومعه جماعة من جيشه فسار فيها ثمانية عشر يوما لا يرى شمسا ولا قمرا ولا ليلا

ولانهارا ولاطيرا ولا وحشا فسارهو والخضر فبينما هما يسيران فيها اذ أوحى الله الى الخضر ان العين في أيمن الوادي ولم أخص بها غيرك من الناس فلما سمع الخضر ذلك قال لاصحابه قفوا مكانكم ولا تبرحوا حتى آتيكم فسار الخضر في ذلك الوادي فظفر بالعين فنزل الخضر عن فرسه وتجرد من أثوابه ونزل في تلك العين واغتسل منها وشرب فوجد ماءها أحلى من العسل فلما اغتسل وشرب طاع منها ولبس أثوابه ثم ركب ولحق بذي القرنين ولم يشعر بما وقع للخضر من رؤية العين والاغتسال * قال وهب بن منبه ان الخضر كان ابن خالة اسكندر ذي القرنين واستمر اسكندر دائرا في تلك الظلمة أربعين يوما اذ لاح له ضوء مثل البرق فرأى الارض بذلك النور فوجدها رملة حمراء وسمع خشخشة تحت قوائم الخيل فسأل الملك عن تلك الخشخشة فقال له هذه خشخشة من أخذ منها ندم ومن لم يأخذ منها ندم فحمل منها الجيش شيأ قليلا فلما خرجوا من تلك الظلمة وجدوها من الياقوت الاحمر والزمرذ الاخضر فندم من أخذ حيث لم يكثر وندم الذي لم يأخذ وقال ليتني أخذت * ومن النكت ما يقال في أمر الطمع نقل الشعبي ان رجلا من بني اسرائيل في أيام نبي الله سليمان رأى رجلا صاد قنبرة فانطقها الله تعالى فقالت ما تفعل بي فقال أشويك وآكلك فقالت أنا لا أشبعك ولا أغنيك من جوع فان أطلقتني علمتك ثلاث فوائد يحصل لك بهن خير فقال هاتهات فقالت الفائدة الاولى أعلمك بها وأنا على كفك والاخرى أعلمك بها وأنا على الجبل والثالثة أعلمك بها وأنا على الشجرة فوضعها على كفه وقال هاتها ما عندك فقالت لا تندم على ما فات ثم طارت وقالت له الفائدة الثانية لا تفرح بما هو آت والفائدة الثالثة لا تصدق بما لا يكون أن يكون ثم قالت أنا علمك عن شئ فاتك وهي أن في حوصلتي جوهرة لو ذبحتني لحصلت عليها فندم على اطلاقها فقالت له أفدتك أولا وثانيا وثالثا فلم تستفد لندمك على اطلاقي وقد فات ما فات مني فصدقت أن عندي جوهرة ومن أين لي بالجوهرة وهذا من دلائل الطمع * قال السدي فلما انتهى ذو القرنين في الظلمة لاح له قصر من نحاس أصفر طوله فرسخ وعرضه فرسخ وله باب من حديد فنزل عن فرسه ودخل القصر فرأى طائرا أبيض قدر البختي فدنا منه وسلم عليه فانطقه الله فرد عليه السلام وقال أما كفاك ما فعلت حتى جئت الى هذا المكان فقال له ذو القرنين اني سائلك عن أشياء فاخبرني عنها فقال سل ما بدا لك فقال ما وراء هذه الظلمة قال جبل قاف فقال الطائر واني سائلك عن أشياء فقال ذو القرنين قل ما بدا لك فقال الطائر هل فشا فيكم الزنا وشرب الخمر قال نعم فانتفض ذلك الطائر وصار ملء القصر وصار له صوت كالرعد القاصف ثم قال هل فشا فيكم الربا وشهادة الزور قال نعم فانتفض الطائر وفعل كالاول ثم قال هل كثر فيكم البناء المزخرف قال نعم فانتفض وفعل مثل الاول حتى سد ما بين الخافقين ففزع منه ذو القرنين ثم قال الطائر هل ترك الناس شهادة أن لا اله الا الله قال لا فانضم قليلا ثم قال

هل ترك الناس صلاة الفريضة قال لا فانضم قليلا ثم قال هل ترك الناس الغسل من الجنابة قال لا فانضم قليلا حتى عاد مثل ما كان عليه أولا ثم قال يا اسكندر اصعد على ظهر هذا القصر وانظر ما فوقه فلما صعد واذا هو بشخص حسن المنظر قائم على أقدامه شاخص الى السماء وفى فمه بوق من نور فلما رأى ذا القرنين قال له من أنت قال أنا ذو القرنين قال أما كذاك ما فعلت فى الارض حتى وصلت الى هذا المكان فقال اسكندر من أنت أيها الشخص المبارك قال أنا اسرافيل صاحب الصور فقال مالى أراك شاخصا قال أنظر أمر ربى متى يأذن لى فى النفخ ثم ان اسرافيل أخذ حجرا من بين يديه ودفعه الى ذى القرنين وقال خذ هذا الحجر فان شبع هذا الحجر شبعت وان جاع جعت فاخذه ذو القرنين ورجع حتى وصل الى جنده الذين تركهم خارج الظلمة فاخذ يحدث جنوده عما رأى من العجائب ثم ان ذا القرنين جمع العلماء الذين كانوا فى عصره وأخرج لهم ذلك الحجر الذى أعطاه له صاحب الصور فوضعوه فى كفة ميزان ووضعوا حجرا قدره فى الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فمال الحجر الذى أعطاه له صاحب الصور فمازالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر وذلك الحجر يميل فقالت العلماء قد انقطع علمنا دون هذا الحجر فاحضر ذو القرنين الخضر وسأله عن ذلك فاخذ الخضر كفا من تراب ووضعه مقابل الحجر فى الميزان ثم رفعه فاستوى التراب مع الحجر الذى أعطاه له صاحب الصور فقال العلماء هذا من العلم الذى لم نبلغه نحن ولا أمثالنا فقال الخضر هذا مثل ضربه لك صاحب الصور فان الله قد ملكك البلاد وحكمك فى العباد وأعطاك ملكا كبيرا وأنت لا تقنع ولا تشبع دون أن تكون فى التراب فعند ذلك بكى ذو القرنين (ومن اللطائف) عند أهل الظرف والظرائف (قال) أبو الفرج الاصبهانى لما رجع ذو القرنين من المشرق والمغرب توجه الى بلاد الصين فحاصر مدينتها أشد محاصرة فلما أشرف على أخذها نزل اليه ملك الصين تحت الليل ولم يعرف أحد أنه ملك الصين ولكن قال أنا رسول ملك الصين فلما وصل الى الحجاب أخبرهم أنه رسول ملك الصين ويريد الدخول على الاسكندر فاعلموا الاسكندر به وأدخلوه عليه فلما دخل سلم ووقف بين يديه فقال له تكلم فقال انى مأمور أن لا أتكلم الا فى خلوة ففتشه الرسل خوفا من أن يكون معه سلاح أو مكيدة فوجدوه خاليا من ذلك فتقرب الى الملك الاسكندر وقال له سرا أيها الملك أعلم أنى ملك الصين بنفسى ولست برسوله وقد حضرت بين يديك لعلمى انك رجل عاقل عارف صالح مأمون الغائلة فان كان قصدك قتلى فها أنا بين يديك وأغنيك عن القتال وان كان قصدك المال فاطلب ولا تعجز فانى مجيبك فيما تطلب فقال الاسكندر خاطرت بنفسك فقال أيها الملك أنا بين أمرين اما ان تقتلنى فيقيم أهل مملكتى غيرى ويحاربوك وان تركتنى فديت بلادى بما تريد وتنسب الى الجميل فلما سمع ذو القرنين ذلك أطرق مليا متفكرا وعلم أن ملك الصين من ذوى العقول ثم

انه رفع رأسه وقال أريد منك خراج مملكتك ثلاث سنين كوامل معجلا ثم بعد ذلك تعطى فى كل سنة نصف الخراج فقال ملك الصين وهل تطلب غير ذلك شيأ قال لا فقال قد أجبتك الى ذلك فقال الاسكندر كيف يكون حال رعيتك بعد هذا المال المعجل فقال أعطيك من عندى ولم أكلف رعيتى الى التعجيل والله على مانقول وكيل فخرج ملك الصين شاكرا فلما طلع النهار وأقبل ملك الصين بعشائره حتى سد ما بين المشرق والمغرب وأحاطوا بعساكر ذى القرنين حتى أيقنوا بالهلاك فظن الاسكندر وقومه أن ملك الصين خدعهم فبيناهم فى هذه الفكرة واذا بملك الصين جاء وعلى رأسه التاج فلما رآه ذو القرنين قال أغدرت فيما قلت قال لا ولكن أردت أن أريك أنى لم أخضع لك خوفا واعلم أن الذى هو غائب من جيوشى أكثر ممن حضر فقال له الاسكندر قد تركت لك جميع ماقررته عليك من أمر الخراج فلما رجع عن بلاد الصين أرسل له ملك الصين تحفا وأموالا كثيرة على سبيل الهدية * نكتة عجيبة قيل ان رجلا مجنونا كان اذا مر فى الاسواق والطرقات تبعه الاولاد ورموه بالحجارة فبيناهو كذلك اذ مر بذلك المجنون رجل وعلى رأسه عمامة بقرونه مفحشة فى أقرانها فتعلق به ذلك المجنون وهو يقول ياذا القرنين خلصنى من يأجوج ومأجوج فصار الناس يتعجبون من أمر المجنون وقوله ذلك قال وهب بن منبه كان الاسكندر يجمع أهل النجوم ويسألهم عن موته فكانوا يقولون له انك تموت فى أرض من حديد وسماؤها من خشب فيتعجب حتى مرض وكان مسافرا فى أرض حارة فاشتد به المرض فشكا من الحر فوضع واتحته الدروع وخيموا له بالرماح فنام وتأمل قول أرباب النجوم أرض من حديد وسماؤها من خشب وما أنا فيه هو ذلك فأيقن بالموت فجد بالسير حتى وصل الى مدينة بابل فمات بها ودفن هنالك وكتب على قبره هذين البيتين

لا تأسفن على الدنيا وزينتها * وأرح فؤادك من هم ومن حزن

وانظر الى من حوى الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

(قال السدى) قال بعض المؤرخين ان الله يسر لذى القرنين حتى فتح جميع البلاد وهو الذى بنى مدينة همدان والدبوسية وشيرك وبرج الحجارة ببعلبك وسرنديب بالهند وغير ذلك والله أعلم انتهى

﴿ذكر قصة أهل الكهف رضى الله عنهم﴾ قال الله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (قال السدى) الكهف غار فى الجبل والرقيم لوح من رصاص كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم وذلك اللوح موضوع على باب الكهف والصحيح أن الرقيم غار التجأ فيه ثلاثة أنفار فوقع على باب ذلك الغار صخرة سدت عليهم الباب فدعا كل واحد منهم بما فعله من الخير لوجه الله تعالى فزالت تلك الصخرة عنهم وخرجوا والله أعلم قال وهب بن منبه ان أصحاب الكهف كانوا فتية

من أبناء الروم وكانوا في زمن فترة بين المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يسكنون بارض روميـة في مدينـة يقال لها أفسوس فلما جاء الاسلام غـيروا اسمها وسموها ترسوس وكان لهم ملك رجل صالح مؤمن فأقام عليهم مدة ومات فلما مات تولى عليهم ملك جبار من ملوك فارس يقال انه دقيانوس وكان مشركا بالله تعالى يعبد الاصنام وكان يسكن بمدينة غرناطة من أعمال المغرب ثم سار الى مدينـة أفسوس فلكها واتخـذها دار مملـكته وبنى بها قصرا من الرخام الملون طوله فرسخ وعرضـه فرسخ وعلق به ألف قنديل من الذهب والفضة يسرجها كل ليلة بدهن البان واتخذ في ذلك القصر سريرا مرصعا بالجواهر ومحلى بالذهب طوله ثمانون ذراعا وعرضـه أربعون ذراعا وجعـل فيه أنواعا من الجواهر الفاخرة ونصب عن يمينه ثمانين كرسيا من الفضـة وعن شماله ثمانين من الذهب ثم اتخـذ من أبناء البطارقة خمسـين غلاما حسانا كالاقمار وألبسـهم الحلل الفاخرة والتيجان وبأيديهـم قضبان الذهب يقفون على رأسـه وقت الموكب ثم اتخذ من عقلاء مملـكته ستة رجال وجعلهم وزراءه وكان من جـملة هؤلاء الوزراء عليخا وهو أكبرهم ثم ان الملك طغى وتجبر وادعى الربوبيـة وأطاعه قومه واسـتمر على ذلك مدة طويلة فبينما هو كذلك اذ دخل عليـه بعض حجابه وقال له ان جيوش الفرس قد طرقت بلادك فاغتم دقيانوس لذلك غما شـديدا حتى وقع التاج عن رأسـه فلما رأى عليخا ذلك تفـكر في نفسه وقال لو كان دقيانوس ربا كما يزعم لم يخف من أحد غـيره ولا ممن يطرق أرضـه فلما انصرفت الوزراء اجتمعوا عنـد عليخا في بيته فوجدوه مغتما لا يأكل ولا يشرب فقالوا يا عليخا مالك متفـكرا فقال قد وقع في نفسي شيء منعني عن الاكل والشرب قالوا وما هو فقال من دقيانوس فقالوا ونحن وقع لنا مثـل ما وقع لك فقال بعضهم وكيف الحيـلة في خلاصنا من يد دقيانوس فقال لهم عليخا ما الناحيـلة أحسن من الهرب من هذه المدينـة والخروج من أرضـه فقالوا كلهم نعم الرأي فهم عليخا من وقته وساعته وباع شيأ من غلال أرضه وجعله معه واجتمع الفتية كلهم في مكان واحد ثم تواروا ومضوا وقيل ان جبرائيل عليه السلام أخبرهم بان يتخذوا كرة ويخرجوا بها على هيئة اللعب فيها فركبوا على خيولهم وضربوا الـكرة مرة بعد أخرى حتى خرجوا من المدينة ولم يشك بهم أحد فلما صاروا في الصحراء نزلوا عن خيولهم ونزعوا ثيابهم الفاخرة ولبسوا غـيرها ومشوا نحو سبعة فراسخ فبينما هم يمشون واذا براعي غنم تلقاهم فطلبوا منه اللبن فاسقاهم فقال انـكم من أهل النعمة وان لـكم شأنا فأخبروني فان لـكم عندي ما تريدونه وأظنـكم قد هربتم قال فقصوا عليه قصتهم فقال وأنا قد وقع في نفسي كما وقع في نفوسكم ولـكن قفوا عنـدكم ساعة حتى أعطي هـذه الاغنام لاصحابها وعاد اليهم مسرعا ومضى معهم فتبعهم كلب الراعي فطردوه مرارا وهو يأبى الانصراف عنهم فأنطقه الله الذي أنطق كل شيء وقال بلسان فصيح أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له قال وكان الـكلب

اسمه قطمير وكان أبلق اللون ذا بياض وسواد (قال) السدى كان أحمر اللون ثم ان الكلب قال دعونى معكم أحرسكم فتركوه معهم ثم ان الراعى توجه بهم الى جبل فوجدوا به كهفا فدخلوا فيه وهو قوله تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف الآية ولما جلسوا حتى جن عليهم الليل ناموا والكلب يحرسهم وهو قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد الآية فلما ناموا أمر الله ملك الموت أن يقبض أرواحهم فقبضها ثم وكل الله تعالى بهم ملائكة يقلبونهم ذات اليمين وذات الشمال كما قال الله تعالى ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال (قال) السدى كانوا فى مغارة مظلمة وهم نائمون وأعينهم مفتحة وهم يتنفسون ولا يتكلمون قال وكان لهم شعور مسبولة على أكتافهم وقد طالت أظفارهم وكان عليهم هيبة عظيمة وكأنهم ينطقون قال الله تعالى وتحسبهم أيقاظا وهم رقود فلما رجع دقيانوس من محاربة الفرس سأل عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الهاغيرك فلما سمع بذلك ركب فى طلبهم ولا زال يقفو أثرهم حتى وصل الى ذلك الكهف فدخل عليهم ونظر اليهم فوجدهم نائمين فقال لجيشه لو أردت أن أعاقبهم لما عاقبتهم بمثل ما هم عليه ثم أمر بسد باب الكهف عليهم فسد بالحجارة واستمر وا فى رقادهم ثلثمائة سنة وتسع سنين كما أخبر الله تعالى فى القرآن العظيم فلما سد دقيانوس عليهم ظن أنهم يهلكون من العطش ثم ان راعيا أدركه المطر عند ذلك المكان فقال فى نفسه لو فتحت باب الكهف وأدخلت فيه الاغنام لكان حسنا فعالج حتى فتح الباب فدخل عليهم الراعى فرد الله عليهم أرواحهم وجلسوا فلما رآهم الراعى ولى هاربا وأخذ غنمه معه فلما جلسوا صار بعضهم يسلم على بعض وقالوا لقد غفلنا فى هذه الليلة عن عبادة ربنا فقوموا بنا الى الصلاة فجاؤا الى عين ماء عند شجرة بالقرب من الكهف فوجدوا العين قد غارت والشجرة قد جفت فصاروا يتعجبون من ذلك وقال بعضهم لبعض فى ليلة واحدة تغور هذه العين وتيبس هذه الشجرة ثم ان الله تعالى ألقى عليهم الجوع فقالوا لبعضهم أيكم يذهب بهذا الورق أى الفضة التى باع بها عليخا لا لا كما تقدم ذكر ذلك فيشترى لنا بها طعاما وهو قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الآية (قال السدى) أماقوهم فلينظر أيها أزكى طعاما قيل هو الطعام الذى لا يوضع به شئ من شحم الخنزير كما كان يعمل لدقيانوس فقال عليخا أنا آتيكم بهذا الطعام ثم قال للراعى الذى معهم أعطنى ثيابك وخذ أنت ثيابى فاعطاه الراعى ثيابه فلبسها عليخا ثم سار حتى أتى الى باب المدينة فوجد على بابها مكتوبا لا اله الا الله عيسى روح الله فجعل عليخا يمر من باب الى باب فيجد على كل الابواب مكتوبا لا اله الا الله الخ فجعل يمسح عينيه ويحد نظره فى تلك الاماكن فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فجعل يمر باقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى آخر السوق فاذا هو بخباز فوقف عليه وقال له ما اسم هذه المدينة فقال له الخباز اسمها أفسوس فقال وما اسمك قال عبد الرحمن ثم ان عليخا دفع درهما الى ذلك الخباز وقال له

أعطني به خبزا فلما رأى الخباز الدرهم صار يتعجب منه وقال لتمليخا هذا أنت ظفرت بكنز فقال تمليخا لا والله وانما هذه الدراهم من ثمن غلالي فقال الخباز ان كنت أصبت كنزا فاعطني منه فقال له اني خرجت من هذه المدينة منذ ثلاثة أيام وكان بها الملك دقيانوس فقال له الخباز تقول بعت بهذا غلالا وتقول بعد ذلك كنت منذ ثلاثة أيام هنا وكان بها الملك دقيانوس ان أمرك عجيب فطال بينهما الجدال فاتوا به الى الملك وكان الملك من ذوي العقول فقال لتمليخا ما قصتك فقال تمليخا زعموا أني أصبت كنزا فقال له الملك لا تخف ان أصبت كنزا فادفع لي منه الخمس وامض لشأنك سالما فقال تمليخا تثبت لامري فاني من أعيان هذه المدينة فقال له الملك هل تعرف بها أحدا فقال تمليخا نعم وكان لي بها دار وكان لنا ملك يقال له دقيانوس فقال له الملك لا نعرف شيأ مما قلته ولكن أتعرف دارك التي كانت في هذه المدينة قال نعم فبعث الملك معه جماعة من أعوانه حتى يريهم داره فمشى معهم تمليخا فلم يعرف داره لان البناء قد تغير فشكا في سره الى الله تعالى فارسل الله اليه جبرائيل عليه السلام فجعل يسوق به حتى أوقفه على باب داره فقال تمليخا هذه داري فقرعوا باب تلك الدار فخرج اليهم رجل كبير يرتعش من الكبر فقال رجل من جماعة الملك للشيخ ان هذا الرجل يزعم أن هذه الدار داره فغضب ذلك الشيخ من هذا الكلام ثم ان تمليخا تقدم الى ذلك الشيخ وقال أيها الشيخ المبارك أنا اسمي تمليخا ابن قسطين وكانت هذه داري ولي فيها علامات فلما سمع الشيخ من تمليخا هذا الكلام جعل الشيخ يقبل يدي تمليخا فالتفت الشيخ الى أعوان الملك وقال لهم هذا جد جدي وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الجبار وقد كان عيسى ابن مريم يخبرنا بخبرهم وأنهم ينتبهون بعد ثلثمائة وتسع سنين ثم بلغوا الملك هذا الكلام فركب الى تمليخا وجاء نحوه وجعل يقبل يدي تمليخا فشاع أمره في المدينة فاجتمع الناس اليه وجعلوا يتبركون به ويتعجبون من أمره ثم ان تمليخا قال للملك ان بقية قومي في المغارة التي هي في الجبل وهم في انتظاري لاجل الطعام (قال وهب بن منبه) كان يومئذ بالمدينة ملكان أحدهما مؤمن والآخر كافر فركبا وتوجها مع تمليخا الى الكهف فقال لهم تمليخا قفوا مكانكم حتى أدخل اليهم وأعلمهم بما جرى لي معكم وأعلمهم أن الملك دقيانوس قد هلك حتى يطمئنوا على أنفسهم فانهم خائفون من الملك دقيانوس فوقفوا قريبا من الكهف فدخل عليهم صاحبهم تمليخا فقاموا اليه واعتنقوه وقالوا الحمد لله على سلامتك وخلاصك من يد دقيانوس فقال لهم تمليخا دعوني من دقيانوس كم لبثتم في هذا الكهف قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فقال لهم تمليخا بل لبثتم ثلثمائة سنة وتسع سنين وقد هلك دقيانوس في مدة منامكم وانقرض من بعده قرنان وقد ظهر نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام ومضى ثم قال لهم ان ملك المدينة جاء هو وأهل المدينة ليسلموا عليكم ويتبركوا بكم وقد أوقفتهم لاخبركم فعند ذلك تفكر أصحاب الكهف ساعة ثم

قالوا فالرأى فقالوا أجمعون ان الرأى أن ترفعوا أكفكم الى الله تعالى بالدعاء بان يقبض أرواحكم في هذه الساعة أجمعين فرفعوا أيديهم وقالوا الهنا بحقك أن تقبضنا اليك ولا نريد أن يطلع علينا أحد غيرك فامر الله ملك الموت أن يقبض أرواحهم تلك الساعة فلما أبطأ على الملك وأهل المدينة الخبر من عليخا أتى الملك الى الكهف ودخل فوجدهم موتى فاخذ يقبل أقدامهم ويتبرك بهم وأمر بان يجعل كل واحد منهم في تابوت محلى بالذهب فلما نام الملك تلك الليلة رأى في منامه أصحاب الكهف وقالوا له أيها الملك انا خلقنا من تراب لا من ذهب ولا من فضة فاتركنا كما كنا في التراب الى يوم البعث والحساب فامر الملك أن يجعلوهم على التراب من غير توابيت كما أرادوا ثم ان الملك سد عليهم باب الكهف وأراد أن يبني على باب الكهف مسجدا فاعترضه الملك الكافر فقال أنا أبني على باب الكهف كنيسة فاقتتلا على ذلك قتالا عظيما فقتل المؤمن الكافر وبنى المسجد الذي هناك وهو قوله تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا الآية ٭ قال السدى ان عدة الفتية ستة أنفس والراعي الذي تبعهم سابع وكلبهم ثامن كما أخبر الله تعالى في القرآن العظيم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما وأنا من القليل أي الذين يعلمون عدتهم اهـ قال العزيزي ان الكهف الذي مات فيه الفتية هو مغارة في الجبل الذي يقرب من مدينة ترسيس ومكانهم مشهور معلوم بها ويزارون ويتبرك بهم رضي الله تعالى عنهم تمت قصة أصحاب الكهف على سبيل الاختصار والله تعالى أعلم

﴿ذكر قصة نبي الله يونس بن متى عليه السلام﴾ واسم أمه مزاد قال الله تعالى وان يونس لمن المرسلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى قال كعب الاحبار رضي الله عنه كان في بني اسرائيل خمسمائة رجل زاهدين لباسهم من الشعر الاسود وطعامهم من خبز الشعير ولم يكن في القوم يومئذ من يوحى اليه الا نبي الله زكريا عليه السلام فاوحى الله الى زكريا عليه السلام أن يختار من الخمسمائة المذكورين مائة رجل فاختار منهم مائة رجل ثم أوحى الله تعالى ان يختار من المائة خمسين ومن الخمسين عشرين ثم يختار من العشرين واحدا فاختار زكريا يونس بن متى عليه السلام ولم يكن في القوم أزهد منه فاوحى الله تعالى الى زكريا أن يبشر يونس بالنبوة وقد جعله نبيا ورسولا فلما سمع يونس ذلك خر ساجدا لله تعالى ثم رفع رأسه وقال لزكريا الحمد لله الذي جعلني نبيا (قال العزيزي) ان متى أبا يونس كان رجلا صالحا وكان بارض فلسطين ولم يكن له ولد ذكر وقد كبر سنه فاتى الى العين التي اغتسل منها أيوب فعافاه الله فاغتسل منها متى وزوجته وصليا ركعتين ودعوا الله تعالى أن يرزقهما ولدا ذكرا فاستجاب الله منهما ورزقهما يونس عليه السلام فلما كبر يونس خرج من بيت المقدس سائحا في الاودية والجبال فبينما هو سائح

اذهبط عليه جبرائيل عليه السلام على صفة آدمى حسن الصورة وقال له يايونس ان الله يأمرك أن تتوجه الى مدينة نينوى وهى قرية من قرى سوريا وكان بها ملك من الروم يعبد الاصنام من دون الله تعالى وكان هذا الملك يقتل كل من يدعو الى الله تعالى فلما تحقق يونس ان الله تعالى يأمره أن يتوجه الى أهل نينوى حمل زوجته وأولاده على ناقة وأخذ معه جماعة من أعيان بنى اسرائيل وكان عمره يومئذ أربعين سنة فلما دخل مدينة نينوى نزل فى غار فى جبل وبجانبه عين ماء وصار يأكل هو وعياله من نبات الارض ويشربون من تلك العين ثم قال لزوجته انى ذاهب عنكم فانتظرونى أربعين يوما فان زدت عليها فاعلموا انى قد قتلت كما قتل من كان قبلى من الانبياء ثم ان يونس لبس جبة صوف وأخذ بيده عصا وتوجه حافيا مكشوف الرأس فصعد على تل عال فى نينوى وصاح وقال لا اله الا الله وان يونس رسول الله فاجتمع القوم اليه وضربوه ضربا وجيعا حتى غشى عليه فاوحى الله الى طائر يقال له الورشان بان يغمس جناحيه فى الماء ويرش بهما على وجه يونس عليه السلام فلما فعل ذلك أفاق يونس من غشيته ورجع الى القوم وقال لهم كما قال فى الاول فحمل الريح كلام يونس وألقاه فى أذن الملك فلما سمع ذلك الصوت فزع منه وتغير لونه فقال لمن حوله ما هذا الصوت فقالوا دخل فى المدينة غلام فقير مجنون يقال له يونس يزعم أن فى السماء الها يعبد فلما سمع الملك ذلك غضب على يونس وأمر بسجنه فسجن فى مكان مظلم ضيق فامر الله جبرائيل بان يأتيه بقنديل من الجنة ويعلقه فى ذلك السجن ويأتيه بطعام وشراب من الجنة فاقام يونس فى السجن نحو أربعين يوما ثم ان الملك تذكره فقال لوزيره امض الى السجن وائتنى بالرجل حتى أقتله فدخل الوزير على يونس فوجده قائما يصلى وعنده قنديل يضىء ووجد السجن قد امتد مد البصر فتعجب الوزير ثم التفت الى يونس وقال من صنع معك هذا فقال يونس صنعه ربى فقال الوزير يايونس ان أنا آمنت بربك ماذا يصنع معى فقال يونس يغفر لك ما تقدم من ذنبك ويسكنك جنته فقال الوزير أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله وخرج الوزير وأتى الى الملك وقال دخلت على يونس فى السجن الضيق فرأيته قد اتسع مد البصر ورأيته يصلى وفوق رأسه قنديل يضىء منه المكان ووجدت عنده مائدة عليها طعام طيب ليس مثل طعامنا فقلت يايونس من فعل معك هذا قال فعله معى ربى فعلمت أن له ربا يقدر على كل شئ فآمنت به فغضب الملك على الوزير ثم أمر باخراج يونس من السجن واحضاره بين يديه فلما حضر قال له يايونس اخرج من أرضنا فقد أفسدت رعيتى بسحرك فخرج يونس الى أهله فاوحى الله اليه يايونس ارجع الى نينوى وادعهم الى التوحيد ثانيا أربعين يوما فان أجابوك والا فانى منزل عليهم العذاب فقال يارب وما علامة العذاب فاوحى الله اليه تصفر وجوههم وأبدانهم فى اليوم الاول وفى اليوم الرابع تحمر وجوههم

وأبدانهم وفى اليوم السابع تسود وجوههم وأبدانهم وفى اليوم العاشر أنزل عليهم العذاب فلما رجع يونس وصعد على التل العالى وقال ياقوم قولوا معى لا اله الا الله وأن يونس رسول الله فاجتمع حوله القوم وصاروا يقذفونه بالحجارة ويسبونه فقال لهم يونس ان لم تجيبونى الى توحيد الله بعد أربعين يوما والا ينزل ربى عليكم العذاب وعلامته فى اليوم الأول أن تصفر وجوهكم وأبدانكم ثم بعد أربعة أيام تحمر ثم بعد سبعة أيام تسود ثم فى اليوم العاشر ينزل بكم العذاب فلم يزل يونس يدعوهم الى الأربعين فلم يؤمن أحد منهم فأوحى الله تعالى الى يونس أن يخرج من بينهم فخرج يونس ودخل القوم الى الملك وقالوا له أما ترى ماقد نزل بنا وهذا ما وعدنا به يونس من البلاء وكانوا قد اصفرت وجوههم وأبدانهم والملك معهم كذلك فقال لهم امضوا الى أصنامكم واسألوها كشف ذلك عنكم فعمد القوم الى أصنامهم وكانت أصنامهم من ذهب وفضة وحديد وخشب وحجارة فسجدوا لها وذبحوا الذبائح لها وسألوها كشف هذه النازلة عنهم فأوحى الله الى الملك الموكل بالسحاب أن ينشر عليهم سحابة سوداء مظلمة محشوة بالعذاب والنيران والحجارة وأمر جبريل أن يدنيها من القوم فادناها منهم فنزل منها الصواعق وأظلمت الدنيا عليهم ظلمة شديدة فدخل القوم على الملك وقالوا له ان كنت الها فادفع عنا هذا العذاب فقال لهم أمهلونى قليلا ثم دخل الى داره ولبس السلاح وركب جواده وخرج الى محل عال ولبث فيه مقدار ثلاث ساعات ثم رجع الى قومه فقال لهم لاتهولنكم السحابة فان بها مطرا شديدا ورعدا مهولا (قال كعب الاحبار) فلما دنت منهم السحابة وصارت فرق رؤسهم ضاقت أنفسهم من شدة حرها وزاد بهم القلق حتى غلت جماجم رؤسهم فكان الرجل اذا قرب من صاحبه يسمع غليان دماغه فعند ذلك دخلوا على الملك وقالوا هذا هو العذاب الذى وعدنا به يونس فقال لهم الرأى عندى أن يعمد كل منكم فيكسر صنمه بيده فكسروا أصنامهم فقال لهم الملك الحق عندى والحق ما أقول اطلبوا يونس فانه كان ناصحا لكم فطلب القوم يونس فلم يجدوه فقال رجل منهم وهو الوزير انى كنت أسمع يونس يقول ان ربى حاضر لايزول أيها الملك ان كان يونس قد غاب فان ربه حاضر لايغيب فلما سمع الملك ذلك قام من وقته ولبس جبة من الصوف الاسود وغل يديه الى عنقه وقيد قدميه بقيا من حديد وحمله بعض عبيده وخرج الى القوم فى هذه الحالة ففعل القوم كلهم كما فعل الملك وحملوا أنفسهم وخرجوا الى الصحراء وصعدوا على تل عال ثم اصطفوا صفوفا فجعلوا الشيوخ أمامهم والشبان من ورائهم ثم الاطفال والنساء وبسطوا أيديهم بالدعاء وقالوا يارب يونس اكشف عنا هذا العذاب فكانت الشيوخ تمرغ شيبتها بالرماد والشبان يحثونه على رؤسهم والنساء والاطفال يبكون ناشرين شعورهم وصاروا يعلنون بالبكاء والضجيج الى الله تعالى فكانوا يقولون اللهم انك وعدت على لسان نبيك يونس أن لاتخيب سائلا سألك ولا

داعيادعاك ونحن سألناك ودعوناك فلا تردنا خائبين انه لاملجأ ولامنجا منك الا اليك فا كشف عنا هذا العذاب برحمتك ياأرحم الراحمين اللهم انا آمنا بك وصدقنا رسولك يونس بن متى لا اله الا أنت وأن يونس رسولك فلما اطلع الله على قلوبهم وجدها خالصة مخلصة بما يقولون فأوحى الله تعالى الى جبرائيل عليه السلام بان يكشف عنهم العذاب فكشفه عنهم ورحمهم وقد قيل فى المعنى

ياطالبا ربه بصدق * بادر وان جلت الخطوب
واقصد كريما بلا توان * فسائل الله لا يؤب

(قال كعب الاحبار) لما صرف الله عنهم العذاب تقطع ذلك الغمام أربع قطع قطعة وقعت على جبال صنعاء فكان منها معادن الرصاص وقطعة وقعت على بعض الجبال فصارت لا تنبت شيأ الى أن تقوم الساعة وقطعة وقعت فى البحار فهى تغلى وتفور الى يوم القيامة وقطعة وقعت فى نينوى فكانت أشد بياضا من الكافور وأطيب رائحة من المسك فهم يتطيبون بها الى الآن ثم ان الله تعالى رد على القوم ألوانهم وعافاهم وجعل يهنى بعضهم بعضا ثم ان ابليس اللعين تصور فى صورة راع وجاء الى يونس عليه السلام وهو عند أهله على الجبل فقال له يونس من أين جئت ياراعى قال من قرية نينوى فقال يونس كيف حال أهلها فقال انهم انتظروا العذاب الذى وعدهم به يونس فلم يأتهم فعزموا على قتل يونس لانه كذب عليهم فلما سمع يونس ذلك غضب غضبا شديدا (قال قتادة) ان غضب يونس كان على أهل نينوى لا على ربه لانه نظر الى أن القوم كذبوه ولما سمع كلام الراعى قال انهم يزيدون على ماهم عليه من تعذيبى وعداوتى قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه الآية (قال كعب الاحبار) فأتى الى زوجته وأولاده وحملهم على ناقته وأتى بهم الى شاطئ الدجلة فرأى هناك سفينة فأشار اليها فأتت اليه فنزل فى تلك السفينة هو وزوجته وأولاده فلما صار فى وسط الماء انخرقت بهم السفينة فتعلقت زوجته على لوح ووصلت الى البر فالتقطها بعض الناس فحملها الى داره وطلع يونس هو وأولاده على خشبة الى البر فصارت الأولاد يبكون على أمهم فأقام يونس على شاطئ الدجلة أياما ينتظر سفينة أخرى تحمله واذا بسفينة تلوح من بعد فأشار اليها فجاءته فهم يونس أن ينزل فيها فبادر ابنه الكبير بالنزول فى السفينة فأخذته موجة فقال ابنه الصغير ياأبت أدرك أخى فأراد أن يدركه فنادته الموجة ارجع يايونس فليس لك من الامر شئ فبينما هو فى أمر ولده الكبير اذ نزل من الجبل ذئب فاحتمل ولده الصغير فنادى يونس أيها الذئب لا تفجعنى فيه فقال له الذئب يايونس ليس لك من الامر شئ (قال كعب الاحبار) وكان على وسط يونس خريطة فيها دراهم فتبددت كلها فعلم يونس انه أوخذ بذنبه فعند ذلك جلس يونس وحيدا على الشاطئ فمرت به سفينة فأشار اليها فجاءته وحملته وهو مهموم مغموم فألقى الله عليه النوم فنام وسارت السفينة الى

وسط الماء فتوحلت وجلست فاعيا الملاحين أمرها فقالوا للركاب هل فيكم رجل مذنب وقال لهم يونس أنا المذنب فظنوا انه قال ذلك من همه فاقترعوا بينهم القرعة فخرجت على يونس فاعادوها ثلاث مرات وهي تقع على يونس وهو يقول ألم أقل لكم اني مذنب

(ذكر كيفية القرعة وسببها) كانوا يكتبون أسماء كل من كان في السفينة في ورق ويلقونها في الماء فكل من غاصت ورقته في الماء فهو المطلوب والسبب أن السفينة اذا لم تسر فيعلم أن في ركابها رجلا مذنبا فيرمونه في الماء فتتخلص السفينة باذن الله تعالى فلما وقعت القرعة على يونس قام على قدميه ولف جسده في عباءة وشد وسطه وتقدم الى جانب السفينة وهم أن يلقي نفسه فرأى الامواج تضطرب فتحول الى الجانب الآخر فرأى أيضا الامواج تضطرب فتحير يونس في أمره فاوحى الله تعالى الى الملك الموكل بالحيتان بان ادفع الحوت الفلاني فاني جعلت بطنه سجنا ليونس ابن متى فاحضر الملك ذلك الحوت وقال له سر الى يونس فادركه قبل أن يصل الماء فما زال ذلك الحوت يخرق البحار الى أن وصل الى السفينة فرمى يونس نفسه فالتقمه ذلك الحوت (قال كعب الاحبار) كان يونس في آخر السفينة فلما هم يونس أن يرمي نفسه هم الحوت أن يلتقمه ففزع يونس فناداه الحوت ما هذا الفزع يا يونس وأنت المطلوب من بين القوم فلما سمع يونس كلام الحوت رمى نفسه في فم الحوت فلما صار في جوفه قال يونس آه وأغمي عليه فأوحى الله الى الحوت اني لم أجعل يونس لك رزقا ولا طعاما وانما جعلتك له حرزا فلا تخدش له لحما ولا تمزق له جلدا ثم ابتلع الحوت الذي التقم يونس حوت آخر أعظم منه في الخلقة ثم ان يونس قام في بطن الحوت على قدميه وقال الهي لأسجدن لك في مكان لم يسجد لك في مثله ملك مقرب ولا نبي مرسل فصار يونس يسجد على كبد الحوت * قال كعب الاحبار ان جلد الحوت رق ليونس حتى كان ينظر منه ما في البحار من العجائب من حيوانات البحر وعظم أسماكه وغير ذلك فطاف به الحوت في البحار السبعة ورأى غرائبها وما فيها من الملائكة الموكلين بالبحر وكان يونس يسبح في بطن الحوت فلما سمعته الملائكة يسبح في بطن الحوت قالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا لم نسمعه قبل ذلك فاوحى الله تعالى اليهم هذا صوت عبدي يونس عصاني فسجنته في بطن الحوت فلما سمعوا ذلك سجدوا لله أجمعون وهو قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وقوله تعالى فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين (قال ابن عباس رضي الله عنهما) في تفسير قوله تعالى فنادى في الظلمات هي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وكان اسم ذلك الحوت النون فسمي يونس ذا النون قال كعب الاحبار أمر الله تعالى الحوت أن يقذف يونس من بطنه في تلك

الساعة فقذفه من بطنه فى الحال فى المكان الذى أخذه منه فلما دنا الحوت ليقذف يونس أتاه جبرائيل عليه السلام ودنا من فم الحوت وقال السلام عليك يا يونس رب العزة يقرئك السلام فقال يونس مرحبا بصوت كنت أخشى أن لا أسمعه أبدا فقال جبرائيل للحوت اقذف يونس من بطنك باذن الله فقذفه من بطنه فجعل يبكى لفقده و يقول لا أوحش الله منك يا يونس ومن تسبيحك فخرج من بطنه مثل الفرخ الذى لا ريش له ووقع شعره وذاب جسده ولان عظمه من حرارة بطن الحوت (قال الشعبى ومجاهد) مكث يونس فى بطن الحوت أربعين يوما وفى رواية مكث ثلاثة أيام وذلك قوله تعالى (لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين) (قال كعب الاحبار) لما خرج يونس من بطن الحوت خرج عريانا فانبت الله عليه شجرة من يقطين كالقبة لها أربعة أبواب تخرج منها الرياح قال ابن عباس هى شجرة اليقطين يعنى القرع (قال كعب الاحبار) ان الشجرة حملت فى ذلك اليوم اثنين وثلاثين صنفا من الفواكه لا يشبه بعضها بعضا وأنبع الله فى أصلها عينا أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأرسل الله اليه غزالة تدر من ثديها لبنا يتغذى به قال السدى ان الغزالة التى أرضعت يونس عليه السلام جعل الله قرونها وأظفارها فى لون الذهب قال الثعلبى ان ببلاد البحتر من أعلى الصعيد دابة تشبه الغزلان ولها قرون كلون الذهب وكذلك أظفارها وهى قليلة البقاء اذا صيدت لا تعيش أكثر من ثلاثة أيام فذكر انها من الغزالة التى تغذى بلبنها يونس عليه السلام (قال كعب الاحبار) فالقى الله على يونس النوم فنام تحت تلك الشجرة فلما انتبه من نومه فلم يجد الشجرة ولا العين ولا الغزالة وكان يستأنس بها فحزن على ذلك فاوحى الله اليه أن لا تحزن يا يونس ولكن امض الى أهل نينوى فانهم قد آمنوا بى فاقم عندهم وأمرهم بالمعروف وانههم عن المنكر فسار يونس اليهم فبينما هو سائر اذ مر براع ومعه أغنام فقال له هل من شربة لبن فقال له الراعى أبشر فاحتلب له اللبن وسقاه ثم جلس عنده ساعة يتحدث معه فقال له يونس من أين أنت يا راعى قال من نينوى فقال كيف حال القوم قال الراعى يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر فقال له يونس أتحب أن يكون لك عندهم منزلة قال نعم فقال امض اليهم و بشرهم بان نبيهم يونس بن متى باق على قيد الحياة فقال له الراعى يكذبونى فقال له يونس خذ معك هذه الشاة فانها تشهد لى بانى يونس بن متى فلما علم الراعى صدق ما قاله توجه الى أهل نينوى وأخذ الشاة معه فلما دخل على الملك قال له البشارة قال وما بشارتك قال يونس قد ظهر وهو فى مكان كذا وكذا فاجتمع عليه القوم وكذبوه فقال لهم ان معى من يشهد لى قالوا وما شاهدك قال هذه الشاة وأحضرها بين يدى الملك وقال لها أيتها الشاة بماذا تشهدين فانطقها الله تعالى بان يونس حى وانه احتلب منى اللبن وشربه فلما سمع القوم ذلك صدقوا الراعى وخرجوا وصحبتهم الملك الى ذلك المكان

فوجدوا يونس قائما يصلي لجعل القوم يأخذون التراب من تحت أقدامه ويجعلونه فوق رؤسهم للتبرك ثم ان يونس سار معهم ودخل المدينة وجدد اسلامهم وآمنوا برسالته وأقام بينهم يبين لهم الحلال والحرام فبينما هو جالس بينهم اذ أتاه رجل صياد وقال له يانبي الله انى طرحت شبكتي يوما فطلع لى صبي من أحسن الناس وجها فقال له يونس هذا ولدى ورب ابراهيم فاحضره اليه ثم أتى اليه رجل آخر وقال له يا نبي الله انى كنت فى الفلوات اذ رأيت ذئبا على ظهره مولود وهو من أحسن الناس وجها فقال يونس هذا ولدى ورب ابراهيم ثم أتاه رجل آخر وقال له نى رجل تاجر خرجت فى طلب سفينة الى شاطئ الدجلة فرأيت امرأة على البر عريانة وقد غرقت فى الدجلة فمضيت بها الى منزلى وأحسنت اليها وألبستها ثيابا فقال يونس هذه زوجتى ورب ابراهيم قال فجمع الله شمله بولديه وزوجته على أحسن وجه فاقام يونس بنينوى مدة طويلة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم بعد ذلك توجه الى الكوفة فمات بها ودفن هناك على ماقيل وقيل دفن بالقرب من مدينة صيدا من أعمال الشام على شاطئ البحر المالح وبنى عليه مسجد يزار ويتبرك به وهو باق الى الآن وهو المشهور والله أعلم انتهى على سبيل الاختصار

﴿ذكر قصة زكريا وولده يحيي عليهما السلام﴾ قال الله تعالى (ذكر رحمت ربك عبده زكريا) قال وهب بن منبه هو زكريا بن ادن من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام (قال الطبرى) هو زكريا ابن يوحنا وكان نبيا صلبا فى الدين فلما مر عليه مائة وعشرون سنة من العمر ولم يرزق ولدا ذكرا (قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سميا) ﴿قال السدى﴾ هو أول من تسمى بيحيي قبل الخلائق فلما سمع زكريا ماقالته الملائكة قال لهم وما علامة ذلك فاتاه جبرائيل عليه السلام وقال له يازكريا أن لاتكلم أحدا من الناس ثلاث ليال سويا فقال زكريا ياجبريل (أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أى كيف يجيء لنا ولد ونحن على هذه الشيخوخة فقال له جبرائيل (كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ) * قال السدى ان زوجة زكريا حاضت فى يومها فلما واقعها زكريا جاءت منه بيحيي فلما وضعته وكبر وانتشى اعتكف على عبادة الله تعالى وصار باكيا حزينا ليلا ونهارا لايأكل ولايشرب ولا يمل من البكاء فقال زكريا يارب انى طلبت منك ولدا أنتفع به وهذا مشتغل بالبكاء دائما فاوحى الله اليه يازكريا أنت قلت فهب لى من لدنك وليا والولى لايكون الا على هذه الصفة وكان يحيي عليه السلام لين الجانب حسن الخلقة كما قال الله تعالى (واجعله رب رضيا) ﴿قال السدى﴾ ان يحيي كان فى زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل وكان ذلك الملك مغرما بحب النساء الحسان وكان للملك

زوجة قد طعنت فى السن وكان لها بنت من غير الملك جميلة فاراد أن يتزوج بغيرها عندما كبر سنها فعمدت الى تلك البنت وزينتها باحسن زينة وأحضرتها بين يدى الملك وقالت له تزوج بها فقال لها حتى نسأل يحيى بن زكريا هل يجوز ذلك أم لا فاحضر يحيى وسأله عن ذلك فقال له لا تحل لك ولا يجوز وانها محرمة عليك فغضب منه الملك فقالت له زوجته ان لم تقتل يحيى والا فلا أقيم عندك فامر الملك بقتل يحيى فقالت علماء بنى اسرائيل للملك ان وقع من دم يحيى قطرة على الارض لم ينبت فيها الزرع أبدا (قال العزيزى) فلما سمع الملك ما قالته العلماء أحضر طشتا من نحاس وأمر بذبح يحيى فلما قدموه للذبح استسلم لقضاء الله ولم يتكلم بكلمة واحدة فذبحه فى ذلك الطشت النحاس ولم ينزل من دمه شئ على الارض فلما ذبحه طلب أباه زكريا ليذبحه أيضا فهرب منه فلم يرفى وجهه الا شجرة فقال لها أيتها الشجرة أجيرى نبى الله زكريا من القتل فانشقت الشجرة نصفين فدخل زكريا فى جوفها وانطبقت عليه كما كانت فلما تتبعوه لم يجدوه فجاء اليهم ابليس اللعين فى صفة شيخ زاهد وقال لهم ان زكريا قد دخل فى جوف هذه الشجرة فاحضر الملك منشارا ونشر به تلك الشجرة (قال السدى) لما بلغ المنشار رأس زكريا صاح آه فنزل اليه جبرائيل وقال له يازكريا ان الله تعالى يقول لك لئن قلت بعد ذلك آه مرة أخرى لنمحونك من ديوان الانبياء فسكت زكريا وصبر على البلاء حتى نشروه نصفين وهو لا يتكلم فاعلم أن الانبياء أشد بلاء من جميع الناس ﴿قال الثعلبى﴾ مات زكريا وله من العمر نحو ثلثمائة سنة وقيل دون ذلك والله أعلم ﴿قال السدى﴾ ان الشجرة التى نشر فيها زكريا كانت بنابلس ودفن هناك ثم نقل من بعد ذلك الى حلب وقبره مشهور بها الآن (قال السدى) ان يحيى بن زكريا ذبح بفلسطين ودفنت جثته بها ورأسه حمل الى الشام ودفن وذراعه دفن فى بيروت ورجله فى صيدا صلوات الله عليهما ﴿قال الثعلبى﴾ مات يحيى بن زكريا وله من العمر خمس وتسعون سنة (قال قتادة) لما دخل بختنصر البابلى الى بيت المقدس رأى دم يحيى يفور ويغلى على الارض كغليان القدور فشرع يقتل قومه من بنى اسرائيل حتى بلغ ما قتله منهم سبعين ألف انسان فعند ذلك سكن الدم قليلا قال زيد بن واقد لما عمر الوليد بن عبد الملك بن مروان مسجده الذى انشأه بدمشق وكنى على البنائين فبينما أنا واقف عليهم اذ لاحت لنا مغارة بابها مسدود بالحجارة فعرفنا الوليد بذلك فلما دخل الليل أتى الوليد الى المسجد وبين يديه الشموع فوقف على تلك المغارة وأمر بفتحها ففتحت بحضرته فرأى بها مكانا مربعا نحو ثلاثة أذرع فى مثلها ووجد بها صندوقا مقفولا بقفل من حديد ففتحه فرأى فيه رأس انسان وعليها شعر وهى على هيئتها لم يتغير منها شئ من محاسن وجهها وفى ذلك الصندوق لوح من رخام أبيض مكتوب فيه هذه رأس يحيى بن زكريا فلما رأى الوليد ذلك قبل الرأس وأمر بردها الى الصندوق تحت العمود الذى

فى شرقى الجامع المعروف بعمود السكاسك وهو فى الصف الثانى بالقرب من المقصورة التى بها محراب المسجد وقبره مشهور يزار ويتبرك به عليه السلام انتهى ماأوردناه من قصة زكريا وولده يحيى عليهما السلام

﴿ذكر قصة عيسى بن مريم وقصة أمه عليهما السلام﴾ قال الله تعالى (واذقالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) الآية قال وهب بن منبه كانت حنة أم مريم أخت زوجة زكريا وكان أبو مريم رجلا من بنى اسرائيل يقال له عمران وكان امام المسجد الاقصى فلما حملت حنة أملت أن يكون مافى بطنها ولدا ذكرا فقالت ان ولدت ولدا ذكرا فليكن خادما للمتعبدين بالمسجد الاقصى يسقيهم الماء عند الاوطار ويحمل لهم الزاد على رأسه ولهذا قالت رب انى نذرت لك مافى بطنى محررا فلما أخبرت زوجها بما نذرت قال لها قد أخطأت فيما نذرت فربما تلدين أنثى فكيف تخدم الرجال فى المسجد فلما وضعتها وجدتها أنثى وهو قوله تعالى (فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم) الآية فضاق صدرها من ذلك النذر حيث كانت أنثى ثم ان حنة سمت بنتها مريم ومعنى ذلك لاعيب فيها ثم ان عمران أبا مريم مات وهى صغيرة مرضع ثم ان حنة أقامت بعد زوجها عمران مدة يسيرة وماتت فلما ماتت حنة أخذ مريم زكريا زوج أختها أم يحيى وكفلها بعد أمها كما أخبر الله تعالى حيث قال (وكفلها زكريا) * قال السدى كان زكريا رجلا فقيرا ضيق المعيشة فلما كفل مريم صار اذا دخل عليها يجد عندها فاكهة الشتاء فى أوان الصيف وفاكهة الصيف فى أوان الشتاء وهو قوله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) * قال وهب بن منبه كانت مريم قد خالفت عادة النساء لان النساء لايرجعن الى الطاعة والعبادة الا بعد مضى الشباب ومريم تعبدت وهى طفلة صغيرة وأخذت عادة العجائز فى العبادة والاعتكاف عن الناس فكان زكريا يتعجب من حال مريم فى العبادة فلما بلغت مبلغ النساء أتاها الحيض فلما طهرت أرادت الاغتسال فخرجت الى عين ماء فجاءها جبرائيل عليه السلام فى صورة شاب من بنى اسرائيل يسمى تقيا وكان مشهورا فى زمانه بالشقاوة من الفساد والزنا قال تعالى (فارسلنا اليها روحنا) أى جبريل (فتمثل لها بشرا سويا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) فقال لها جبريل عليه السلام (انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا) فمد جبرائيل يديه وأخذ بذيل قميصها ونفخ فيه فلما بلغت النفخة الى صدرها خلق الله تعالى من تلك النفخة عيسى عليه السلام وقد قال الله تعالى (والتى

أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) * قال العلماء ان الله تعالى خلق آدم من غير أب وأم وخلق حواء من أب من غير أم وخلق سائر المخلوقات من أب وأم فأراد الله تعالى أن يكمل العناصر الأربعة بخلق عيسى من غير أب فكمل بدائع حكمته وقد قال الله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) * قال وهب بن منبه لما حملت مريم بعيسى كان مدة حملها ساعة واحدة لقوله تعالى (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) قال ابن عباس رضي الله عنهما كان مدة حملها ثمانية أشهر وقد جرت العادة أن من ولد لثمانية أشهر لا يعيش قال مجاهد بل كان حملها تسعة أشهر كعادة النساء * قال السدى وكان وضعه ببيت لحم بالقرب من بيت المقدس وولدته ليلة الاثنين التاسع والعشرين من كيهك من شهور القبط المعروفة بليلة الميلاد عند النصارى وفيها يشتد البرد فلما قالت مريم ياليتني مت قبل هذا ناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * قال وهب بن منبه ان النخلة التي أمرت مريم بهزها كان لها نحو سبعين سنة يابسة لم تثمر فلما وضعت سيدنا عيسى عليه السلام أورقت في الحال وأثمرت وصار البلح رطبا جنيا من وقته معجزة له وكرامة لها وأمرها بالهز تعاطيا للاسباب فتساقط عليها الرطب كما أخبر الله تعالى وقيل في المعنى

ألم تر ان الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أدنى الجذع من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

قال السدى لما أتت مريم بعيسى تحمله الى قومها قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا * قال وهب بن منبه ليس المراد بقولهم يا أخت هرون أنها كانت أخت هرون بن عمران أخي موسى عليه السلام من النسب ولكن كانت أخته في العبادة لان هرون كان مشهورا بالعبادة وهي أيضا مشهورة بالعبادة فلما سمعت كلام قومها من المعاتبة أشارت اليه أي بان كلموه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فأنطقه الله تعالى لهم وقال (انى عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا) فأول كلمة قالها عيسى انى عبد الله لان الله تعالى أعلمه انهم سيقولون عنه بانه ابن الله فكان ذلك تكذيبا لهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يتكلم في المهد غير أربعة وهم شاهد يوسف بقد القميص والثاني صاحب الاخدود والثالث الذى شهد لجريج الراهب انه ابن الراعي والرابع سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام قيل ان جماعة من النصارى سألوا عليا رضي الله عنه ان من كرامات عيسى انه نطق في المهد فهل نطق نبيكم وهو في المهد فقال علي رضي

الله عنه ان عيسى كان محتاجا الى النطق لانه ولد من غير أب نخاف من التهمة فاحتاج الى النطق ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحتج اذ ذاك الى النطق قال وهب بن منبه لما كبر عيسى عليه السلام كان سياحا فى الارض لا يتخذ دارا ولا مسكنا ولا زوجة ولا دابة وكان يلبس جبة صوف على لحمه و يلبس على رأسه قلنسوة من لباد وكان لا يأكل الا من غزل أمه وكانت تغزل الصوف ﴿قال السدى﴾ أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى ان لم يكن لك زوجة فازوجك فى الآخرة ألف حورية من العين ولاطعمن فى عرسك ألف عام و ينادى مناد احضروا وليمة عيسى الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة ﴿قال الواقدى﴾ لما ساح عيسى عليه السلام فى الارض أتى الى الربوة التى بحبرون من أرض الشام فاقام بقرية هناك يقال لها الناصرة واليها ينسب النصارى فاوى اليها هو وأمه قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين والصحيح ان الربوة فى دمشق الشام ومحلها مشهور معلوم بها الى الآن وتحتها الانهار والاشجار وهى ذات القرار المعين ﴿قال الواقدى﴾ لما أراد الملك هردوس ملك اليهود أن يقتل عيسى عند ظهور معجزاته وقد آمن غالب الناس به أخذته أمه مريم وخرجت به من بيت المقدس وكان معها يوسف النجار وهو رجل من عباد بنى اسرائيل فدخلوا الى مصر ومروا بمدينة عين شمس التى بالمطرية فوجدوا هناك بئرا وكانت أثواب عيسى قد اتسخت من السفر فنزلوا بجانب تلك البئر وغسلت مريم أثواب عيسى وغسلته واغتسلت ورشت الماء حول ذلك البئر فانبت الله هناك البيلسان و يعرف بالبلسم وهو لا يوجد بارض مصر الا فى هذا المكان فقط وهذا سبب تعظيم النصارى البيلسان وتغاليهم فيه خصوصا الافرنج و يقولون انه لا يصح التنصر عندهم الا اذا كان فى ماء المعمودية دهن البيلسان و ينغمسون فيه وكان البلسم من محاسن مصر وقد انقطع منها فى أواخر القرن التاسع ونتج من بعد ذلك ﴿قال الواقدى﴾ لما دخلت مريم مصر انقطع عنها اللبن لان عيسى كان رضيعا فالهمها الله أن تغلى الهيدة وتطعمها عيسى ففعلت فكانت تغنيه عن اللبن (قال) فلما كبر عيسى وساح فى أراضى مصر حتى دخل الى الاشمون وكان بها فرس من نحاس اذا دخلها غريب يصهل ذلك الفرس النحاس حتى يسمعه كل من فى المدينة فيعلمون أنه دخل غريب فلما وصل عيسى عليه السلام سقط ذلك الفرس وتكسر فلما دخل عيسى المدينة رأى جمالا محملة غلالا فزاحموه الى الطريق فصرخ عليهم فصاروا حجارة سودا ثم انه مر بسفح الجبل المقطم هو وأمه فالتفت اليها وقال يا أماه هذه البقعة تصير مقبرة لامة محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم وهم غراس الجنة ﴿قال وهب بن منبه﴾ ثم ان عيسى خرج من مصر وتوجه الى البلاد الشامية وقد اشتهر أمره بانه يحيى الموتى باذن الله تعالى و يبرئ الاكمه والابرص باذن الله تعالى فاجتمعت اليه اليهود وقالوا له يا عيسى لن نؤمن لك حتى تحيى لنا العزير

فقال لهم عيسى وأين مكان قبره فاتوا به الى قبره فصلى هناك ركعتين ودعا الله تعالى أن يحيي له العزير فجعل القبر ينفرج عنه قليلا حتى ظهر منه العزير عليه السلام وقد ابيض شعر رأسه ولحيته فقال لعيسى هذا فعلك أم بي يا ابن مريم فقال بل بطاب قومك لانهم قالوا لن نؤمن لك حتى تحيي لنا العزير فعند ذلك جلس العزير بين قومه وقال لهم يا معشر بني اسرائيل آمنوا برسالة عيسى بن مريم واتبعوا ملته فانه على الحق من ربه فقال له بنو اسرائيل انا كنا نعهدك حين مت شابا وأنت أسود شعر الرأس واللحية وقد ابيضا فقال لهم لما سمعت هذه الصيحة وقال لي قم باذن الله تعالى ظننت انها صيحة القيامة فابيض نصف رأسي ولحيتي من هول ذلك اليوم وأماني ملك وقال لي هذه دعوة عيسى بن مريم فلما أحيا الله العزير وظهر لبني اسرائيل معجزة عيسى عليه السلام آمن منهم في ذلك اليوم جماعة كثيرة ثم دعا الله تعالى عيسى أن يعيد العزير لما كان عليه ميتا فاعاده كما كان

﴿ذكر نزول المائدة لعيسى عليه السلام﴾ قال سلمان الفارسي رضي الله عنه ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء فقال لهم عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا لا بد لنا من ذلك فخرج عيسى الى الصحراء ولبس المسوح وطأطأ رأسه خاشعا لله تعالى يبكي ويتضرع وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين فأوحى الله اليه في منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه الآية ﴿قال الترمذي﴾ فانزل الله عليهم سفرة حمراء مدورة بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها والناس ينظرون فلما نظرها عيسى قال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها نقمة فما زالت تنزل قليلا قليلا حتى هبطت بين يدي عيسى عليه السلام وكان عليها منديل مغطى به السفرة فعند ذلك خر عيسى ساجدا لله تعالى وسجد معه الحواريون ثم قالوا لعيسى قم واكشف عن هذه السفرة حتى ننظر ما فيها فقام عيسى وكشف عنها فاذا فيها سمكة مشوية وعند رأسها شيء من الخل والملح وعند ذنبها خمسة أرغفة كبار كل رغيف عليه شيء من الزيتون والتمر وحول ذلك من سائر البقول وكان الحواريون الذين سألوا عيسى اثني عشر انسانا فقال شمعون وهو أكبر الحواريين يا عيسى ان هذه السمكة من طعام الدنيا أم من طعام الجنة فقال عيسى ما أخوفني عليكم من عذاب الله تعالى كما أخبر الله تعالى فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ثم قال عيسى للسمكة أيتها السمكة قومي باذن الله تعالى فأحياها الله تعالى فجعلت تضطرب وتنظر بعينها الى بني اسرائيل فخافوا منها فقال لهم عيسى مالي أراكم تسألون الشيء فاذا حصل لكم كرهتموه ثم قال عيسى للسمكة عودي كما كنت مشوية فعادت باذن الله تعالى فقال الحواريون يا روح الله أنت أول من يأكل من هذه السمكة فقال لهم معاذ الله انما يأكل منها من سأل عنها فابى الحواريون أن يأكلوا منها

خشية أن تكون فتنة فعند ذلك نادى عيسى عليه السلام الفقراء والمساكين وأصحاب العاهات من المجذومين والبرصى والعميان والمقعدين بان يأكلوا منها فأكلوا حتى اكتفوا عن آخرهم وكانوا نحو ألف وثلاثمائة انسان فبرئ منها أصحاب العاهات جميعهم باذن الله تعالى وقال الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض في المعنى

ولو قربوا من حانها مقعدا مشى * وينطق من ذكرى مذاقتها البكم

ولو جليت يوما على أكمه غدا * بصيرا ومن راووقها يسمع الصم

قال فلما سمع الناس بذلك ازدحموا على الاكل منها وجاؤا اليها من سائر الاقطار فلما رأى عيسى ازدحام الناس عليها جعلها أقساما بينهم فللفقراء يوم وللاغنياء يوم فكانت هذه المائدة تنزل كل يومين مرة كما كانت ناقة صالح تختفي يوما وتظهر يوما فاستمر على ذلك أربعين يوما قال مجاهد انها كانت تنزل في وقت الضحى فتنزل قليلا قليلا ثم ترتفع قليلا قليلا والناس ينظرون اليها وهي بين الغمام حتى تتوارى قال الواقدي ان المائدة كانت تنزل بكنيسة صهيون قال وهب بن منبه ان جماعة من بني اسرائيل شكوا في أمر المائدة وقالوا انها ليست من عند الله فلما ظنوا ظن السوء مسخ منهم جماعة خنازير وجماعة قردة فكان عدة من مسخ ثلاثين انسانا فجؤا الى عيسى وهم يبكون بين يديه فقال لهم ألست أنت فلانا وأنت فلانا فاومؤا برؤسهم أي بلى فاقاموا على ذلك سبعة أيام وابتلعتهم الارض انتهى ﴿حديث المائدة﴾ قال السدي فرق بعضهم بين المائدة والسفرة فقال ان المائدة ما امتد وانبسط مثل المنديل والثوب وما أشبه ذلك وأما السفرة فهي التي تكون مضمومة بغلائف وحلق لانها اذا كانت مضمومة وفتحت أسفر ما فيها أي بان فلذلك سميت سفرة والسماط من الموائد وأما المائدة فمن عرف العجم وأما السفرة فمن عرف العرب وتسمى المائدة خوانا أيضا ﴿قال كعب الاحبار﴾ لما ظهرت ملة عيسى عليه السلام وانتشرت في الآفاق رغب أكثر الناس الدخول في ملته فانحطت ملة اليهود وضعفت في أيام عيسى وأقبل الناس على عيسى وأنزل الله عليه الانجيل وكان يحيي الموتى باذن الله فلما رأى الملك هردوس المعجزات الباهرة عزم على قتل المسيح عيسى عليه السلام بموافقة جماعة من أحبار اليهود فهجموا على عيسى وهو عند أمه مريم فدخل عليه واحد منهم البيت فلما استبطأ القوم صاحبهم دخلوا عليه فشبه لهم انه عيسى عليه السلام فكشفوا رأسه وألبسوه تاجا من شعر وأركبوه على جريدة خضراء وطافوا به في المدينة ثم نصبوا له خشبتين مثل صاري المركب وأوثقوا الحبال في يديه ورجليه وصارت اليهود حوله ثم قدموه الى هاتين الخشبتين وصلبوه عليهما وصلبوا معه اثنين من اللصوص وهو مصداق قول الله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وقوله وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه قال العزيزي ان الرجل الذي اشتبه

عليهم بعيسى اسمه اشيوع وكان من أحبار اليهود قال وهب بن منبه لما صلب شبيه عيسى عليه السلام كان ذلك يوم الجمعة فى الساعة الثالثة من النهار وأظلمت الدنيا ثلاثة أيام الى الساعة الثالثة من النهار وزلزلت الارض فى ذلك اليوم وكان رفعه فى خامس عشر نيسان من شهور الروم الموافق التاسع وعشرين برمهات من شهور القبط قال الثعلبى كان عمر عيسى عليه السلام لما رفع الى السماء نحوا من ثلاث وثلاثين سنة على ماقيل ﴿قال السدى﴾ ان عيسى رفع من كنيسة السليق ببيت المقدس فلما رفع الى السماء كساه الله تعالى أوصاف الملائكة وقطع عنه لذة المطاعم والمشرب وصار ملكا سماويا أرضيا وهو حى الى الآن وهذا مذهب أهل السنة ﴿قال الثعلبى﴾ ان مريم عليها السلام توفيت بعد رفع ولدها عليه السلام بست سنين وكانت مدة حياتها نحوا من ستين سنة ولما ماتت دفنت ببيت المقدس وقبرها يزار هناك الى الآن صلوات الله عليهم وما وقد أجاد الشيخ عبد العزيز الديرينى بهذه الابيات فى الرد على من يعتقد ان عيسى قتل أو صلب وقيل ان الابيات لابن تيمية

عجبا للمسيح بين النصارى * حيث قالوا ان الاله أبوه
* ثم قالوا ابن الاله اله * ثم قاموا بجهلهم عبدوه
ثم جاؤا بشئ أعجب من ذا * حيث قالوا بانهم صلبوه
ليت شعرى وليتنى كنت أدرى * ساعة الصلب أين كان أبوه
حين خلى ابنه رهين الاعادى * أتراهم أرضوه أم أغضبوه
عجبى للمسيح بين النصارى * والى أى ولد نسبوه
أسلموه الى اليهود وقالوا * انهم بعد قتله صلبوه
واذا كان مايقولون حقا * وصحيحا فاين ما نسبوه
فلئن كان راضيا باذاهم * فاحمدوهم لانهم عذبوه
ولئن كان ساخطا فاتركوه * واعبدوهم لانهم غلبوه

وقال شمس الدين بن الصائغ الحنفى على عروض ذلك وأجاد

أعباد المسيح لنا سؤال * نريد جوابه ممن وعاه
اذا مات الاله بفعل عبد * يهودى فما هذا الاله
وهل بقى الوجود بلا اله * سميع يستجيب لمن دعاه
ومن رزق البرية وهو ميت * ومن حفظ الوجود ومن حواه
وهل هو عاد لما شاء حيا * الها أم تولاه سواه
وهل رضى المسيح الصلب عمدا * وسكنى القبر أم أرضى أباه

والاعنوة فالعبد أقوى * من المعبود يفعل ما يراه
فمن يفهم لما قلنا جوابا * يجاوب أو يتب مما افتراه

قال ابن رزق ان الملكة أم الملك قسطنطين الاكبر هي التي بنت كنيسة القمامة ببيت المقدس ولما توجهت هناك وجدت الخشبتين اللتين صلب عليهما المسيح بزعمهم وخشبة ثالثة فالجملة ثلاثة أخشاب فزعمت النصارى أن ثلاثة من الاموات ألقوا على تلك الاخشاب فعادوا أحياء في الحال ولما رأت الملكة هيلانة ذلك صنعت لتلك الاخشاب غلافا من الذهب فاتخذوا ذلك اليوم عيدا وسموه عيد الصليب وذلك بعد ولادة المسيح بثلثمائة وثمانية وعشرين سنة وهذا غاية اعتقاد النصارى في أمر الصليب وكان عيسى نبيا مرسلا وهو من أولي العزم من الرسل الخمسة وقد قال الله تعالى واذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد الآية ﴿قال مقاتل﴾ كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قريب من ستمائة سنة وقال الكلبي كان بينهما خمسمائة وأربعون سنة وهي زمن الفترة في غير العرب لان الله تعالى لم يرسل لاهل تلك الجهة نبيا بعد عيسى بن مريم وشريعة الانبياء قبل نبينا كانت تنقطع بموته حتى يرسل غيره اما بشرع أو يوحي اليه بتقرير شريعة من قبله من الانبياء الا نبينا صلى الله عليه وسلم فشريعته لم تنسخ بل هي باقية الى قرب قيام الساعة اهـ

﴿ذكر نزول عيسى عليه السلام الى الارض﴾ قال أويس الثقفي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينزل عيسى بن مريم عند قيام الساعة ويكون نزوله على المنارة البيضاء التي بشرق جامع دمشق وصفته مربوع القامة أسود الشعر أبيض اللون فاذا نزل يدخل المسجد ويقعد على المنبر فتتسامع الناس به فيدخل عليه المسلمون والنصارى واليهود فيزدحمون هناك حتى يطأ بعضهم برأس بعض فيأتي مؤذن المسلمين فيقيم الصلاة وهي صلاة الفجر فيصلي عيسى مأموما مقتديا بالمهدي (ومن النكت اللطيفة) ما أورده الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في بعض مصنفاته ان الشيخ أبا القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه كان مقيما فيما وراء النهر وكان شابا عالما علامة عصره في علم الشريعة والحقيقة فصنف ألف كتاب في علوم شتى وكان له تلميذ لا يفارقه ساعة واحدة فلما كان في بعض الايام أخرج الشيخ أبو القاسم ما كان صنفه من الكتب المتقدم ذكرها ووضعها في صندوق من الخشب ووضع مع تلك الكتب مصحفا شريفا وأغلق ذلك الصندوق بقفل وقال لتلميذه خذ هذا الصندوق واذهب به الى نهر جيحون وارمه فيه فحمل المريد ذلك الصندوق وخرج به من عند الشيخ فقال في نفسه وكيف أرمي ألف كتاب من مصنفات الشيخ وقد تعب في جمعها وأفنى عمره فيها فرجع بالصندوق الى داره ثم جاء الى الشيخ فقال له الشيخ أرميت الصندوق في النهر

قال ثم قال الشيخ فما رأيت عند رميه قال ما رأيت شيأ فقال اذهب فارمه ولا تخالف فذهب المريد فالقى الصندوق فى النهر فلما ألقاه خرجت يد من الماء وتلقت ذلك الصندوق وأخذته فقال المريد من أنت أيها الشخص فقال عبد من مأمور بحفظ هذا الصندوق فرجع المريد الى الشيخ وقال انى قد رميته فخرجت يد فتلقته فقال الشيخ الآن قد ألقيته ثم ان المريد صار فى قلق على الصندوق ولم يقدر يسأل الشيخ عن سبب القاء الصندوق فى النهر ومن تناوله فعلم الشيخ مراد تلميذه فقال له يوما من الايام يافلان أتريد أن تعلم حقيقة حال الصندوق فقال التلميذ نعم ياسيدى فقال الشيخ انه اذا خرج الدجال لا يبقى على وجه الارض كتاب فينزل عيسى عليه السلام ويقتل الدجال ويكون على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويأمر الله تعالى أن يحكم على شريعته فيطلب مصحفا وكتبا فلم يجد فعند ذلك ينزل جبرائيل عليه السلام ويقول لعيسى عليه السلام ان الله يأمرك أن تتوجه الى نهر جيحون وتصلى ركعتين وتنادى وتقول يا أمين الله على كتب أبى القاسم القشيرى وسلم الى الصندوق فان الله تعالى أمرنى أن أحكم بين الناس بالشريعة المحمدية فيذهب عيسى ويفعل ما أمره به جبرائيل فينشق النهر بقدرة الله تعالى ويخرج منه الصندوق فيأخذه عيسى عليه السلام فيجد فى الصندوق المصحف والكتب فيقرؤها ويحكم بين الناس بمقتضاها نقل ذلك ابن الجوزى قال ولما يظهر الدجال يخرج من بلاد أصفهان طوله عشرة أذرع واحدى عينيه ممسوحة من أصل الخلقة كأنه نزل بعين واحدة تنزه وسبحانه وتعالى أن يعمى له الاخرى مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل قارئ عن قرب وعن بعد ومكتوب تحت ذلك سعيد من خالفه وشقى من أطاعه ويظهر للناس أن له جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فيطوف البلاد ويقتل العباد ويقول أنا ربكم الاعلى فيجتمع اليه الجم الغفير من الناس من جميع الطوائف فيجتمع عنده من العساكر نحو ألف ألف وستين ألفا فيزحف بهم من أصفهان الى دمشق فى أربعين يوما ثم يدخل بيت المقدس ويكثر فيه من القتل والسبى فيظهر فى ذلك الوقت شخص يقال له المهدى وصفته على خده الايمن شامة وبين كتفيه شامة فيجتمع عليه الناس فيسير بهم الى محاربة الدجال فيدخل الى دمشق الشام ثم ينزل بعد ذلك عيسى بن مريم على المنارة البيضاء المشهورة الآن بمنارة عيسى عليه السلام فيلتقى مع المهدى بجامع بنى أمية فى دمشق الشام فيصلى هنالك المهدى اماما وعيسى مأموم به ثم يخرج اليهما الدجال بمن معه من العساكر فيلتقى معهما على مدينة لد فيحاربه عيسى عليه السلام فينكسر الدجال ويقتله عيسى بحربته التى تكون بيده ثم ان عيسى بعد قتل الدجال يعمر الارض شرقا وغربا ولا يدع على وجه الارض يهوديا ولا نصرانيا ويصير الدين كله واحدا على ملة محمد صلى الله عليه وسلم ويظهر العدل بين الناس برا وبحرا فعند ذلك يوحى الله الى الارض بان تخرج بركتها وخيرها للناس

كما كانت فى الاول حتى قيل ان عشرة من الناس يجتمعون على عنقود من العنب وعلى رمانة واحدة فيأكلون منها و يبقى من المأكول أكثر مما أكلوا منه وعلى هذا فقس جميع الاشياء التى تؤكل ويكثر العدل حتى ان الحية تكون بيد الطفل فلا تؤذيه و يلعب بها ولا تضره و يكون الاسد مع الشاة فلا يفترسها ويكون الذئب مع الغنم فلا يؤذيها وهو الى جانبها حتى ان الحى يمر على الميت فيقول له ليتك كنت حيا ورأيت هذه الايام فيستمر الحال على ذلك أربعين سنة ثم ان عيسى يتزوج بامرأة من أهل عسقلان و يولد له ولدان منها ثم ان عيسى عليه السلام يحج الى بيت الله الحرام ويزور قبر محمد صلى الله عليه وسلم فيمرض هناك فيموت و يدفن الى جانب قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى فى بعض الاخبار ثم ان المهدى بعد موت عيسى عليه السلام يأخذ جميع السادات الاشراف قاطبة و يسير بهم الى الكوفة و يموت هناك و يرسل الله تعالى ريحا طيبة فتقبض روح كل مؤمن على وجه الارض و يبقى شرار الناس فتقوم عليهم الساعة و يصير الناس يتهارجون كما تتهارج الحمر فعند ذلك يفتح سد يأجوج ومأجوج ويخرجون الى الارض و يفسدون ما فيها من أشجار ونبات و يشربون الانهار والبحار و يصلون الى بحيرة طبرية و يشربون ماءها جميعا وقد تقدم الكلام على ذلك ولا يسلم من فتنة يأجوج ومأجوج سوى أهل مكة والمدينة المشرفة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منها ملك فلا يدخلها الدجال ولا يأجوج ومأجوج ولا الطاعون وقد قال ابن أبى حجلة مشيرا الى ذلك بقوله

مدينته شاعت أحاديث فضلها * وسارت بها الركبان فى كل بلدة
فما روع الدجال ساكن أرضها * ولا مات بالطاعون فيها وبكة

قال فلما تفسد الاحوال يخرج الله تعالى الى الناس دابة مما يلى المسعى عند الميلين الاخضرين يقال لها السحاب وهو قوله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قال وهب بن منبه بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت فتضطرب الارض وتنشق مما يلى المسعى فتخرج من هناك الدابة فأول ما يخرج منها رأسها وهى ذات ريش وزغب كريش الطير ولها جناحان ورأسها يلمس السحاب ورجلاها تحت تخوم الارض وقال السدى ان رأس الدابة كرأس الثور وعينيها كعيني الخنزير وأذنها كأذن الفيل ولونها كلون النمر وصدرها كصدر الاسد وقرونها كقرون الابل وذنبها كذنب الكبش وقوائمها كقوائم البعير و وجهها كوجه الانسان فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتختم وجوه الكفار بخاتم سليمان وتجلو وجه المؤمن بالوسم الذى فى وجوههم وهو هذا مؤمن وهذا كافر ثم بعد ذلك تطلع الشمس من مغربها فمن شدة حرها يموت من بقى من الناس من انس وجان و يغلق

باب التوبة عن الناس قال أبو ذر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم كم عدد الانبياء قال مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي فهم المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر مرسلا أو أربعة عشر أو خمسة عشر قال الثعلبي مجموع الكتب التي أنزلت على المرسلين أربعة وهي التوراة والانجيل والزبور والفرقان وأما الصحف المنزلة فهي مائة وعشرة صحف نزل منها على شيث بن آدم ستون صحيفة ونزل منها على ادريس ثلاثون صحيفة ومنها على ابراهيم عشرون صحيفة قال وهب بن منبه أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام في ألواح من الزمرذ الاخضر فكتبها موسى في أربعة وعشرين سفرا وهي ألف سورة في كل سورة ألف آية فسكها بنو اسرائيل من بعد موسى برهة من الزمان ثم حرفوها وغيروها قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يجوز للجنب أن يمس شيأ من الكتب المنزلة وأما الانجيل فانه أنزل على عيسى عليه السلام وان قومه بدلوه أكثر تبديلا من التوراة فان علماء بني اسرائيل كانوا أربعة وهم مرقص ولوقا ومتى ويوحنا ولما مات عيسى عليه السلام كتب كل واحد منهم انجيلا وأحاله الى نفسه وليس لهم في ذلك حجة فصار كل انجيل مخالفا للآخر اما بزيادة أو نقصان واظهار تصويرهم في كنائسهم ليس لهم به حجة وكذلك تركهم للختان ونقلهم صيامهم الى زمن الربيع وزيادتهم الصوم الى خمسين يوما ليس لهم في ذلك حجة وأكلهم لحم الخنزير وترك تزويج الرهبان فليس لهم به حجة ومشوا على ذلك الى الآن (سؤال لطيف) وهو أن الكتب المنزلة كلها ذهبت وحرفوها وغيروها فمشى على ذلك التغيير علماؤهم ولم يشكوا في ذلك والقرآن لم يتغير ولم يتبدل منه حرف واحد * الجواب ان الله تعالى قال في القرآن العظيم انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فحفظه الله من التغيير والتبديل والعدم حتى قيل انه لا يحترق وان قال قائل اذا حرقته يحترق نقول نعم يحترق الآن المعنى اذا كان في الدنيا مصحف واحد وأريد حرقه لا يحترق لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكانت الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قريبة من ستمائة سنة وقال الكلبي خمسمائة وأربعون سنة وقال وهب بن منبه ان آدم عاش من العمر ألف سنة وقال الثعلبي من هبوط آدم الى الهجرة النبوية ستة آلاف سنة ومائة وثلاثون سنة قال وهب بن منبه كان بين موت آدم وطوفان نوح ألفان ومائتان وأربعون سنة وكان بين ابراهيم وموسى ستمائة سنة وكان بين موسى وداود خمسمائة سنة وكان بين داود وابنه سليمان و بين عيسى ألف ومائة سنة وكان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ستمائة سنة والله أعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآل * أقول وبالله التوفيق قد طالعت هذا التاريخ من عدة تواريخ منها ما روى عن الثعلبي ونقله الكسائي والجبري وابن الجوزي وابن سلام عبد الرحمن وابن كثير عماد الدين ووهب ابن منبه والسدي والواقدي وغير ذلك من الرواة المؤرخين وما وافق بما وقع عليه اختياري

وذلك على سبيل الاختصار ليكون طالبه على اقتدار وأنا أسأل الواقف عليه أن يصلح شيأ لا يوافق لديه والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

تم طبع هذا الكتاب المسمى (ببدائع الزهور) التاريخي القصصي الفكاهي بهذا الشكل اللطيف والطبع الرائق بهاتيك المطبعة الشهيرة المعروفة بدقة التصحيح حتى لمثل هذا الكتاب بل وماهو أقل منه فى موضوعه كالقصص المشهورة الفكاهية المحضة ولا غرابة فى ذلك فصاحبها الشيخ الوقور (مصطفى البابى الحلبي وأولاده) بمصر قد اعتنى بكل مايطبع عنده اعتناء يفوق حد التصور فاحضر لها من الآلات والعدد والحروف مالو نظره المنصف لاضطر أن يعترف رغم أنفه بما نقول وفقهم الله تعالى لخدمة العلم

والعلماء وزادهم عناية بما ينفع البلاد والعباد آمين

ووافق تمام الطبع يوم الثلاثاء التاسع من

شهر ربيع الأول من سنة ١٣٣٨

من هجرة خيرة الخلق صلى

الله عليه وعلى آله ومن

أحبه واقتفاه

آمين



﴿ فهرست بدائع الزهور في وقائع الدهور تأليف العلامة الشيخ محمد بن أحمد بن اياس الحنفي رحمه الله تعالى ﴾

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت ﴾